

الجزء الثالث (فاطمة الزهراء «س»)

ص:٥

فهرس اجمالي

مقدمة المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ٧

الباب الأول:

الفصل الأول: فاطمة الزهراء عليها السلام في سطور ١٧

الفصل الثاني: انطباعات عن شخصيتها عليها السلام ٢٠

الفصل الثالث: مظاهر من شخصيتها عليها السلام ٣٢

الباب الثاني:

الفصل الأول: نشأتها عليها السلام ٤٧

الفصل الثاني: مراحل حياتها عليها السلام ٦١

الفصل الثالث: الزهراء عليها السلام مع أبيها صلى الله عليه و اله ٦٥

الباب الثالث:

الفصل الأول: الزهراء عليها السلام بعد أبيها المصطفى صلى الله عليه و اله ١٠٩

الفصل الثاني: مرض الزهراء و استشهادها عليها السلام ١٦٧

الفصل الثالث: تراث فاطمة الزهراء عليها السلام ١٨٨

ص:٧

[مقدمة المجمع]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى، ثم الصلاة والسلام على من اختارهم هداة لعباده، لا سيما خاتم الأنبياء و سيد الرسل و الأصفياء أبو القاسم المصطفى محمد (صلى الله عليه و اله) و على آله الميامين النجباء.

لقد خلق الله الانسان و زوّده بعنصرى العقل و الإرادة، فبالعقل يبصر و يكتشف الحقّ و يميّزه عن الباطل، و بالإرادة يختار ما يراه صالحا له و محققا لأغراضه و أهدافه.

و قد جعل الله العقل المميّز حجة له على خلقه، و أعانه بما أفاض على العقول من معين هدايته؛ فإنّه هو الذى علّم الإنسان ما لم يعلم، و أرشده إلى طريق كماله اللائق به، و عرفه الغاية التى خلقه من أجلها، و جاء به إلى هذه الحياة الدنيا من أجل تحقيقها.

و أوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحة معالم الهداية الربّانية و آفاقها و مستلزماتها و طرقها، كما بيّن لنا عللها و أسبابها من جهة، و أسفر عن ثمارها و نتائجها من جهة أخرى.

قال تعالى:

قُلْ إِنْ هُدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى [الانعام (٦): ٧١].

ص: ٨

وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [البقرة (٢): ٢١٣].

وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ [الاحزاب (٣٣): ٤].

وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [آل عمران (٣): ١٠١].

قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ [يونس (١٠): ٣٥].

وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَ يَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ [سبا (٣٤): ٦].

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ [القصص (٢٨): ٥٠].

فالله تعالى هو مصدر الهداية . و هدايته هى الهداية الحقيقية، و هو الذى يأخذ بيد الانسان إلى الصراط المستقيم و إلى الحقّ القويم.

و هذه الحقائق يؤيدها العلم و يدركها العلماء و يخضعون لها بملء وجودهم. و لقد أودع الله فى فطرة الانسان النزوع إلى الكمال و الجمال ثم منّ عليه بإرشاده إلى الكمال اللائق به، و أسبغ عليه نعمة التعرف على طريق الكمال، و من هنا قال تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات (٥١): ٥٦]. و حيث لا تتحقق العبادة الحقيقية من دون المعرفة، كانت المعرفة و العبادة طريقا منحصرًا و هدفا و غاية موصلة إلى قمة الكمال.

و بعد أن زوّد الله الانسان بطاقتي الغضب و الشهوة ليحقّق له وقود الحركة نحو الكمال؛ لم يؤمن عليه من سيطرة الغضب و الشهوة؛ و الهوى الناشئ منهما، و الملازم لهما فمن هنا احتاج الانسان - بالإضافة إلى عقله و سائر أدوات المعرفة - ما يضمن له سلامة البصيرة و الرؤية؛ كي تتمّ عليه الحجّة، و تكمل نعمة الهداية، و تتوفر لديه كلّ الأسباب التي تجعله يختار

ص:٩

طريق الخير و السعادة، أو طريق الشرّ و الشقاء بملء إرادته.

و من هنا اقتضت سنّة الهداية الربّانية أن يسند عقل الانسان عن طريق الوحي الإلهي، و من خلال الهداء الذين اختارهم الله لقلّي مسؤولية هداية العباد و ذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفة و إعطاء الارشادات اللازمة لكلّ مرافق الحياة.

و قد حمل الأنبياء و أوصياؤهم مشعل الهداية الربّانية منذ فجر التاريخ و على مدى العصور و القرون، و لم يترك الله عباده مهمليين دون حجة هادية و علم مرشد و نور مضيء، كما أفصحت نصوص الوحي - مؤيّدة لدلائل العقل - بأنّ الأرض لا تخلو من حجة لله على خلقه، لئلا يكون للناس على الله حجة، فالحجّة قبل الخلق و مع الخلق و بعد الخلق، و لو لم يبق في الأرض إلّا اثنان لكان أحدهما الحجّة، و صرّح القرآن - بشكل لا يقبل الريب - قائلاً:

إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ [الرعد (١٣): ٧].

و يتولّى أنبياء الله و رسله و أوصياؤهم الهداء المهديون مهمّة الهداية بجميع مراتبها، و التي تتلخّص في:

١- تلقّي الوحي بشكل كامل و استيعاب الرسالة الإلهية بصورة دقيقة.

و هذه المرحلة تتطلّب الاستعداد التام لتلقّي الرسالة، و من هنا يكون الاصطفاء الإلهي لرسله شأنًا من شؤونه، كما أفصح بذلك الذكر الحكيم قائلاً:

اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ [الانعام (٦): ١٢٤] وَ اللَّهُ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ [آل عمران (٣): ١٧٩].

٢- إبلاغ الرسالة الإلهية الى البشرية و لمن ارسلوا إليه، و يتوقّف الإبلاغ على الكفاءة التامة التي تتمثّل في «الاستيعاب و الإحاطة اللازمة» بتفاصيل

ص:١٠

الرسالة و أهدافها و متطلّباتها، و «العصمة» عن الخطأ و الانحراف معاً، قال تعالى: كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيَمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ [البقرة (٢): ٢١٣].

٣- تكوين امة مؤمنة بالرسالة الإلهية، و إعدادها لدعم القيادة الهادية من أجل تحقيق أهدافها و تطبيق قوانينها في الحياة، و قد صرّحت آيات الذكر الحكيم بهذه المهمة مستخدمة عنواني التزكية و التعليم، قال تعالى:

يُرَكِّبُهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ [الجمعة ٦٢: ٢] و التزكية هي التربية باتجاه الكمال اللائق بالإنسان . و تتطلب التربية القدوة الصالحة التي تتمتع بكل عناصر الكمال، كما قال تعالى : لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ [الاحزاب: ٣٣]: [٢١].

٤- صيانة الرسالة من الزيغ و التحريف و الضياع في الفترة المقررة لها، و هذه المهمة أيضا تتطلب الكفاءة العلمية و النفسية، و التي تسمى بالعصمة.

٥- العمل لتحقيق أهداف الرسالة المعنوية و تثبيت القيم الأخلاقية في نفوس الأفراد و أركان المجتمعات البشرية و ذلك بتنفيذ الاطروحة الربانية، و تطبيق قوانين الدين الحنيف على المجتمع البشرى من خلال تأسيس كيان سياسى تولى إدارة شؤون الامة على أساس الرسالة الربانية للبشرية، و يتطلب التنفيذ قيادة حكيمة، و شجاعة فائقة، و صمودا كبيرا، و معرفة تامة بالنفوس و طبقات المجتمع و التيارات الفكرية و السياسية و الاجتماعية و قوانين الإدارة و التربية و سنن الحياة، و نلخصها في الكفاءة العلمية لإدارة دولة عالمية دينية، هذا فضلا عن العصمة التي تعبّر عن الكفاءة النفسية التي

ص: ١١

تصون القيادة الدينية من كل سلوك منحرف أو عمل خاطئ بإمكانه أن يؤثر تأثيرا سلبيا على مسيرة القيادة و انقياد الامة لها بحيث يتنافى مع أهداف الرسالة و أغراضها.

و قد سلك الأنبياء السابقون و أوصياؤهم المصطفون طريق الهداية الدامى، و اقتحموا سبيل التربية الشاق، و تحمّلوا في سبيل أداء المهام الرسالية كلّ صعب، و قدّموا في سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهية كلّ ما يمكن أن يقدمه الإنسان المتفانى في مبدئه و عقيدته، و لم يتراجعوا لحظة، و لم يتلکأوا طرفة عين.

و قد توجّ الله جهودهم و جهادهم المستمرّ على مدى العصور برسالة خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (صلّى الله عليه و اله) و حمّله الأمانة الكبرى و مسؤوليّة الهداية بجميع مراتبها، طالبا منه تحقيق أهدافها . و قد خطا الرسول الأعظم (صلّى الله عليه و اله) في هذا الطريق الوعر خطوات مذهشة، و حقّق في أقصر فترة زمنية أكبر نتائج ممكنة في حساب الدعوات التغييرية و الرسالات الثورية، و كانت حصيلة جهاده و كدحه ليل نهار خلال عقدين من الزمن ما يلي:

١- تقديم رسالة كاملة للبشرية تحقّق على عناصر الديمومة و البقاء.

٢- تزويدها بعناصر تصونها من الزيغ و الانحراف.

٣- تكوين امة مسلمة تؤمن بالإسلام مبدأ، و بالرسول قائدا، و بالشرعية قانونا للحياة.

٤- تأسيس دولة إسلامية و كيان سياسى يحمل لواء الإسلام و يطبّق شريعة السماء.

٥- تقديم الوجه المشرق للقيادة الربانية الحكيمة المتمثلة في

ص: ١٢

قيادته (صلى الله عليه و اله).

و لتحقيق أهداف الرسالة بشكل كامل كان من الضروري:

أ- أن تستمر القيادة الكفوءة في تطبيق الرسالة و صيانتها من أيدي العابثين الذين يتربصون بها الدوائر.

ب- أن تستمر عملية التربية الصحيحة باستمرار الأجيال؛ على يد مربّ كفوء علميا و نفسيا حيث يكون قدوة حسنة في الخلق و السلوك كالرسول (صلى الله عليه و اله)، يستوعب الرسالة و يجسدها في كل حركاته و سكناته.

و من هنا كان التخطيط الإلهي يحتم على الرسول (صلى الله عليه و اله) إعداد الصفوة من أهل بيته، و التصريح بأسمائهم و أدوارهم؛ لتسلّم مقاليد الحركة النبوية العظيمة و الهداية الربانية الخالدة بأمر من الله سبحانه و صيانة للرسالة الإلهية التي كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين و كيد الخائنين، و تربية للأجيال على قيم و مفاهيم الشريعة المباركة التي تولّوا تبين معالمها و كشف أسرارها و ذخائرها على مرّ العصور، و حتى يرث الله الأرض و من عليها.

و تجلّى هذا التخطيط الرباني في ما نصّ عليه الرسول (صلى الله عليه و اله) بقوله: «إنني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا، كتاب الله و عترتي، و إنهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض».

و كان أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم خير من عرفهم النبي الأكرم (صلى الله عليه و اله) بأمر من الله تعالى لقيادة الأمة من بعده.

إن سيرة الأئمة الاثني عشر من أهل البيت (عليهم السلام) تمثّل المسيرة الواقعية للإسلام بعد عصر الرسول (صلى الله عليه و اله) و دراسة حياتهم بشكل مستوعب تكشف لنا عن صورة مستوعبة لحركة الإسلام الأصيل الذي أخذ يشقّ

ص: ١٣

طريقه إلى أعماق الامّة بعد أن أخذت طاقتها الحرارية تتضاءل بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه و اله)، فأخذ الأئمة المعصومون (عليهم السلام) يعملون على توعية الامّة و تحريك طاقتها باتجاه إيجاد و تصعيد الوعي الرسالي للشريعة و لحركة الرسول (صلى الله عليه و اله) و ثورته المباركة، غير خارجين عن مسار السنن الكونية التي تتحكّم في سلوك القيادة و الامّة جمعاء .

و تبلورت حياة الأئمة الراشدين في استمرارهم على نهج الرسول العظيم و انفتاح الامّة عليهم و التفاعل معهم كأعلام للهداية و مصابيح لإنارة الدرب للسالكين المؤمنين بقيادتهم، فكانوا هم الأدلاء على الله و على مرضاته، و المستقرّين في أمر الله، و التأمين في محبته، و الذائبين في الشوق اليه، و السابقين إلى تسلّق قمم الكمال الإنساني المنشود.

و قد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد و الصبر على طاعة الله و تحمّل جفاء أهل الجفاء حتّى ضربوا أعلى أمثلة الصمود لتنفيذ أحكام الله تعالى، ثم اختاروا الشهادة مع العزّ على الحياة مع الذلّ، حتّى فازوا بلقاء الله سبحانه بعد كفاح عظيم و جهاد كبير.

و لا يستطيع المؤرخون و الكتاب أن يلمّوا بجميع زوايا حياتهم العطرة و يدّعوا دراستها بشكل كامل، و من هنا فإنّ محاولتنا هذه إنّما هي إعطاء قبسات من حياتهم، و لقطات من سيرتهم و سلوكهم و مواقفه م التي دوّنها المؤرخون و استطعنا اكتشافها من خلال مصادر الدراسة و التحقيق، عسى الله أن ينفع بها إنّهُ وليّ التوفيق.

إنّ دراستنا لحركة أهل البيت (عليهم السّلام) الرسالية تبدأ برسول الإسلام و خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (صلّى الله عليه و اله) و تنتهي بخاتم الأوصياء، محمد بن الحسن

ص: ١٤

العسكري المهدي المنتظر عجّل الله تعالى فرجه و أنار الأرض بعدله.

و يختصّ هذا الكتاب بدراسة حياة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) تلك المرأة الاسوة، و هي المعصوم الثالث من أعلام الهداية، و التي تمثّلت في حياتها كلّ جوانب الشريعة روحا و عملا و سلوكا، إنّها التي سمّاها النبي (صلّى الله عليه و اله) «سيدة نساء العالمين»، فكانت مثلا أعلى، و نبراسا مضيئا، يشعّ إيماننا و طهرا و نقاء.

و لا بدّ لنا من تقديم الشكر الى كلّ الاخوة الأعزّاء الذين بذلوا جهدا و افرا و شاركوا في إنجاز هذا المشروع المبارك و إخراجهِ إلى عالم النور، لا سيما أعضاء لجنة التأليف بإشراف سماحة السيد منذر الحكيم حفظه الله تعالى.

و لا يسعنا إلّا أن نبتهل الى الله تعالى بالدعاء و الشكر لتوفيقه على إنجاز هذه الموسوعة المباركة فإنّه حسبنا و نعم النصير.

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السّلام)

قم المقدسة

ص: ١٥

الباب الأوّل فيه فصول:

الفصل الأوّل:

الزهراء (عليها السّلام) في سطور

الفصل الثاني:

انطباعات عن شخصيّة الزهراء (عليها السّلام)

الفصل الثالث:

مظاهر من شخصيّة الزهراء (عليها السّلام)

ص: ١٧

الفصل الأوّل الزهراء (عليها السّلام) فى سطور

✽ الزهراء فاطمة هى بنت محمد بن عبد الله (صلى الله عليه و اله) و خديجة بنت خويلد رضى الله عنها.

ولدت من أكرم أبوين عرفهما التاريخ البشرى، و لم يكن لأحد فى تاريخ الإنسانية ما لأبيها من الآثار التى غيّرت وجه التاريخ، و دفعت بالإنسان أشواطاً بعيدة نحو الأمام فى بضع سنوات معدودات، و لم يحدث التاريخ عن أمّ كامّها و قد وهبت كلّ ما لديها لزوجها العظيم و مبدئه الحكيم، مقابل ما أعطاهما من هداية و نور.

✽ فى ظلّ هذين الأبوين العظيمين درجت فاطمة البتول، و نشأت فى دار يغمرها حنان أبيها الذى حمل عبء النبوة و تحمّل فى سبيله ما تنوء به الجبال، فأنى اتّجه و أين ذهب كان يرى قريشا و غلمانها له بالمرصاد، و فاطمة الزهراء (عليها السّلام) على صغر سنّها ترى كلّ ذلك، و تساهم مع أمّها فى التخفيف من وقع ذلك فى نفسه فكانت تتلوّى من الألم لما كان يلقي من فادح الأذى و تتجرّع ما كان يكابده المسلمون الأوّلون من اضطهاد مرير.

✽ لقد عاشت السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) محن تبليغ الرسالة الإلهية منذ نعومة أظفارها، و حوصرت مع أبيها و أمّها و سائر بنى هاشم فى الشعب

ص: ١٨

و لم تبلغ - فى بدء الحصار - من العمر سوى سنتين.

و ما أن رفع الحصار بعد سنوات ثلاث عجاف، حتى واجهت محنة وفاة أمّها الحنون و عمّ أبيها و هى فى بداية عامها السادس، فكانت سلوة أبيها فى تحمّل الأعباء و مواجهة الصعوبات و الشدائد، تؤنسه فى وحدته و تؤازره على ما يلمّ به من طغاة قريش و عتاتهم.

و هاجرت مع ابن عمّها و الفواطم، الى المدينة المنورة فى الثامنة من عمرها الشريف، و بقيت إلى جنب أبيها الرسول الأعظم (صلى الله عليه و اله) حتى اقترنت بالإمام علىّ بن أبى طالب (عليه السّلام) فكوّنت أشرف بيت فى الإسلام بعد بيت رسول الله (صلى الله عليه و اله) إذ أصبحت الوعاء الطاهر للسلالة النبوية الطاهرة و الكوثر المعطاء لعترته رسول الله (صلى الله عليه و اله) الميامين.

✽ لقد قدّمت الزهراء (عليها السّلام) أروع مثل للزوجة النموذج و للامومة العالية، فى أخرج لحظات التاريخ الإسلامى الذى كان يريد أن يختطّ طريق الخلود و العلى فى بيئة جاهلية و أعراف قبلية، ترفض إنسانية المرأة و تعدّ البنت عارا و شنارا، فكان على مثل الزهراء - و هى بنت الرسالة المحمّدية الغراء و وليدة النهضة الإلهية الفريدة - أن تضرب بسلوكها الفردى و الزوجى و الاجتماعى مثلاً حقيقياً و عملياً يجسّد مفاهيم الرسالة و قيمها تجسيدا واقعياً.

و قد أثبتت الزهراء للعالم الإنساني أجمع أنها الإنسان الكامل الذي استطاع أن يحمل طابع الانوثة، فيكون آية إلهية كبرى على قدرة الله البالغة و إبداعه العجيب، إذ أعطى للزهراء فاطمة أوفر حظ من العظمة و أوفى نصيب من الجلالة و البهاء.

✽ أنجبت الزهراء البتول لعلّى المرتضى: سيّد شباب أهل الجنّة

ص: ١٩

و ابنيّ رسول الله «الحسن و الحسين» الإمامين العظيمين، و السيّدتين الكريمتين «زينب الكبرى و أمّ كلثوم» المجاهدتين الصابرتين، و أسقطت خامس أبنائها «المحسن» بعد وفاة أبيها في أحداث الاعتداء على بيتها (بيت الرسالة)، فكان أوّل قربان أهدته هذه الأمّ المجاهدة الشهيدة بعد أبيها من أجل صيانة رسالة أبيها من التردّي و الانحراف.

✽ لقد شاركت الزهراء (عليها السّلام) أباه و بعلمها صلوات الله عليهما في أخرج اللحظات و في أنواع الأزمات، فنصرت الإسلام بجهودها و جهادها و بيانها و تربيتها لأهل بيت الرسالة الذين استودعهم الرسول (صلّى الله عليه و اله) مهمة نصره الإسلام بعد وفاته، فكانت أوّل أهل بيته لحوقاً به بعد جهاد مريع، توزّع في سوح الجهاد مع المشركين و القضاء على خطط و مؤامرات المنافقين، و تجلّى في تنقيف نساء المسلمين كما تجلّى في الوقوف أمام المنحرفين، فكانت بحقّ رمز البطولة و الجهاد و الصبر و الشهادة و التضحية و الايثار، حتى فاقت في كلّ هذه المعاني سادات الأوّلين و الآخرين في أقصر فترة زمنية يمكن أن يقطعها الإنسان نحو أعلى قمم الكمال الشاهقة.

فسلام عليها يوم ولدت و يوم استشهدت و يوم تبعث حيّة و هي تحمل كلّ أوسمة الشرف و السمو و عليها حلل الكرامة.

ص: ٢١

الفصل الثّاني انطباعات عن شخصيّة الزهراء (عليها السّلام)

الزهراء فاطمة ابنة أعظم نبيّ و زوجة أوّل إمام و بطل، و ام أينع بزغ تين في تأريخ الإمامة، إنّها الوجه المشرق الوضاء للرسالة الخاتمة، و إنّها سيّدة نساء العالمين، و هي الوعاء الطاهر للسلالة الطاهرة و المنبت الطيّب لعتره رسول الله صلوات الله عليهم أجمعين.

لقد اقترن تأريخها بتأريخ الرسالة، إذ ولدت قبل الهجرة بثمان سنوات و توفّيت بعد الرسول (صلّى الله عليه و اله) بعدة أشهر.

و قد أشاد النبيّ الكريم بعظيم منزلة الزهراء الطاهرة، و بما بلغته من موقع رياديّ في خطّ الرسالة محتذياً خطى القرآن الكريم فيما صرّح به من فضائل و مكرمات لأهل بيت الوحي (عليهم السّلام) بشكل عام و للزهراء (عليها السّلام) بشكل خاص.

الزهراء في آيات الذكر الحكيم

لقد مدح القرآن الكريم اناسا خلّدهم بآيات تتلى أثناء الليل و أطراف النهار، إكبارا لمواقفهم و لتفانيهم في سبيل الحق.

ص: ٢٢

و ممّن خصّهم الله تعالى بالذكر الجليّ و أشاد بمواقفهم و فضائلهم أهل بيت ا لنبىّ (صلّى الله عليه و اله)، و قد روى المؤرّخون و المفسّرون نزول آيات كثيرة في مدحهم، كما خصّهم بالثناء في سور شتى تقريراً لسلامة خطّهم و اعترافاً بحسن سمتهم و دعوة للاقتداء بهم.

١- الزهراء (عليها السّلام) كوثر الرسالة:

إنّ الكوثر هو الخير الكثير، و هو يتناول بظاهره جميع نعم الله على النّبىّ محمّد (صلّى الله عليه و اله) و لكن ما ذكره في أسباب النزول بالإضافة إلى الآية الأخيرة من سورة الكوثر يشيران بوضوح إلى أنّ هذا الخير يرتبط بكثرة النسل و دوامه، و قد عرف العالم كلّ أن نسل رسول الله (صلّى الله عليه و اله) قد استمرّ من خلال ابنته الزهراء البتول كما صرّحت بذلك جملة من أحاديث الرسول (صلّى الله عليه و اله).

و ممّا رواه المفسّرون في هذا الصدد أنّ العاص بن وائل كان يقول لصناديد قريش : إنّ محمداً أبتر لا ابن له^١ يقوم مقامه بعده، فإذا مات انقطع ذكره و استرحتم منه . و هذا قول ابن عباس و عامة أهل التفسير^٢، و بالرغم ممّا ذكره الفخر الرازى من اختلاف المفسّرين في معنى الكوثر هنا فإنّه قد صرّح قائلاً : «و القول الثالث: الكوثر أولاده .. لأنّ هذه السورة إنّما نزلت ردّاً على من عابه (عليه السّلام) بعدم الأولاد، فالمعنى أنّه يعطيه نسلاً يبقون على مرّ الزمان (ثم قال): فانظر، كم قتل من أهل البيت؟! ثمّ العالم ممتلئ منهم و لم يبق من بنى امية في الدنيا أحد يعبأ به، ثم انظر كم كان فيهم من الأكابر من

ص: ٢٣

العلماء كالباقر و الصادق و الكاظم و الرضا (عليهم السّلام) و النفس الزكية و أمثالهم»^٣.

و تدلّ آية المباهلة^٤ على أنّ الحسن و الحسين ابنا رسول الله (صلّى الله عليه و اله) كما دلّت النصوص المتضافرة عن الرسول (صلّى الله عليه و اله) على أنّ الله تعالى جعل ذريّة كلّ نبىّ في صلبه و جعل ذريّة الرسول الخاتم (صلّى الله عليه و اله) في صلب على بن أبى طالب (عليه السّلام)^٥ و روت الصحاح عن النّبىّ (صلّى الله عليه و اله) أنّه قال للحسن بن على (عليهما السّلام): «إنّ ابني هذا سيّد، و لعلّ الله يصلح به بين فئتين عظيمتين»^٦.

٢- الزهراء (عليها السّلام) في سورة الدهر:

^١ (1) و ذلك بعد أن مات ابنه عبد الله من خديجة فلم يبق له أحد من الذكور

^٢ (2) التفسير الكبير: 32 / 132.

^٣ (1) التفسير الكبير: 32 / 124.

^٤ (2) سورة آل عمران (3): 61.

^٥ (3) راجع تاريخ بغداد: 1 / 316، و الرياض النضرة: 2 / 168، و كنز العمال: 11 الحديث رقم: 32892.

^٦ (4) راجع صحيح البخاري: كتاب الصلح، و صحيح الترمذي: 5 الحديث 3773 طبعة دار إحياء التراث، و مسند أحمد: 5 / 44 و تاريخ بغداد: 3 / 215، و كنز العمال: 12 و 13: الأحاديث 34304 و 34301 و 37654.

مرض الحسن و الحسين فعادهما رسول الله (صلى الله عليه و اله) فى ناس معه فقالوا : يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك، فنذر على و فاطمة و فضة (و هى جارية لهما) إن برئنا ممّا بهما أن يصوموا ثلاثة أيام، فشفيا و ما معهم شىء، فاستقرض على (عليه السلام) من شمعون الخيرى اليهودى ثلاثة أصوع من شعير، فطحنت فاطمة (عليها السلام) صاعا و اختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم سائل فقال : السلام عليكم أهل بيت محمد، مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة، فأثروه و باتوا لم يذوقوا إلّا الماء و أصبحوا صياما، فلمّا أمسوا و وضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فأثروه، و وقف عليهم أسير فى الثالثة

ص:٢٤

ففعّلوا مثل ذلك، فلمّا أصبحوا أخذ على (رضى الله عنه) بيد الحسن و الحسين و أقبلوا إلى رسول الله (صلى الله عليه و اله) فلمّا أبصرهم و هم يرتعشون كالقراخ من شدة الجوع قال : ما أشدّ ما يسوؤنى ما أرى بكم ! و قام فانطلق معهم فرأى فاطمة فى محرابها قد التصق بطنها بظهرها و غارت عيناها فساء ذلك، فنزل جبرئيل ثم قال : خذها يا محمد هناك الله فى أهل بيتك فأقرأه السورة^٧.

فالزهاء ممّن شهد الله لها بأنّها من الأبرار الذين يشربون من كأس كان مزاجها كافورا، و ممّن يوفون بالندى و يخافون يوما كان شرّه مستطيرا، و ممّن يطعمون الطعام على حبّه، و يؤثرون على أنفسهم و لو كان بهم خصاصة و أنّهم إنّما يطعمون لوجه الله لا ير بدون منهم جزاء و لا شكورا، و أنّهم ممّن صبروا فى ذات الله .. و أنّهم ممّن وقاهم الله شرّ ذلك اليوم العبوس القمطير .. و لقاهم نضرة و سرورا، و جزاهم بما صبروا جنة و حريرا^٨.

٣- الزهراء (عليها السلام) فى آية التطهير:

لقد نزل الوحي بآية التطهير على رسول الله (صلى الله عليه و اله) و هو فى بيت ام سلمة - رضى الله عنها - و ذلك حينما كان قد ضمّ سبطيه - الحسن و الحسين - و أباهما و أمهما إليه ثمّ غشاهم و نفسه بالكساء تمييزا لهم عن الآخرين و النساء، فنزلت الآية: **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**^٩ و هم على تلك الحال، و لم يقتصر (صلى الله عليه و اله) على هذا المقدار من

ص:٢٥

توضيح اختصاص الآية بهم حتى أخرج يده من تحت الكساء فألوى بها الى السماء فقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا، يكرّر ذلك و ام سلمة تسمع و ترى، و جاءت لتدخل تحت الكساء قائلة : و أنا معكم يا رسول الله، فجذبها من يدها و قال: لا، إنّك على خير^{١٠}.

^٧ (1) سورة الدهر أو الإنسان أو هل أتى

^٨ (2) راجع الكشف للزمخشري و الثعلبي فى تفسيره الكبير و اسد الغابة 5/ 530 و التفسير الكبير للفخر الرازي

^٩ (3) سورة الأحزاب (33): 33.

^{١٠} (1) راجع صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، و مستدرک الصحيحين: 3/ 147 و الدر المنثور فى تفسير آية التطهير، و تفسير الطبري: 5/ 22، و صحيح الترمذي 5/ الحديث 3787، و مسند أحمد: 6/ 292 و 304، و اسد الغابة: 4/ 29، و تهذيب التهذيب: 2/ 258.

وكان رسول الله (صلى الله عليه و اله) بعد نزول الآية كلما خرج إلى الفجر يمرّ ببیت فاطمة فيقول : الصلاة يا أهل البيت إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهّركم تطهيرا، مستمرا على هذه السيرة ستّة أو ثمانية أشهر^{١١}.

و دلّت الآية المباركة على عصمة أهل البيت من الذنوب فإنّ الرجس هو الذنب، و قد صدرت الآية بأداة الحصر فأفادت أنّ إرادة الله في أمرهم مقصورة على إذهاب الذنوب عنهم و تطهيرهم منها، و هذا هو كنه العصمة و حقيقتها، و قد أورد النبهاني عن تفسير الطبري هذا المعنى بشكل صريح^{١٢}.

٤- مودة الزهراء (عليها السلام) أجر الرسالة:

و روى جابر (رضي الله عنه) أنّ أعرابيا جاء إلى النبيّ (صلى الله عليه و اله) فقال: على محمد! أعرض على الإسلام، فقال: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أنّ

ص: ٢٦

محمدًا عبده و رسوله، قال: تسألني عليه أجرا؟

قال: لا إله إلا المودة في القربى، قال: قرباى أو قرباك؟ قال: قرباى، قال:

هات ابايك، فعلى من لا يحبّك و لا يحبّ قرباك لعنة الله، قال (صلى الله عليه و اله): آمين^{١٣}.

و فسّر مجاهد هذه المودة بالاتباع و التصديق لرسول الله و صلة رحمه، و فسّرها ابن عباس بحفظه في قرابته^{١٤}.

و ذكر الزمخشري أنّ هذه الآية لما نزلت قيل : يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال : علىّ و فاطمة و ابناهما^{١٥}.

٥- الزهراء (عليها السلام) في آية المباهلة:

أجمع أهل القبلة حتى الخوارج منهم على أنّ النبيّ (صلى الله عليه و اله) لم يدع للمباهلة من النساء سوى بضعته الزهراء و من الأبناء سوى سبطيه و ريحانتيه الحسن و الحسين (عليهما السلام) و من الأنفس إلّا أخاه عليّا (عليه السلام) الذي كان منه بمنزلة هارون من موسى، فهؤلاء أصحاب هذه الآية بحكم الضرورة التي لا يمكن جحودها لم يشاركهم فيها أحد من العالمين، كما هو بديهيّ لكل من ألمّ بتاريخ المسلمين، و بهم خاصّة نزلت لا بسواهم^{١٦}.

^{١١} (2) راجع الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء : 192 قال السيد عبد الحسين شرف الدين : أخرجه الإمام أحمد في ص 259 من الجزء 3. و أخرجه الحاكم و صحّحه الترمذي و حسّنه ابن أبي شيبه و ابن جرير و ابن المنذر و ابن مردويه و الطبراني و غيرهم

^{١٢} (3) راجع الكلمة الغراء: 200.

^{١٣} (1) حلية الأولياء: 201/3، و تفسير الطبري: 16/25 و 17، و الدر المنثور في تفسير الآية 3 من سورة الشورى، و الصواعق المحرقة: 261، و اسد الغاية: 367/5.

^{١٤} (2) راجع فضائل الخمسة من الصحاح الستة 1/307.

^{١٥} (3) راجع الكشاف في تفسير الآية و التفسير الكبير للفخر الرازي و الدر المنثور للسيوطي و ذخائر العقبى : 35، و قد ذكر العلامة الأميني خمسة و أربعين مصدرا لنزول الآية في شأن عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين، فراجع الجزء الثالث من الغدير).

^{١٦} (4) راجع الكلمة الغراء: 181.

لقد باهل النبي (صلى الله عليه و اله) بهم خصومه من أهل نجران فانتصر عليهم،

ص: ٢٧

و أمّهات المؤمنين كنّ حينئذ في حجراته (صلى الله عليه و اله) فلم يدع واحدةً منهنّ، و لم يدع صفيةً و هي شقيقة أبيه، و لا أمّ هانئ و هي كريمة عمّه، و لا واحدةً من نساء الخلفاء الثلاثة و غيره م من المهاجرين و الأنصار.

كما أنّه لم يدع مع سيديّ شباب أهل الجنة أحداً من أبناء الهاشميين و لا أحداً من أبناء الصحابة، و كذلك لم يدع مع عليّ أحداً من عشيرته الأقربين و لا واحداً من السابقين الأولين، و إنّما خرج و عليه مرط من شعر أسود - كما يقول الرازي في تفسيره - و قد احتضن الحسين و أخذ بيد الحسن و فاطمة تمشى خلفه و عليّ خلفها و هو يقول : إذا أنا دعوت فأمنوا، فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى! إنّى لأرى وجوها لو سألوها الله أن يزيل جبلاً لأزاله بها، فلا تباهلوهم فتهلكوا، و لا يبقى على وجه الأرض نصرانيّ الى يوم القيامة^{١٧}.

قال الرازي بعد نقل هذا الحدث: هذه الآية دالة على أنّ الحسن و الحسين (عليهما السلام) كانا ابني رسول الله (صلى الله عليه و اله) و وعد أن يدعو أبناءه فدعا الحسن و الحسين (عليهما السلام) فوجب أن يكونا ابنيه^{١٨}.

ص: ٢٨

الزهراء (عليها السلام) عرّح سيّد المرسلين (صلى الله عليه و اله)

«إنّ الله ليغضب لغضب فاطمة و يرضى لرضاها»^{١٩}.

«فاطمة بضعة منّي من آذاها فقد آذاني و من أحبّها فقد أحبّني»^{٢٠}.

«فاطمة قلبي و روحى التي بين جنبي»^{٢١}.

«فاطمة سيّدة نساء العالمين»^{٢٢}.

لقد تواترت هذه الشهادات و أمثالها في كتب الحديث و السيرة^{٢٣} عن رسول الله محمد (صلى الله عليه و اله) الذي لا ينطق عن الهوى^{٢٤} و لا يتأثر بنسب أو سبب، و لا تأخذه في الله لومة لائم.

^{١٧} (1) قال السيد عبد الحسين شرف الدين: ذكر هذا الحديث المفسرون و المحدثون و كلّ من أرّخ حوادث السنة العاشرة للهجرة و هي سنة المباهلة، و راجع كذلك صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة، و الكشاف للزمخشري في تفسير الآية 61 من سورة آل عمران

^{١٨} (2) راجع التفسير الكبير: ذيل تفسير الآية، و الصواعق لمحرقة: 238، و أسباب النزول للواحدي: 75.

^{١٩} (1) راجع كنز العمال: 111 / 12، و مستدرك الصحيحين: 154 / 3، و ميزان الاعتدال: 1 / 535.

^{٢٠} (2) راجع الصواعق المحرقة: 289، الإمامة و السياسة ص 31، و كنز العمال: 111 / 12، و خصائص النسائي:

35، و صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة.

^{٢١} (3) راجع فرائد السمطين: 66 / 2.

^{٢٢} (4) المستدرك على الصحيحين: 170 / 3، و أبو نعيم في حلية الأولياء: 39 / 2، و الطحاوي في مشكل الآثار: 48 / 1، و شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 193 / 9، و العوالم: 141 / 11 و 146.

^{٢٣} (5) راجع كنز العمال: 12 / 97، و مسند أحمد: 6 / 296 و 323، و مستدرك الصحيحين: 3 / 158 - 185، و صحيح البخاري كتاب الاستئذان، و صحيح الترمذي 5 / الحديث 3869، و حلية الأولياء: 42 / 2، و الاستيعاب: 2 / 720 و 750.

إنَّ الرسول الذي ذاب في دعوته و كان للناس فيه اسوء فأصبحت خفقات قلبه و نظرات عينه و لمسات يده و خطوات سعيه و إشعاعات فكره:

قوله و فعله و تقريره (أى: سنته) بل وجوده كلّ معلما من معالم الدين و مصدرا للتشريع و مصباحا للهداية و سبيلا للنجاء.

ص: ٢٩

«إنَّها أو سمة من خاتم الرسل على صدر فاطمة الزهراء، تزداد تألقا كلّما مرّ الزمن، و كلّما تطوّرت المجتمعات، و كلّما لاحظنا المبدأ الأساس في الإسلام في كلامه (صلى الله عليه و اله) لها: يا فاطمة اعملى لنفسك فإننى لا أغنى عنك من الله شيئا»^{٢٥}.

و قال (صلى الله عليه و اله): «كمل من الرجال كثير و لم يكمل من النساء إلّا مريم بنت عمران و آسية بنت مزاحم امرأة فرعون و خديجة بنت خويلد و فاطمة بنت محمد»^{٢٦}.

و قال (صلى الله عليه و اله): «إنَّما فاطمة شجنة منى، يقبضنى ما يقبضها و يبسطنى ما يبسطها»^{٢٧} و إنَّ الأنساب يوم القيامة تنقطع غير نسبى و سببى و صهرى ...»^{٢٨}.

و خرج رسول الله (صلى الله عليه و اله) ذات يوم و قد أخذ بيد فاطمة (عليها السلام) و قال: «من عرف هذه فقد عرفها و من لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد و هى بضعة منى، و هى قلبى الذى بين جنبى، فمن آذاها فقد آذانى و من آذانى فقد آذى الله»^{٢٩}.

و قال (صلى الله عليه و اله): «فاطمة أعز البرية على»^{٣٠}.

و لا يصعب علينا تفسير هذه النصوص بعد الإمام بعصمتها (عليها السلام)، بل هى شاهدة على عصمتها و أنّها لا تغضب إلّا لله و لا ترضى إلّا له.

ص: ٣٠

الزهراء (عليها السلام) عند الأئمة و الصحابة و المؤرخين

عن على بن الحسين زين العابدين (عليه السلام): «لم يولد لرسول الله (صلى الله عليه و اله) من خديجة على فطرة الاسلام إلّا فاطمة»^{٣١}.

^{٢٤} (6) سورة النجم (53): 3.
^{٢٥} (1) فاطمة الزهراء و نثر في غمده من مقدمة السيد موسى الصدر.
^{٢٦} (2) رواه صاحب الفصول المهمة 27، راجع تفسير الوصول: 2/ 159، و شرح ثلاثيات مسند أحمد: 2/ 511.
^{٢٧} (3) الشجنة: الشعبة من كل شيء، الشجنة كالغصن يكون من الشجرة. راجع مستدرك الحاكم: 3/ 154، و كنز العمال: 12/ 111 الحديث 34240.
^{٢٨} (4) راجع مسند أحمد: 4/ 323 و 332، و المستدرك: 3/ 154 و 159.
^{٢٩} (5) راجع الفصول المهمة 144، و رواه في كتاب المختصر عن تفسير الثعلبي 133.
^{٣٠} (6) أمالي الطوسي: مجلس 1 حديث 30، و المختصر: 136.

و عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام): «و الله لقد فطمها الله تبارك و تعالى بالعلم»^{٣٢}.

و عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام): «إنما سميت فاطمة لأن الخلق فطموا عن معرفتها»^{٣٣}.

و عن ابن عباس: أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) كان جالسا ذات يوم و عنده علي و فاطمة و الحسن و الحسين فقال: «اللهم إني أعلم أن هؤلاء أهل بيتي و أكرم الناس علي فأحب من أحبهم و أبغض من أبغضهم و وال من والاهم و عاد من عاداهم، و أعن من أعانهم و اجعلهم مطهرين من كل رجس معصومين من كل ذنب و أيدهم بروح القدس منك»^{٣٤}.

و عن أم سلمة أنها قالت: كانت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله) أشبه الناس وجهها و شبهها برسول الله (صلى الله عليه و اله)^{٣٥}.

و عن عائشة أنها قالت: ما رأيت أحدا كان أصدق لهجة من فاطمة إلا أن يكون الذي ولّ دها^{٣٦} و كانت إذا دخلت على رسول الله (صلى الله عليه و اله) قام فقبلها

ص: ٣١

و رحّب بها و أخذ بيدها و أجلسها في مجلسه، و كان النبي (صلى الله عليه و اله) إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته و أخذت بيده و أجلسته في مجلسها، و كان الرسول دائما يختصّها بسرّه و يرجع اليها في أمره^{٣٧}.

و عن الحسن البصري أنّه ما كان في هذه الامة أعبد من فاطمة، كانت تقوم حتى تورّم قدمها^{٣٨}.

و دخل عبد الله بن حسن على عمر بن عبد العزيز و هو حديث السنّ، و له و قرّة، فرفع مجلسه و أقبل عليه و قضى حوائجه، ثم أخذ عكنة^{٣٩} من عكنه فغمزها حتى أوجعه و قال له: اذكرها عند الشفاعة.

فلما خرج لأمه أهله و قالوا: فعلت هذا بغلام حديث السن، فقال: إن الثقة حدّثني حتى كآني أسمعه من في رسول الله (صلى الله عليه و اله) قال: «إنما فاطمة بضعة مني يسرني ما يسرها» و أنا أعلم أن فاطمة (عليها السلام) لو كانت حيّة لسرها ما فعلت بابنها، قالوا: فما معنى غمزك بطنه، و قولك ما قلت؟ قال: إنه ليس أحد من بني هاشم إلا و له شفاعة، فرجوت أن أكون في شفاعة هذا^{٤٠}.

^{٣١} (1) روضة الكافي: ح 536.

^{٣٢} (2) كشف الغمة: 463 / 1.

^{٣٣} (3) بحار الأنوار: 19 / 43.

^{٣٤} (4) بحار الأنوار: 65 / 43 و 24.

^{٣٥} (5) كشف الغمة: 471 / 1.

^{٣٦} (6) ذخائر العقبى: 54.

^{٣٧} (1) أهل البيت: 144 لتوفيق أبو علم.

^{٣٨} (2) بحار الأنوار: 84 / 43.

^{٣٩} (3) و قرّة: رزانة و حلم، العكنة الطي الذي في البطن من السمن (المختار/ باب عكن).

^{٤٠} (4) الأغاني: 307 / 8، و راجع مقاتل الطالبين: 124.

قال ابن الصَّبَّاح المالكى: ... و هى بنت من انزل عليه (سبحان الذى أسرى)، ثلثة الشمس و القمر، بنت خير البشر، الطاهرة الميلاد، السيِّدة بإجماع أهل السداد^{٤١}.

و قال الحافظ أبو نعيم الإصْفَهَانِي عنها : «من ناسكات الأصفياء و صفيات الأتقياء فاطمة - رضى الله تعالى عنها - السيِّدة البتول، البضة

ص:٣٢

الشبيهة بالرسول ... كانت عن الدنيا و متعتها عازفة، و بغوامض عيوب الدنيا و آفاتِها عارفة^{٤٢}.

و قال عبد الحميد بن أبى الحديد المعتزلى : و أكرم رسول الله (صلى الله عليه و اله) فاطمة إكراما عظيما أكثر مما كان الناس يظنونه ... حتى خرج بها عن حبِّ الآباء للأولاد، فقال لمحضر الخاص و العام مرارا لا مرة واحدة و فى مقامات مختلفة لا فى مقام واحد : «إنَّها سيِّدة نساء العالمين و إنَّها عديلة مريم بنت عمران، و إنَّها إذا مرَّت فى الموقف نادى مناد من جهة العرش : يا أهل الموقف غَضُّوا أبصاركم لتعبر فاطمة بنت محمد »، و هذا من الأحاديث الصحيحة و ليس من الأخبار المستضعفة، و كم قال لا مرة: «يؤذيني ما يؤذيها و يغضبني ما يغضبها، و إنَّها بضعة مني يربيني ما رباها»^{٤٣}.

و قال المؤرِّخ المعاصر الدكتور على حسن ابراهيم : و حياة فاطمة هى صفحة فذة من صفحات التاريخ نلمس فيها ألوان العظمة، فهى ليست كبلقيس أو كليو بطرة استمدت كل منهما عظمتها من عرش كبير و ثروة طائلة و جمال نادر، و هى ليست كعائشة نالت شهرتها لما اتصفت به من جرأة جعلتها تقود الجيوش و تتحدى الرجال، و لكننا أمام شخصية استطاعت أن تخرج إلى العالم و حولها هالة من الحكمة و الجلال، حكمة ليس مرجعها الكتب و الفلاسفة و العلماء، و إنَّما تجارب الدهر المليء بالتقلبات و المفاجآت، و جلال ليس مستمدا من ملك أو ثراء و إنَّما من صميم النفس...^{٤٤}.

ص:٣٣

الفصل الثالث مظاهر من شخصيَّة الزهراء (عليها السَّلام)

الحديث عن الزهراء فاطمة يتجاوز الفسحة التى امتدَّت بين ساعة أبصرت فيها النور و ساعة انطفأت فيها من عينيها لمعة الحياة.

فإنَّها ابنة نبيٍّ هزَّ جذور الفكر فى الإنسان و قفز به فوق الأجيال، كما إنَّها زوجة رجل هو ركن من أركان الحقِّ و امتداد لأعظم نبيٍّ فى تاريخ الإنسان.

^{٤١} (5) الفصول المهمة: 141، طبعة بيروت.

^{٤٢} (1) حلية الأولياء: 39/2، طبعة بيروت.

^{٤٣} (2) شرح نهج البلاغة: 193/9.

^{٤٤} (3) راجع فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى 21.

لقد حازت على كمال العقل و جمال الروح و طيب الصفاء و كرم المحتد، و عاشت في جوّ شَعَّتْ عَ ليه و امتدّت به و عبّرت عنه فكرا و انتاجا، و غدت خطّا في الرسالة التي انطلقت ثورة، فكانت هي ركنا من أركانها التي لا يمكن فهم تاريخ الرسالة من دون فهم تاريخها.

و قد مثّلت الزهراء (عليها السّلام) أشرف ما في المرأة من إنسانية و صيانة و كرامة و قداسة و رعاية و عناية، بالإضافة إلى ما كانت عليه من ذكاء و وقاد و فطنة حادّة و علم واسع، و كفاها فخرا أنّها تربّت في مدرسة النبوة و تخرّجت من معهد الرسالة و تلقّت عن أبيها الرسول الأمين (صلى الله عليه و اله) ما تلقّاه عن ربّ العالمين، و ممّا لا شك فيه أنّها تعلّمت في دار أبيها ما لم تتعلّمه طفلة غيرها

ص: ٣٤

في مكة^{٤٥}.

لقد سمعت القرآن الكريم من النبيّ المصطفى و سمعته من عليّ المرتضى، و صلّت به و عبدت به ربّها بعد أن وعت أحكامه و فرائضه و سننه و عيا لم يحصل عليه غيرها من ذوى الشرف و المكرمات.

و نشأت الزهراء نشأة إيمان و يقين، نشأة وفاء و إخلاص و زهد، و علمت مع السنين أنّها سليلة شرف لا منازع لها فيه من واحدة من بنات حواء، فوثقت بكفاية هذه الشرف الذي لا يداني، و شبّت بين انطوائها على نفسها و اكتفائها بشرفها في دار الرسالة و عهد الايمان.

لقد نشأت الزهراء و هي تحذو حذو أبيها في كلّ كمال، حتى قالت عنها عائشة: ما رأيت أحدا من خلق الله أشبه حديثا و كلاما برسول الله (صلى الله عليه و اله) من فاطمة، و كانت إذا دخلت عليه أخذ بيدها فقبلها و رحّب بها و أجلسها في مجلسه، و كان إذا دخل عليها قامت اليه و رحّبت به و أخذت بيده فقبلتها^{٤٦}.

و من هنا نعرف السرّ أيضا في ما صرّحت به عائشة من أنّها لم تجد في الأرض امرأة كانت أحبّ الى رسول الله (صلى الله عليه و اله) من فاطمة، و قد علّلت هي ذلك بقولها: ما رأيت أحدا كان أصدق لهجة من فاطمة إلّا أن يكون الذي ولّدها (صلى الله عليه و اله)^{٤٧}.

و هكذا صارت الزهراء البتول صورة الانوثة الكاملة التي يتخشّع بتقديسها المؤمنون.

ص: ٣٥

١- علمها و معرفتها:

^{٤٥} (1) أهل البيت لتوفيق أبو علم: 116.

^{٤٦} (2) أهل البيت لتوفيق أبو علم: 116.

^{٤٧} (3) المصدر نفسه.

لم تكتف الزهراء فاطمة (عليها السلام) بما هيّا لها بيت الوحي من معارف و علوم، و لم تقتصر على الاستنارة العلمية التي كانت تهيّئها لها شمس العلم و المعرفة المحيطة بها من كلّ جانب.

لقد كانت تحاول في لقاءاتها مع أبيها رسول الله (صلى الله عليه و اله) و بعلمها باب مدينة علم النبي أن تكتسب من العلوم ما استطاعت، كما كانت ترسل ولديها الحسن و الحسين إلى مجلس الرسول (صلى الله عليه و اله) بشكل مستمر ثم تستنطقهما بعد العودة إليها، و هكذا كانت تحرص على طلب العلم كما كانت تحرص على تربية ولديها تربية فضلى، و لقد كانت تبذل ما تكتسبه من العلوم لسائر نساء المسلمين بالرغم من كثرة واجباتها البيئية.

إنّ هذا الجهد المتواصل لها في طلب العلم و نشره قد جعلها من كبريات رواة الحديث و من حملة السنّة المطهرة، حتى أصبح كتابها الكبير الذى كانت تعتزّ به أشدّ الاعتزاز يعرف باسم «مصحف فاطمة» و انتقل إلى أبنائها الأئمة المعصومين يتوارثونه كابرا عن كابر، كما سوف تلاحظه بالتفصيل في باب تراثها سلام الله عليها.

و يكفيك دليلا على ذلك و على سموها فكرا و كمالها علما ما جادت به قريحتها من خطبتين ^{٤٨} ألقتها بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه و اله) احدهما بحضور كبار الصحابة في مسجد الرسول (صلى الله عليه و اله) و الاخرى في بيتها، و قد تضمّنتا صورا رائعة من عمق فكرها و أصالته و اتساع ثقافتها و قوّة منطقتها و صدق نبوءاتها فيما ستنتهى اليه الامّة بعد انحراف القيادة، هذا فضلا عن رفعة أدبها و عظيم

ص: ٣٦

جهادها في ذات الله و فى سبيل الحقّ تعالى.

لقد كانت الزهراء (عليها السلام) من أهل بيت اتقوا الله و علّمهم الله - كما صرح بذلك الذكو الحكيم - و هكذا فطمها الله بالعلم فسمّيت فاطمة، و انقطعت عن النظر فسمّيت بالبتول.

٢- مكارم أخلاقها:

كانت فاطمة (عليها السلام): «كريمة الخليفة، شريفة الملكة، نبيلة النفس، جلييلة الحس، سريعة الفهم، مرهفة الذهن، جزلة المروءة، غراء المكارم، فيّاحة نقّاحة، جريئة الصدر، رابطة الجأش، حميّة الأنف، نائيّة عن مذاهب العجب، لا يحدّدها ماديّ الخيلاء، و لا ينشئ أعطافها الزهو و الكبرياء» ^{٤٩}.

لقد كانت سبطه الخليفة فى سماحة و هوادة إلى رحابة صدر وسعة أناء فى وقار و سكينه و رفق و رزانة و ركانة و رصانة و عفة و صيانة.

عاشت قبل وفاة أبيها متهلّلة العزة و ضّاحة المحبّا حسنة البشر باسمه الثغر، و لم تغرب بسمتها إلّا منذ وفاة أبيها (صلى الله عليه و اله).

^{٤٨} (1) راجع الخطبتين فيما سيأتي من أحداث حياتها بعد وفاة أبيها (صلى الله عليه و اله) من هذا الكتاب.
^{٤٩} (1) أهل البيت: 132 - 134.

كانت لا يجرى لسانها بغير الحقّ و لا تنطق إلّا بالصدق، لا تذكر أحدا بسوء، فلا غيبة و لا نميمة، و لا همز و لا لمز، تحفظ السرّ و تفي بالوعد، و تصدق النصيح و تقبل العذر و تتجاوز عن الإساءة، فكثيرا ما أقلت العثرة و تلقت الإساءة بالحلم و الصفح.

«لقد كانت عزوفة عن الشرّ، ميّالة إلى الخير، أمينة، صدوقة في قولها، صادقة في نيّتها و وفائها، و كانت في الذروة العالية من العفاف، طاهرة الذيل

ص: ٣٧

عفيفة الطرف، لا يميل بها هواها، إذ هي من آل بيت النبيّ الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهّرهم تطهيراً.

و كانت إذا ما كلّمت إنساناً أو خطبت في الرجال يكون بينها و بينهم ستر يحجبها عنهم عفة و صيانة.

و من عجيب صونها أنّها استقبحت بعد الوفاة ما يصنع بالنساء من أن يطرح على المرأة الثوب فيصفها^{٥٠}.

و كانت الزهراء (عليها السّلام) زاهدة قنوعة، موقنة بأنّ الحرص يفرّق القلب و يشتّت الأمر، مستمسكة بما قاله لها أبوها : «يا فاطمة! اصبري على مرارة الدنيا لتفوزي بنعيم الأبد» فكانت راضية باليسير من العيش، صابرة على شطف الحياة، قانعة بالقليل من الحلال، راضية مرضية، لا تطمح إلى ما لغيرها، و لا تستشرف ببصرها إلى ما ليس من حقّها، و ما كانت تنزّل إلى سؤال غير الله تعالى، فهي رمز لغنى النفس، كما قال أبوها (صلّى الله عليه و اله): «إنّما الغنى غنى النفس».

إنّها السيّدة البتول التي انقطعت إلى الله تعالى عن دنياها و عزفت عن زخارفها و صدف عن غرورها و عرفت آفاتّها، و صبرت على أداء مسؤولياتها و هي تعاني شطف العيش و لسانها رطب بذكر مولاه.

لقد كان همّ الزهراء الآخرة، فلم تحفل بمباهج الدنيا و هي ترى إغراض أبيها (صلّى الله عليه و اله) عن الدنيا و ما فيها من متع و لذائذ و شهوات.

و عرف عنها صبرها على البلاء و شكرها عند الرخاء و رضاها بواقع القضاء، و قد روت عن أبيها (صلّى الله عليه و اله): «إنّ الله إذا أحبّ عبداً ابتلاه، فإن صبر اجتبه و إن

ص: ٣٨

رضى اصطفاه»^{٥١}.

٣- جودها و ايثارها:

^{٥٠} (1) أهل البيت: 132 - 134.
^{٥١} (1) أهل البيت: 137.

و كانت على هدى أبيها فى جوده و سخائه، و قد سمعته يقول : «السخرى قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنة، بعيد عن النار، و أنّ الله سبحانه جواد يحبّ الجواد » و كان الإيتار من شعار المصطفى (صلى الله عليه و اله) حتى قالت بعض زوجاته: ما شبع ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا، و كان يقول (صلى الله عليه و اله): «و لو شئنا لشبعنا و لكنّا نؤثر على أنفسنا»^{٥٢}، و كانت الزهراء خير من يؤثر على نفسه اقتداء بأبيها حتى عرف عنها إيثارها بقميص عرسها ليلة زفافها سلام الله عليها، و كفى بما أوردناه فى سورة الدهر شاهدا على عظيم إيثارها و جميل سخائها.

و روى عن جابر بن عبد الله الأنصارى أنّه قال : صلى بنا رسول الله (صلى الله عليه و اله) صلاة العصر، فلما انفتل جلس فى قبلته و الناس حوله، فبيناهم كذلك إذ أقبل شيخ من مهاجرة العرب عليه سمل^{٥٣} قد تهلّل و أخلق، و لا يكاد يتم الكبر و ضعفا، فأقبل عليه رسول الله (صلى الله عليه و اله) يستحثّه الخبر، فقال الشيخ: يا نبيّ الله، أنا جائع الكبد فأطعمني، و عارى الجسد فاكسني، و فقير فأرشنى، فقال (صلى الله عليه و اله): «ما أجد لك شيئا، و لكنّ الدالّ على الخير كفاعله، إنطلق إلى منزل من يحبّ الله و رسوله، و يحبّه الله و رسوله، يؤثر الله على نفسه، انطلق إلى حجرة فاطمة». (و كان بيتها ملاصقا لبيت رسول الله (صلى الله عليه و اله) الذى ينفرد به لنفسه من

ص: ٣٩

أزواجه) و قال: «يا بلال قم فقف به على منزل فاطمة».

فانطلق الأعرابي مع بلال، فلما وقف على باب فاطمة؛ نادى بأعلى صوته : السلام عليكم يا أهل بيت النبوة، و مختلف الملائكة، و مهبط جبرئيل الروح الأمين بالتنزيل من عند ربّ العالمين، فقالت فاطمة : «عليك السلام، فمن أنت يا هذا؟» قال: شيخ من العرب أقبلت على أبيك السيد البشير من شقة، و أنا يا بنت محمد (صلى الله عليه و اله) عارى الجسد جائع الكبد فواسيني يرحمك الله.

و كان لفاطمة و علىّ و رسول الله (صلى الله عليه و اله) ثلاثا ما طعموا فيها طعاما، و قد علم رسول الله (صلى الله عليه و اله) ذلك من شأنهما، فعمدت فاطمة إلى جلد كبش مدّ بوع بالقرظ كان ينام عليه الحسن و الحسين، فقالت : «خذ أيّها الطارق، فعسى الله أن يختار لك ما هو خير فيه»، قال الأعرابي: يا بنت محمد، شكوت اليك الجوع فناولتني جلد كبش ما أصنع به مع ما أجد من السغب؟

قال: فعمدت لما سمعت هذا من قوله إلى عقد كان فى عنقها أهدته لها فاطمة بنت عمّها حمزة بن عبد المطلب، فقطعته من عنقها و نبذته الى الأعرابي و قالت: «خذ وبعه، فعسى الله أن يعوضك به ما هو خير منه».

فأخذ الأعرابي العقد و انطلق إلى مسجد رسول الله (صلى الله عليه و اله) و النبيّ جالس فى أصحابه فقال: يا رسول الله، أعطتري فاطمة هذا العقد، فقالت: «بعه».

قال فبكى رسول الله (صلى الله عليه و اله) و قال: «كيف لا يعوّضك به ما هو خير منه؟ ! و قد أعطتك فاطمة (عليها السلام) بنت محمد سيّدة بنات آدم».

^{٥٢} (2) أهل البيت: 138.

^{٥٣} (3) السمل: الثوب الخلق، و تهلّل الثوب: انخرأقه.

فقام عمار بن ياسر (رضي الله عنه) فقال: يا رسول الله، أتأذن لي بشراء هذا العقد؟ قال: «اشتره يا عمار، فلو اشترك فيه الثقلان ما عذبهم الله بالنار»، فقال عمار:

بكم العقد يا أعرابي؟ قال: بشبعة من الخبز واللحم و بردة يمانية أستر بها عورتى و اصلى بها لربى و دينار يبلغنى أهلى ...

ص: ٤٠

و كان عمار قد باع سهمه الذى نقله رسول الله (صلى الله عليه و اله) من خير و لم يبق معه شيئا، فقال : لك عشرون دينارا و مئتا درهم هجرية و بردة يمانية و راحلتى تبلغك أهلك، و شبعك من خبز البر و اللحم.

فقال الأعرابي: ما أسخاك بالمال يا رجل ! و انطلق به عمار فوفاه فأضمن له، و عاد الأعرابي إلى رسول الله (صلى الله عليه و اله) فقال له رسول الله (صلى الله عليه و اله):

«أشبعته و اكتسيت؟» قال الأعرابي: نعم، و استغنيت بأبى أنت و امى قال : «فأجز فاطمة بصنيعها» فقال الأعرابي: اللهم إنك إله ما استحدثناك و لا إله لنا نعبده سواك، و أنت رازقنا على كل الجهات، اللهم أعط فاطمة ما لا عين رأت و لا اذن سمعت.

فأمن النبي على دعائه و أقبل على أصحابه، فقال: «إن الله قد أعطى فاطمة فى الدنيا ذلك، أنا أبوها و لا أحد من العالمين مثلى، و على بعليها و لو لا على؛ لما كان لفا طمة كفؤ أبدا، و أعطاهما الحسن و الحسين و ما للعالمين مثلهما سيدا شباب أسباط الأنبياء و سيدا شباب أهل الجنة».

و كان بإزائه مقداد و عمار و سلمان . فقال: «و أزيدكم؟»، قالوا: نعم يا رسول الله، قال (صلى الله عليه و اله): «أتانى الروح - يعنى جبرئيل - أنها إذا هى قبضت و دفنت يسألها الملكان فى قبرها : من ربك؟ فتقول: الله ربى، فيقولان فمن نبيك؟ فتقول: أبى، فمن وليك؟ فتقول: هذا القائم على شفير قبرى ألا و أزيدكم من فضلها؟ إن الله قد و كل بها رعيلا من الملائكة يحفظونها من بين يديها و من خلفها و عن يمينها و عن شم الها، و هم معها فى حياتها و عند قبرها و عند موتها، يكثررون الصلاة عليها و على أبيها و على بعليها و بنيتها، فمن زارنى بعد وفاتى فكأنما زارنى فى حياتى، و من زار فاطمة فكأنما زارنى، و من زار على بن أبى طالب فكأنما زار فاطمة، و من زار الحسن و الحسين فكأنما زار عليا، و من زار ذريتهما فكأنما زارهما».

ص: ٤١

فعمد عمار إلى العقد فطّيه بالمسك، و لفّه فى بردة يمانية، و كان له عبد اسمه (سهم) ابتاعه من ذلك السهم الذى أصابه بخير، فدفع العقد إلى المملوك و قال له : خذ هذا العقد و ادفعه لرسول الله و أنت له، فأخذ المملوك العقد فأتى به رسول الله (صلى الله عليه و اله) فأخبره بقول عمار، فقال النبي (صلى الله عليه و اله): «انطلق الى فاطمة فادفع اليها العقد و أنت لها»، فجاء المملوك بالعقد و أخبرها بقول رسول الله (صلى الله عليه و اله) فأخذت فاطمة (عليها السلام) العقد و أعتقت

المملوك فضحك الغلام، فقالت: «ما يضحكك يا غلام؟»، قال: أضحكني عظم بركة هذا العقد، أشيع جائعا وكسى عريانا وأغنى فقيرا وأعتق عبدا ورجع إلى ربّه^{٥٤}.

٤- إيمانها وتعبدها لله:

الايمان بالله قيمة الإنسان الكامل، والتعبّد لله سلّم الوصول إلى قمم الكمال، وقد حاز الأنبياء والأولياء على مقاعد الصدق في دار الكرامة بما اشتملوا عليه من درجات الايمان وبما اجتهدوا في الدنيا وأخلصوا فيه من العبادة لله سبحانه.

وقد شهد القرآن الكريم - كما لاحظنا في سورة الدهر - على كمال إخلاصها وخشيتها لله سبحانه وعظيم إيمانها به وباليوم الآخر، وشهد الرسول (صلى الله عليه وآله) لها قائلا: «إن ابنتي فاطمة ملأ الله قلبها وجوارحها إيمانا إلى مشاشها ففرغت لطاعة الله»^{٥٥} وأخبر عن عبادتها «أنها متى قامت في محرابها بين يدي ربّها جلّ جلاله زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله عزّ وجلّ لملائكته: يا ملائكتي انظروا إلى أمتي فاطمة سيّدة إمائي قائمة بين يديّ ترتعد

ص: ٤٢

فرائضها من خيفتي وقد أقبلت بقلبها على عبادتي، أشهدكم أنّي قد أمّنت شيعتها من النار»^{٥٦}.

وقال الحسن بن علي (عليهما السلام): «رأيت أمتي فاطمة (عليها السلام) قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راکعة ساجدة حتى أتضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أمّاه! لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بنيّ الجار ثم الدار»^{٥٧}.

وكانت تخصّص الساعات الأخيرة من نهار الجمعة للدعاء، كما كانت لا تنام الليل في العشر الأخير من شهر رمضان المبارك وكانت تحرّض جميع من في بيتها بإحياء الليل بالعبادة والدعاء.

وقال الحسن البصري: ما كان في هذه الامة أعبد من فاطمة، كانت تقوم حتى تورّمت قدمها^{٥٨}. وكانت تنهج في صلاتها من خوف الله تعالى^{٥٩}.

وهل خرجت فاطمة في حياتها كلّها عن المحراب؟ وهل كانت حياتها كلّها إلّا السجود الدائم؟ فهي في البيت تعبد الله في حسن التبعل وفي تربية أولادها، وهي في قيامها بالخدمات العامة كانت تطيع الله وتعبدّه أيضا، كما أنّها في مواساتها للفقراء كانت تقوم بعبادة الله بنفسها وبأهل بيتها مؤثرة على نفسها.

ص: ٤٣

^{٥٤} (1) بحار الأنوار: 43/ 56- 58.

^{٥٥} (2) بحار الأنوار: 43/ 46، المشاش: رأس العظم اللّين.

^{٥٦} (1) أمالي الصدوق، المجلس: 24/ 100.

^{٥٧} (2) بحار الأنوار: 43/ 81- 82.

^{٥٨} (3) بحار الأنوار: 43/ 84.

^{٥٩} (4) إعلام الدين: 247، و عدة الداعي: 151.

٥- حنوّها و شفقتها:

«لمست الزهراء (عليها السلام) من أبيها حبّه و مودّته و حنوّه و شفقتها فكانت نعم البرّة به (صلّى الله عليه و اله)، أخلصت له في حبّها و ولائها و حنوّها و وفائها له، فأثّرت على نفسها، و كانت تتولّى تدبير بيت أبيها (صلّى الله عليه و اله) و تقوم بإدارته، فتجنّز ما يصلحه و تبثّ فيه الهدوء و الراحة له، و كانت تسارع إلى كلّ ما يرضى أباه رسول الله (صلّى الله عليه و اله)، تسكب له الماء ليغتسل و تهبّئ له طعامه و تغسل ثيابه، فضلا عن اشتراكها مع النساء في الغزو لحمل الطعام و الشراب و سقاية الجرحى و مداواتهم، و في غزوة أحد هبّى التى داوت جراح أبيها حينما رأت أنّ الدم لا ينقطع، فأخذت قطعة حصر فأحرقته حتى صار رمادا ثم ذرّت على الجرح فاستمسك الدم .. و جاءته فى حفر الخندق بكسرة من خبز فرفعتّها اليه فقال:

ما هذه يا فاطمة؟ قالت: من قرص اختبّزته لا بنىّ جئتكَ منه بهذه الكسرة، فقال:

«يا بنيّة: أما إنّها لأوّل طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيّام»^{٦٠}.

و قد استطاعت الزهراء أن تسدّ الفراغ العاطفى الذى كان يعيشه الرسول (صلّى الله عليه و اله) بعد أن فقد أبويه فى أول حياته و فقد زوجته الكريمة خديجة الكبرى فى أقسى ظروف الدعوة و الجهاد فى سبيل الله .

إنّ مواقف الامومة التى صدرت عن الزهراء بالنسبة لأبيها و حدّثنا التاريخ عن نتف منها تؤكّد نجاح فاطمة فى هذه المحاولة التى أعادت إلى النبى (صلّى الله عليه و اله) المصدر العاطفى الذى ساعده دون شك فى تحمّل الأعباء الرسالية الكبرى، و من هنا قد نفهم السرّ فى ما تكرّر على لسانه (صلّى الله عليه و اله) من أنّ «فاطمة أم أبيها»^{٦١}.

ص: ٤٤

إذ نرى أنّه كان يعاملها معاملة الام فيقبل يدها، و يبدأ بزيارتها عند عودته إلى المدينة، كما يودّعها و ينطلق من عندها فى كلّ رحلاته و غزواته، كان يتزوّد من هذا المنبع الصافى عاطفةً لسفره و رحلته، كما نلاحظ فى سيرته كثرة دخوله عليها فى حالات تعب و آلامه أو حال جوعه أو حال دخول ضيف عليه، ثم تقابله فاطمة (عليها السلام) كما تقابل الام ولدها فترعاه و تحتضنه و تخفّف آلامه كما تخدمه و تطيعه.

٦- جهادها المتواصل:

ولدت فاطمة فى حدّة الصراع بين الإسلام و الجاهليّة، و فتحت عينيها و المسلمون فى ضراوة الجهاد مع الوثنية الجائرة، لقد فرضت قریش الحصار على رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و بنى هاشم جميعا، فدخل الرسول مع زوجته المجاهدة و ابنته الطاهرة الشعب، و حاصرتهم ثلاث سنين و أذاقتهم فيها ألوان الحرمان، و هكذا عايشت الزهراء هذا الحصار القاسى و ذاقّت فى طفولتها مرارة الحرمان و شظف العيش دفاعا عن الحق و تضحية من أجل المبدأ.

^{٦٠} (1) راجع أهل البيت لتوفيق أبو علم: 141- 142.

^{٦١} (2) راجع اسد الغابة: 5/ 520، و الاستيعاب: 4/ 380.

و مرّت سنون الحصار صعبةً ثقيلةً، و خرج رسول الله منها منتصراً، و شاء الله أن يختار خديجةً لجواره في ذلك العام و يتوفى أبا طالب عمّ الرسول و حامى الدعوة و ناصر الإسلام، و يأخذ الحزن و الأسى من قلب الرسول (صلى الله عليه و اله) مأخذه بعد أن فقد أحبّ الناس إلى قلبه و أعزّهم عليه.

و هكذا رزّت فاطمة و هى لم تشيع بعد من حنان الامومة، و شاطرت أباهما المأساة و الألم بالرغم من أنّها قد فقدت مصدر الحنان الثر، و لقد صيّت قريش كلّ حقدها و أذاها على الرسول بعد وفاة عمّه و حاميه و الزهراء ترى بأمّ عينها ما يقوم به سفهاء قريش و طغاتهم من انتقاص الرسول و ايذائه و هو

ص: ٤٥

يريد إخراجهم من الظلمات إلى النور، و كان الرسول يحاول أن يخفّف عنها عبء الألم و يحتّنها على التجلّد قائلاً : «لا تبكى يا بنية، فإنّ الله مانع أباك و ناصره على أعداء دينه و رسالته»^{٦٢}، و هكذا يزرع الرسول في نفس ابنته روحاً جهادية عالية و يملأ قلبها بالصبر و الثقة بالنصر.

و هاجرت الزهراء بعد هجرة أبيها إلى المدينة في جوّ مكة المرعب مع ابن عمّها عليّ بن أبى طالب (عليه السّلام) الذى كان مستهيناً بكبرياء قريش و غرورها، ليلتحق بالرسول (صلى الله عليه و اله) فى «قباء» بعد أن تورّمت قدماء من مواصلة السير على قدميه.

و انتقلت الزهراء إلى بيت زوجها المتواضع فى المدينة بعد أن أرسى أبوها دعائم دولته المباركة، و شاركتة فى جهاده صابرةً على قساوة الحياة و مصاعب الجهاد فى سبيل الله، و هى تحاول أن تقدّم صورة الحياة العائلية الفريدة، و لعبت الزهراء دوراً بارزاً و شاقاً فى نصره الحقّ و الدفاع عن وصيّة الرسول (صلى الله عليه و اله) حينما وقفت موقفاً لا مثيل له إلى جانب عليّ بن أبى طالب (عليه السّلام) فى أخرج أيام حياته مؤكّدة أنّ الجبهة الداخلىة فى حياة عليّ صامدة لا تشعر بالضعف، و لكنها تترك تقدير الظروف و انتخاب الموقف لقائدها و زوجها الإمام، يقرّر و يصمّم و يأمر فيطاع.

لقد كانت الزهراء تأتى قبور الشهداء كلّ غداة سبت و تترحم عليهم و تستغفر لهم، و هذه البداية لأعمال الاسبوع تفصح عن مدى تقدير فاطمة للجهاد و للشهادة، و تعبّر بوضوح عن حياتها العمليّة التى تبدأ بالجهاد و تستند على الجهاد و التضحية إلى درجة الاستشهاد^{٦٣}.

ص: ٤٧

الباب الثّانى فيه فصول:

الفصل الأوّل:

نشأة الزهراء فاطمة (عليها السّلام)

^{٦٢} (1) سيرة المصطفى: 205، و راجع تاريخ الطبري: 1 / 426 (طبع دار الفكر- بيروت).
^{٦٣} (2) من مقدّمات فاطمة الزهراء و ترفي غمد، للسيد موسى الصدر.

الفصل الثاني:

مراحل حياة فاطمة الزهراء (عليها السلام)

الفصل الثالث:

الزهراء (عليها السلام) مع أبيها رسول الله (صلى الله عليه و اله)

ص: ٤٩

الفصل الأول نشأة الزهراء فاطمة (عليها السلام)

١- شخصية السيدة خديجة «أم فاطمة» (عليهما السلام):

ولدت السيدة خديجة بنت خويلد زوجة النبي الأولى من أ بوين قرشيين كلاهما من أعرق الاسر في الجزيرة العربية، و قد اجتمع لها بالإضافة إلى هذا النسب الرفيع، الذكر الطيب و الخلق الكريم و الصفات الفاضلة، و بلغ من علو شأنها أنها كانت قبل أن تتزوج بالنبي (صلى الله عليه و اله) تعرف بالطاهرة و سيدة نساء قريش، و هى مع ذلك من أثرياء قريش و أوسعهم جاها و مفضورة على التدين بعاملى الوراثة و التربية، فأبوها خويلد هو الذى نازع (تبعا الآخر) ملك اليمن حين أراد أن يحمل الحجر الأسود معه إلى اليمن، فتصدى له و لم ترهبه قوته و كثرة أنصاره حرصا منه على هذا النسك من مناسك دينه^{٦٤}.

و أسد بن عبد العزى - جد السيدة خديجة - كان من المبرزين فى حلف الفضول الذى تداعت له قبائل من قريش، فتعاقدوا و تعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها أو غيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلّا قاموا معه و كانوا على من ظلمه حتى ترد مظلمته، و قد قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): «لقد

ص: ٥٠

شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لى به حمر النعم، و لو ادعى به فى الإسلام لأجبت»^{٦٥}.

و ابن عمها ورقة بن نوفل كان يعكف على دراسة كتب النصارى و اليهود، و يعمل بما يستحسنه منهما، لا لأنه كان ي عاشر النصارى و اليهود، و لا لأن مكة كانت مقرا لهما، بل لأنه كان يسخر من عبادة الأصنام و التماثيل و يبحث عن دين يطمئن إليه^{٦٦}.

إذن كانت السيدة خديجة من اسرة عريقة معروفة بالعلم و الديانة، و كان ذووها على الحنيفية دين إبراهيم (عليه السلام)، و ممن ينتظرون ظهور دين الحق فى بلاد الجزيرة العربية^{٦٧}.

^{٦٤} (١) سيرة الأئمة الإثني عشر، للسيد هاشم معروف الحسنى 42/ 1.

^{٦٥} (١) سيرة ابن هشام: 134 ط دار المعرفة بيروت.

^{٦٦} (2) سيرة الأئمة الإثني عشر: 42/ 1.

نشاطها التجارى:

خطب أشراف قریش السيِّدة خديجة و قدّموا لها العروض المغريّة فلم تستجب لأحد منهم^{٦٨}، و ظلّت تعيش بعيدة عن الرجال و مشاكلهم طبيّة النفس مرتاحة الضمير، لأنّ أكثر الخاطبين كانوا يضعون فى حساباتهم ثروتها الواسعة حتى بلغت الأربعين من عمرها.

كانت فى يدى السيِّدة خديجة أموال طائلة، و لكنّها لم تترك هذه

ص: ٥١

الأموال راكدة و لم تراب بها فى زمان كان الربا رائجا، و إنّما استثمرت هذه الأموال فى التجارة و استخدمت رجالا صالحين لهذا الغرض، و استطاعت أن تكسب عن طريق التجارة ثروة ضخمة.

و يروى المحدثون أنّ السيِّدة خديجة كانت ترسل فى تجارتها إلى الشام جماعة بأجر معين، و قبيل زواجها بالنبيّ أرسلت اليه ليذهب فى تجارتها و بذلت له ضعفى ما كانت تبذله لغيره لأنّه كان حديث الناس رجالا و نساء فى أمانته و صدقه و اسقامته، فوافق على طلبها بعد أن استشار عمّه أبا طالب، و أرسلت معه غلامها ميسرة لخدمة القافلة و رعايتها، و كانت الرحلة ناجحة و موفقة بشكل لم توقّع له رحلة قبلها، و أسرع ميسرة قبل دخول القافلة مشارف مكة ليخبر خديجة بما جرى و ما حدث لمحمد (صلّى الله عليه و اله) فى طريقه مع بحيرا الراهب و غيره.

و من نبوغ و حدة ذكاء السيِّدة خديجة و نظرتها البعيدة أنّها أدركت عظمة شخصية الرسول الأكرم (صلّى الله عليه و اله) و سموّ أخلاقه قبل تكليفه برسالة السماء، فاختارته زوجا لها من دون الرجال و الشخصيات المرموقة الذين تقدّموا لخطبتها، بل إنّها هى التى تقدّمت و عرضت نفسها و رغبت فى الاقتران به، على رغم البون الشاسع بين حياتها المادية و حياته البسيطة.

و جاء فى تاريخ البعقوبى عن عمار بن ياسر أنّه قال : أنا أعلم الناس بزواج خديجة بنت خويلد من رسول الله (صلّى الله عليه و اله)، لقد كنت صديقا له و إنّنا لنمشى يوما بين الصفا و المروة و إذا بخديجة و اختها هالة معها، فلمّا رأت رسول الله (صلّى الله عليه و اله) جاءتنى اختها هالة و قالت : يا عمار! ما لصاحبك رغبة فى خديجة؟ فقلت لها : و الله لا أدري، فرجعت اليه و ذكرت ذلك له، فقال لى:

إرجع فواضعها وعدّها يوما نأيتها فيه، فلمّا كان ذلك اليوم أرسلت إلى عمّها

^{٦٧} (3 و 4) و من هنا يظهر أنّها لم تتزوَّج أحدا قبل الرسول (صلّى الله عليه و اله) فضلا عن أن تكون قد تزوّجت بزوجين مشركين و فاقدين لأيّ مكانة بين الناس، و يؤيد ذلك ما جاء به البلاذري فى أنساب الأشراف و أبو القاسم الكوفي فى الاستغاثة و غيرهما . راجع الصحيح من السيرة للعالمى و كامل بهائي لعماد الدين طبري و مناقب ابن شهر آشوب
و عن ابن عباس أنّ عمرها حين الاقتران بالرسول (صلّى الله عليه و اله) كان 28 عاما. راجع شذرات الذهب: 14 / 1، و أنساب الأشراف: 98 / 1.

^{٦٨} (3 و 4) و من هنا يظهر أنّها لم تتزوَّج أحدا قبل الرسول (صلّى الله عليه و اله) فضلا عن أن تكون قد تزوّجت بزوجين مشركين و فاقدين لأيّ مكانة بين الناس، و يؤيد ذلك ما جاء به البلاذري فى أنساب الأشراف و أبو القاسم الكوفي فى الاستغاثة و غيرهما . راجع الصحيح من السيرة للعالمى و كامل بهائي لعماد الدين طبري و مناقب ابن شهر آشوب
و عن ابن عباس أنّ عمرها حين الاقتران بالرسول (صلّى الله عليه و اله) كان 28 عاما. راجع شذرات الذهب: 14 / 1، و أنساب الأشراف: 98 / 1.

عمرو بن أسد و دهنت لحيته و أَلقت عليه حبرا، ثم حضر رسول الله (صَلَّى الله عليه و اله) في نفر من أعمامه يتقدّمهم أبو طالب، فخطب في الحاضرين، و تمّ الزواج بينهما.

و أضاف عمّار: أنّها لم تستأجره في تجارتها و لم يكن أجيرا لأحد أبداً^{٦٩}.

٢- زواج النبي (صَلَّى الله عليه و اله) بخديجة:

ولد محمّد (صَلَّى الله عليه و اله) في بيت من أرفع بيوت العرب شأنا و أعلاها مجدا و أكثرها عزّة و منعة، فنامى و ترعرع و شبّ، و شبّت معه آمال الحياة كلّها، و قد شاء الله أن يرّبي محمّدا (صَلَّى الله عليه و اله) و يعدّه و يؤهّله لحمل الرسالة و الاضطلاع بتبليغ الأمانة، فأحاطه برعاية خاصّة رسمت حياته وفق قدر ربّاني متناسب مع ما ينتظره من عظم المسؤولية في حمل آخر رسالة عالمية إلهية.

و حين بلغ محمّد (صَلَّى الله عليه و اله) سن الخامسة و العشرين من عمره الشريف كان لا بدّ له من الاقتران بامرأة تناسب إنسانيته و تتجاوب مع عظيم أهدافه و ترتفع إلى مستوى حياته بما ينتظرها من جهاد و بذل و صبر، لقد كان بإمكان محمّد (صَلَّى الله عليه و اله) و هو بهذه المؤهلات الراقية أن يتزوج من أية فتاة أرادها من بنى هاشم، و لكن مشيئة الله شاءت أن يتّجه قلب خديجة نحوه صلوات الله عليه، و يتعلّق قلبها بشخصه الكريم فيقبل (صَلَّى الله عليه و اله) ذلك الطلب و يقترن بخديجة.

لقد أعطت خديجة زوجها حبّا و هي لا تشعر بأنّها تعطي، بل تأخذ

منه حبّا فيه كلّ السعادة، و أعطته ثروة و هي لا تشعر بأنّها تعطي، بل تأخذ منه هداية تفوق كنوز الأرض، و هو بدوره أعطها حبّا و تقديرا رفعاها إلى أعلى مرتبة و هو لا يشعر بأنّه قد أعطها، بل قال : ما قام الإسلام إلّا بسيف علىّ و مال خديجة، و لم يتزوّج غيرها حتى توفّيت و هو لا يشعر بأنّه أعطها.

و قصة زواج خديجة من رسول الله (صَلَّى الله عليه و اله) تعدّ منعطفًا مهما و من النقاط اللامعة في حياتها، فقد كانت لها روح الاستقلال و الاعتماد على النفس و الحرية بشكل واضح، و كانت تمارس التجارة كأفضل الرجال عقلا و رشدا، و رفضت الزواج من الأشراف و الأثرياء الذين تقدّموا إليها، و رضيت باندفاع للزواج من محمّد (صَلَّى الله عليه و اله) الفقير اليتم، بل تقدّمت بشوق لتقترح على محمّد (صَلَّى الله عليه و اله) الزواج منها، و أن يكون المهر من أموالها، فلمّا أراد الرسول (صَلَّى الله عليه و اله) أن يتزوّج خديجة بنت خويلد أقبل أبو طالب في أهل بيته و معه نفر من قريش حتى دخل على عمّ خديجة، فابتدأ أبو طالب بالكلام قائلا:

^{٦٩} (1) أورد حديث زواجه منها على هذا النحو ابن كثير في تأريخه البداية و النهاية 2/ 361 بعد أن أورد الصورة الاولى الشائعة بين المحدثين

«الحمد لربّ هذا البيت الذى جعلنا زرع إبراهيم و ذرية اسماعيل، و أنزلنا حرما أمنا و جعلنا الحكام على الناس، و بارك لنا فى بلدنا الذى نحن فيه، ثم إنّ ابن أخى - يعنى محمدا (صلى الله عليه و اله) - ممن لا يوزن برجل من قريش إلّا رجح به، و لا يقاس به رجل إلّا عظم عنه، و لا عدل له فى الخلق و إن كان مقلا فى المال فإنّ المال رقد جار و ظل زائل، و له فى خديجة رغبة، و قد جئناك لنخطبها إليك برضاها و أمره، و المهر علىّ فى مالى الذى سألتموه عاجله و آجله، و له و ربّ هذا البيت حظّ عظيم و دين شائع و رأى كامل».

ثم سكت أبو طالب، فتكلّم عمّها و تلجلج و قصر عن جواب أبى

ص: ٥٤

طالب و أدركه القطع و البهر و كان رجلا عالما، فتداركت خديجة الموقف و زوجت نفسها من محمّد (صلى الله عليه و اله) ^{٧٠}.

و يروى أنّ خديجة و كلّت ابن عمّها ورقة فى أمرها، فلمّا عاد ورقة إلى منزل خديجة بالبشرى و هو فرح مسرور نظرت إليه فقالت: مرحبا و أهلا بك يا ابن عمّ، لعلك قضيت الحاجة، قال : نعم يا خديجة يهنئك، و قد رجعت أحكامك إلىّ و أنا وكيلىك، و فى غداة غد ازوجك إن شاء الله تعالى بمحمّد (صلى الله عليه و اله) ^{٧١}.

و لمّا خطب أبو طالب (عليه السّلام) الخطبة المعروفة و عقد النكاح قام محمّد (صلى الله عليه و اله) ليذهب مع أبى طالب، فقالت خديجة: إلى بيتك، فبيتى بيتك و أنا جاريتك ^{٧٢}.

و بعد أن تمّ الزواج المبارك انتقل رسول الله (صلى الله عليه و اله) إلى دار خديجة، تلك الدار التى ظلّت معلما شاخصا و لسانا ناطقا يحكى أحداث الدعوة و الجهاد و صبر رسول الله (صلى الله عليه و اله) و معاناته.

مكانة خديجة (رضى الله عنها) لدى النبيّ (صلى الله عليه و اله):

اجتمع شمل محمّد (صلى الله عليه و اله) و خديجة و تأسست الأسرة و بنى البيت الذى يغمره الحبّ و السعادة و الحنان و الدفء العائلى و الانسجام، فقد كانت أول من آمن بدعوة الرسول الأكرم (صلى الله عليه و اله) من النساء، و بذلت كلّ ما بوسعها من أجل أهدافه المقدسة، و جعلت ثروتها بين يدي الرسول (صلى الله عليه و اله) و قالت:

ص: ٥٥

جميع ما أملك بين يديك و فى حكمك، اصرفه كيف تشاء فى سبيل إعلاء كلمة الله و نشر دينه.

و تحمّلت مع رسول الله (صلى الله عليه و اله) عذاب قريش و مقاطعتها و حصارها، و كان هذا الإخلاص الفريد و الايمان الصادق و الحبّ المخلص من خديجة حريّا أن يقابله رسول الله (صلى الله عليه و اله) بما يستحقّ من الحبّ و الإخلاص

^{٧٠} (1) بحار الأنوار: 14 / 16، و راجع تذكرة الخواص: 302.

^{٧١} (2) بحار الأنوار: 65 / 16.

^{٧٢} (3) بحار الأنوار: 4 / 16.

و التكریم، و بلغ من حبّه لها و عظیم مكانتها فى نفسه الطاهرة أنّ هذا الحب و الوفاء لم يفارق رسول الله (صلّى الله عليه و اله) حتى بعد موتها، و لم تستطع أىّ من زوجاته أن تحتل مكانها فى نفسه، حتى قال الرسول (صلّى الله عليه و اله): و خير نساء امتى خديجة بنت خويلد...^{٧٣}.

و عن عائشة أنّها قالت: كان رسول الله (صلّى الله عليه و اله) إذا ذكر خديجة لم يسأم من الثناء عليها و الاستغفار لها، فذكرها ذات يوم فحملتنى الغيرة فقلت:

و هل كانت إلّا عجوزا قد أخلف الله لك خيرا منها؟ قالت: فغضب حتى اهتز مقدّم شعره و قال: «و الله ما أخلف لى خيرا منها، لقد آمنت بى إذ كفر الناس، و صدّقتنى إذ كذّبني الناس و أنفقتنى ما لها إذ حرمنى الناس، و رزقنى الله أولادها إذ حرمنى أولاد النساء». قالت: فقلت فى نفسى: و الله لا أذكرها بسوء أبداً^{٧٤}.

و فى رواية: أنّ جبرئيل (عليه السلام) أتى رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و قال: «يا محمد! هذه خديجة قد أتتك فاقرأها السلام من ربّها، و بشرها ببيت فى الجنة من قصب، لا صخب فيه و لا نصب»^{٧٥}.

و كان (صلّى الله عليه و اله) يحترم صديقاتها إكراما و تقديرا لها، كما جاء عن أنس أنّ النّبى (صلّى الله عليه و اله) كان إذا أتى بهدية قال: «إذهبى إلى بيت فلانة فإنّها كانت صديقة

ص: ٥٦

لخديجة، إنّها كانت تحبّها»^{٧٦}.

و روى عنه (صلّى الله عليه و اله) أنّه كان إذا ذبح الشاة يقول: «أرسلوا إلى أصدقاء خديجة»، فتسأله عائشة فى ذلك فيقول: «إنّى لأحب حبيبها».

و روى أنّ امرأة جاءته (صلّى الله عليه و اله) و هو فى حجرة عائشة فاستقبلها و احتفى بها، و أسرع فى قضاء حاجتها، فتعجّبت عائشة من ذلك، فقال لها رسول الله (صلّى الله عليه و اله): «إنّها كانت تأتينا فى حياة خديجة».

إنّ خديجة لتستحق كلّ هذا التقدير و الاحترام من رسول الله (صلّى الله عليه و اله) بعد أن بلغت المقام السامى و الدرجة العالية عند الله حتى حباها ربّ العالمين بالدرجة الرفيعة فى الجنة، و قد أوضح رسول الله مكانتها فى الجنة بقوله (صلّى الله عليه و اله): «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، و فاطمة بنت محمد، و مريم بنت عمران، و آسية بنت مزاحم امرأة فرعون»^{٧٧}.

و كانت خديجة تؤازره على أمره فى تبليغ الدعوة، فخفف الله عن رسوله (صلّى الله عليه و اله) بمؤازرتها، فكانت تسرّه و تروّح عنه عند ما كان يجد قسوة و غلظة أو ما يكره من ردّ و تكذيب من قريش فيحزن فإذا رجع إلى داره هوّنت عليه

^{٧٣} (1) تذكرة الخواص: 302 (طبعة النجف)، و راجع مسند الإمام أحمد: 1/ 143.

^{٧٤} (2) تذكرة الخواص: 303.

^{٧٥} (3) المصدر السابق: 302.

^{٧٦} (1) سفينة البحار: 2/ 570 (الطبعة المحققة).

^{٧٧} (2) ذخائر العقبى، للطبري: 52، و مستدرك الحاكم: 3/ 160 و 185.

معاناته (صلى الله عليه و اله) و بثت فيه النشاط كى لا يشعر بالتعب، و كان الرسول (صلى الله عليه و اله) يسكن اليها و يشاورها فى المهم من اموره ^{٧٨}.

٣- الأمر الإلهى فى خلق فاطمة (عليها السلام):

قد هيأ الله سبحانه و تعالى البيئة الصالحة لتكوين شخصية الصديقة الطاهرة فاطمة (عليها السلام)، فالأب الرسول الأكرم (صلى الله عليه و اله) و الام خديجة (عليها السلام).

ص: ٥٧

و الروايات تحدثنا عن مزيد من الاهتمام الربانى و العناية الإلهية فى مسألة خلق الزهراء و وجودها، و أشار رسول الله (صلى الله عليه و اله) إلى هذه المسألة فى مواطن عديدة.

فقد روى أن النبى (صلى الله عليه و اله) بينما كان جالسا بالأبطح إذ هبط عليه جبرئيل (عليه السلام) فناداه: «يا محمد! العلى الأعلى يقرئك السلام، و هو يأمرك أن تعتزل خديجة أربعين صباحا» فبعث إلى خديجة بعمار بن ياسر و أخبرها بالأمر الإلهى، و أقام النبى (صلى الله عليه و اله) أربعين يوما يصوم نهارا و يقوم ليلا، فلما كان تمام الأربعين هبط جبرئيل (عليه السلام) فقال: «يا محمد! العلى الأعلى يقرئك السلام، و هو يأمرك أن تتأهب لتحيتته و تحفته». فبينما النبى (صلى الله عليه و اله) كذلك إذ هبط ميكائيل و معه طبق مغطى بمنديل سندس، فوضعه بين يدى النبى (صلى الله عليه و اله) و أقبل جبرئيل (عليه السلام) و قال: «يا محمد! يأمرك ربك أن تجعل الليلة إفطارك على هذا الطعام».

فأكل النبى (صلى الله عليه و اله) شبعاً و شرب من الماء رباً، ثم قام ليصلى فأقبل عليه جبرئيل و قال: «الصلاة محرمة ^{٧٩} عليك فى وقتك حتى تأتى منزل خديجة، فإن الله - عز و جل - آلى على نفسه أن يخلق من صلبك فى هذه الليلة ذرية طيبة». فوثب رسول الله (صلى الله عليه و اله) إلى منزل خديجة رضى الله عنها.

قالت خديجة رضى الله عنها: و كرت قد ألفت الوحدة، فكان إذا جننى الليل غطيت رأسى، و أسجفت سترى و غلقت بابى، و صليت وردى، و أطفأت مصباحى، و آويت إلى فراشى، فلما كان تلك الليلة لم أكن بالنائمة و لا بالمنتبهة، إذ جاء النبى ففرع الباب فناديت: «من هذا الذى يقرع حلقة لا يقرعها إلا محمد (صلى الله عليه و اله)؟» .. قالت خديجة: فنادى رسول الله (صلى الله عليه و اله) بعذوبة

ص: ٥٨

كلامه و حلاوة منطقة: «افتحى يا خديجة، فإنى محمد» و فتحت الباب و دخل النبى المنزل، فلا و الذى سمك السماء و أنبع الماء ما تباعد عنى النبى (صلى الله عليه و اله) حتى أحسست بثقل فاطمة فى بطنى ^{٨٠}.

^{٧٨} (3) بحار الأنوار: 10 / 16 - 11.

^{٧٩} (1) قد يكون المراد هو الصلاة النافلة

^{٨٠} (1) بحار الأنوار: 16 / 79 - 80، و روى هذا المضمون. الذهبى فى ميزان الاعتدال: 3 / 540، و الخطيب البغدادي فى تاريخه: 5 / 87، و محب الدين الطبري فى ذخائر العقبى: 54 - 55.

٤- انس خديجة بفاطمة (عليها السلام):

لَمَّا تَزَوَّجَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) هَجَرَهَا نِسْوَةُ مَكَّةَ وَكَانَ لَا يَكَلِّمُهَا وَلَا يَدْخُلُنَ عَلَيْهَا، فَلَمَّا حَمَلَتْ بِالزَّهْرَاءِ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) كَانَتْ إِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مِنْ مَنْزِلِهَا تَكَلِّمُهَا فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ فِي بَطْنِهَا مِنْ ظِلْمَةِ الْأَحْشَاءِ، وَتَحَدِّثُهَا وَتَوَاسِيهَا، فَدَخَلَ يَوْمًا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَسَمِعَ خَدِيجَةَ تَحَدِّثُ فَاطِمَةَ فَقَالَ لَهَا: «يَا خَدِيجَةُ! مَنْ تَكَلِّمِينَ؟» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْجَنِينَ الَّذِي أَنَا حَامِلٌ بِهِ إِذَا أَنَا خَلَوْتُ بِهِ فِي مَنْزِلِي كَلَّمَنِي وَحَدَّثَنِي مِنْ ظِلْمَةِ الْأَحْشَاءِ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ثُمَّ قَالَ: «يَا خَدِيجَةُ! هَذَا أَخِي جَبْرِئِيلُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يُخْبِرُنِي أَنَّهَا ابْنَتِي، وَأَنَّهَا النَّسَمَةُ الطَّاهِرَةُ الْمُطَهَّرَةُ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَنِي أَنْ أَسَمِّيَهَا «فَاطِمَةَ» وَسَيَجْعَلُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذُرِّيَّتِهَا أُمَّةً يَهْتَدِي بِهِمُ الْمُؤْمِنُونَ»^{٨١}.

و روى أَنَّهُ لَمَّا سَأَلَ الْكَفَّارَ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَنَّهُ يَرِيهِمْ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ - وَ قَدْ بَانَ لِخَدِيجَةَ حَمْلُهَا بِفَاطِمَةَ وَ ظَهَرَ - قَالَتْ خَدِيجَةُ: وَ أَخِيْبَةُ مِنْ كَذَبٍ مُحَمَّدًا وَ هُوَ خَيْرُ رَسُولٍ وَ نَبِيٍّ فَنَادَتْ فَاطِمَةَ مِنْ بَطْنِهَا : يَا أُمَّاهُ! لَا تَحْزَنِي وَ لَا تَرْهَبِي فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ أَبِي^{٨٢}.

ص: ٥٩

إِنَّ خَدِيجَةَ الَّتِي وَقَفَتْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ فِي أَيَّامِ مُحَنَّتِهِ الْأُولَى وَ تَعَرَّضَتْ لِهَجْرَانِ النِّسَاءِ عَوَّضَهَا اللَّهُ عَلَى صَبْرِهَا وَ بِذَلِكَ الْغَالِي وَ النَّفِيسِ مِنْ أَجْلِ نَشْرِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَوَّضَهَا بِالْبُشْرَى بِحَمْلِهَا بِهِذِهِ الْبِنْتِ الَّتِي سَيَكُونُ لَهَا وَ لَذُرِّيَّتِهَا شَأْنٌ عَظِيمٌ.

٥- فاطمة الوليدة:

انْقَضَتْ أَيَّامُ الْحَمْلِ وَ اقْتَرَبَ مَوْعِدُ الْوِلَادَةِ وَ لَمْ تَزَلْ خَدِيجَةُ تَأْنَسُ بِجَنِينِهَا وَ تَعِيشُ الْأَمَلَ عَلَى الْفَرَحَةِ بِالْوِلَادَةِ، فَلَمَّا حَضَرَتْهَا الْوِلَادَةُ أَرْسَلَتْ إِلَى نِسَاءِ قَرِيْشٍ وَ نِسَاءِ بَنِي هَاشِمٍ أَنْ يَجْتَنَّ وَ يَلِينَ مِنْهَا مَا تَلَى النِّسَاءُ مِنَ النِّسَاءِ فِي مِثْلِ هَذَا الظَّرْفِ، فَأَرْسَلْنَ إِلَيْهَا: عَصِيْبَتُنَا وَ لَمْ تَقْبَلِي قَوْلَنَا، وَ تَزَوَّجَتْ مُحَمَّدًا يَتِيمَ أَبِي طَالِبٍ، فَقَبِيْرًا لَا مَالَ لَهُ، فَلَسْنَا نَجِيءَ وَ لَا نَلِي مِنْ أَمْرِكَ شَيْئًا، فَاعْتَمَتِ خَدِيجَةُ لَذَلِكَ، فَبَيْنَمَا هِيَ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهَا أَرْبَعُ نِسْوَةٍ طَوَالَ كَأَنَّهُنَّ مِنْ نِسَاءِ بَنِي هَاشِمٍ، فَفَزَعَتْ مِنْهُنَّ، فَقَالَتْ إِحْدَاهُنَّ: لَا تَحْزَنِي يَا خَدِيجَةُ، فَإِنَّا رَسَلُ رَبِّكَ إِلَيْكَ، وَ نَحْنُ أَخَوَاتُكَ، أَنَا سَارَةُ وَ هَذِهِ آسِيَةُ بِنْتُ مَزَاحِمٍ وَ هِيَ رَفِيقَتُكَ فِي الْجَنَّةِ، وَ هَذِهِ مَرِيْمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَ هَذِهِ كَلْثَمُ أُخْتِ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ، بَعَثَنَا اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْكَ لِنَلِي مِنْ أَمْرِكَ مَا تَلَى النِّسَاءُ مِنَ النِّسَاءِ فَجَلَسَتْ وَاحِدَةً عَنْ يَمِينِهَا وَ الْآخَرَى عَنْ يَسَارِهَا وَ الثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهَا وَ الرَّابِعَةُ مِنْ خَلْفِهَا، فَوَضَعَتْ فَاطِمَةُ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) طَاهِرَةً مُطَهَّرَةً، فَلَمَّا سَقَطَتْ إِلَى الْأَرْضِ أَشْرَقَ مِنْهَا نُورٌ حَتَّى دَخَلَ بَيُوتَاتُ مَكَّةَ، فَتَنَاوَلَتْهَا الْمَرْأَةُ الَّتِي بَيْنَ يَدَيْهَا فَعَسَلَتْهَا بِمَاءِ الْكُوْثَرِ وَ أَخْرَجَتْ خَرْقَتَيْنِ بَيَاضَاوَيْنِ فَلَفَّتْهَا بِوَاحِدَةٍ وَ قَنَعَتْهَا بِالثَّانِيَةِ، ثُمَّ اسْتَنْطَقَتْهَا فَنَطَقَتْ فَاطِمَةُ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) بِالشَّهَادَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَتْ عَلَيْهِنَّ وَ سَمَّتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ بِاسْمِهَا، وَ أَقْبَلْنَ يَضْحَكْنَ إِلَيْهَا،

ص: ٦٠

^{٨١} (٢) عَنْ الثَّاقِبِ فِي الْمَنَاقِبِ (لِلطُّوسِيِّ): ١٨٧. رَاجِعْ مَسْنَدَ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) لِلتَّوَيْسِرْكَانِيِّ: ٧٥.
^{٨٢} (٣) عَنْ الرُّوْضِ الْفَائِقِ: ٣١٤، وَ الْجَنَّةِ الْعَاصِمَةِ: ١٩٠، رَاجِعْ مَسْنَدَ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ): ٧٧.

وقالت النسوة: خذيها يا خديجة طاهرة مطهرة زكية ميمونة، بورك فيها و في نسلها، فتناولتها فرحة مستبشرة، و ألقمتها نديها فدرّ عليها^{٨٣}.

و كانت خديجة إذا ولدت ولدا دفعته لمن يرضعه، فلمّا ولدت فاطمة (عليها السلام) لم يرضعها أحد غير خديجة^{٨٤}.

٦- تاريخ الولادة:

اختلف المؤرخون في تاريخ ولادتها (عليها السلام) إلّا أنّ المشهور بين مؤرّخي الإمامية أنّه في يوم الجمعة في العشرين من شهر جمادى الآخرة في السنة الخامسة من البعثة، بينما قال غيرهم: إنّها ولدت قبل البعثة بخمس سنين^{٨٥}.

روى أبو بصير عن أبي عبد الله جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال: «ولدت فاطمة في جمادى الآخرة يوم العشرين سنة خمس وأربعين من مولد النبيّ (صلى الله عليه و اله)، فأقامت بمكة ثمان سنين و بالمدينة عشر سنين، و بعد وفاة أبيها خمسة و سبعين يوما، و قبضت في جمادى الآخرة يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه سنة إحدى عشرة من الهجرة»^{٨٦}.

و من أسمائها: الصديقة هي الكثيرة التصديق، و قد كانت سلام الله

ص: ٦١

عليها مصدقة لأبيها صادقة في أقوالها صدوقة في أفعالها في أفعالها و وفائها، فهي الصديقة الكبرى، و على معرفتها دارت القرون كما ورد عن حفيدها الصادق (عليه السلام)^{٨٧}.

و المباركة باعتبار الخير الكثير الذي يأتي من قبلها، و قد وصفها القرآن الكريم بالكوثر باعتبار أنّ النبيّ (صلى الله عليه و اله) قد انقطع نسله إلّا منها، فهي أمّ الأئمة الأطهار و أمّ الذريّة الطاهرة لرسول الله (صلى الله عليه و اله)، و كثرة الذريّة- التي دافعت عن رسالة محمد (صلى الله عليه و اله) و تحمّلت أعباء الوقوف أمام الظالمين و المنحرفين عنها- هي الخير الكثير أو أهمّ مصاديقه التي أعطاهها اللّٰه لرسوله كما نصّ عليه في سورة الكوثر.

و عن ابن عباس أنّ الرسول (صلى الله عليه و اله) قال: «ابنتي فاطمة حوراء آدمية، لم تحض و لم تطمث، و إنّما سمّاها فاطمة لأنّ الله فطمها و محببها عن النار»^{٨٨}.

و عنه (صلى الله عليه و اله): «أنّ فاطمة حوراء إنسيّة، كلّما اشتقت إلى الجنّة قبلتها»^{٨٩}.

^{٨٣} (1) دلائل الإمامة: 8 و 9، نزهة المجالس: 2/ 227، بحار الأنوار: 16/ 80-81، أمالي الصدوق: 475.

^{٨٤} (2) عوالم العلوم: 11/ 46 عن البداية و النهاية: 5/ 307 (طبع مصر).

^{٨٥} (3) تذكرة الخواص (لعبد الرحمن بن الجوزي): 306، محمد بن يوسف الحنفي في نظم درر السمطين 175، الطبري في ذخائر العقبي: 62، مقاتل الطالبين (لأبي الفرج الإصفيهاني): 30، و من مصادر الإمامية: ابن شهر آشوب: 3/ 357، الكليني في أصول الكافي: 1/ 458، بحار الأنوار: 43/ 6-9.

^{٨٦} (4) دلائل الإمامة: 10.

^{٨٧} (1) بحار الأنوار: 43/ 105، و راجع المناقب: 3/ 233.

^{٨٨} (2) تاريخ بغداد: 12/ 331 الحديث 6772 و كنز العمال: 12/ 109.

^{٨٩} (3) تاريخ الخطيب البغدادي: 5/ 87 و الغدير: 3/ 18.

و قالت أمّ أنس بن مالك: كانت فاطمة كالقمر ليلة البدر أو الشمس كفر غماما إذا خرج من السحاب، بيضاء مشربة حمرة، لها شعر أسود، من أشدّ الناس برسول الله (صلى الله عليه و اله) شبها^{٩٠}.

و لُقبت بالطاهرة لطهارتها من كلّ دنس و كلّ رقت، و أنّها ما رأت قطّ يوما حمرة و لا نفاسا^{٩١} كما جاء عن الإمام الباقر (عليه السلام)، و قد شهد القرآن الكريم بطهارتها من الدنس في آية التطهير.

ص: ٦٢

و كانت سلام الله عليها راضية بما قدّر لها من مرارة الدنيا و مشاقّها و مصائبها و ثوابها، مرضية عند ربها كما أخبر بذلك القرآن الكريم عنها في سورة الدهر، إذ ارتضى ربّها سعيها و آمنها من الفزع الأكبر، و هي ممّن **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ**^{٩٢} و خشي ربّه دون شك كما نلاحظ ذلك في سيرتها.

و المحدثّة هي التي تحدّثها الملائكة، كما حدّثت الملائكة مريم ابنة عمران و أمّ موسى و سارة امرأة إبراهيم إذ بشرتها باسحاق و من وراء اسحاق يعقوب.

و كنّاها رسول الله (صلى الله عليه و اله) بأمّ أبيها تعظيما لشأنها، إذ لم يكن أحد يوازئها في محبّته لها و رفعة مكانتها لديه، و كان يعاملها معاملة الولد لامّه كما كانت تعامله معاملة الأم لولدها، إذ كانت تحتضنه و تضمد جروحه و تخفف من آلامه.

كما كُنت بأمّ الأئمة، إذ أخبر الرسول (صلى الله عليه و اله) أنّ الأئمة من ولدها و أنّ المهديّ من نسلها^{٩٣}.

ص: ٦٣

الفصل الثّاني مراحل حياة الزهراء (عليها السلام)

لقد عاشت الزهراء فاطمة (عليها السلام) في ظلّ رسول الله (صلى الله عليه و اله) و أمّها خديجة (عليها السلام) ثمّ انفردت بأبيها حتّى هجرته (صلى الله عليه و اله) الى يثرب إذ كان يرعاها و ترعاه بحنان الامومة، ثم اقترنت بابن عمّها علي بن أبي طالب (عليه السلام) فأصبحت تستظلّ بظلال أبيها محمد (صلى الله عليه و اله) و في كنف دولة الإسلام الفتية، تسعى جاهدة لأداء مهامّها الرساليّة و العائليّة جنبا إلى جنب، حتى غربت شمس النبوة العظمى بوفاء الرسول الأعظم (صلى الله عليه و اله)، و حدثت الظامّة الكبرى في إفلات زمام الزعامة السياسيّة لل دولة الإسلاميّة الفتية من يد الإمام علي ابن أبي طالب (عليه السلام)، فكانت العضد الوحيد للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) المسؤول عن معالجة الموقف الحرج معالجة رساليّة بعيدة عن التحيز القبلي أو العاطفي.

^{٩٠} (4) مستدرک الحاكم: 161 / 3.

^{٩١} (5) بحار الأنوار: 19 / 43.

^{٩٢} (1) سورة المائدة (5): 119.

^{٩٣} (2) ينابيع المودة: 83 / 2، و منتخب الأثر: 192، و كنز العمال: 105 / 12.

لقد عاشت الزهراء (عليها السلام) فى كنف زوجها الإمام على (عليه السلام) بعد أبيها (صلى الله عليه و اله) فترة قصيرة جدا و تجرّعت من الغصص و المحن ما لم يعلم مدى مرارتها إلا الله سبحانه و تعالى بارئ النفوس و علّام الغيوب.

و من هنا ارتأينا أن نقسّم دراستنا هذه لمراحل حياتها كما يلى:

ص: ٦٤

المرحلة الاولى: مرحلة الطفولة فى ظل أبيها (صلى الله عليه و اله) و أمّها (عليها السلام).

المرحلة الثانية: حياتها بعد وفاة خديجة (عليها السلام) مع أبيها (صلى الله عليه و اله) حتى زواجها.

المرحلة الثالثة: حياتها منذ زواجها مع علىّ (عليه السلام) حتى وفاة الرسول (صلى الله عليه و اله).

المرحلة الرابعة: حياتها بعد وفاة أبيها حتى مرضها.

المرحلة الخامسة: حياتها فى فترة مرضها حتى استشهادها (عليها السلام).

و سوف نتابع دراسة المراحل الثلاث الاولى فى الفصل الثالث من هذا الباب.

و نخصّص الفصل الأول من الباب الثالث لدراسة المرحلة الرابعة من حياتها (عليها السلام).

بينما نخصّص الفصل الثانى منه لدراسة المرحلة الخامسة من حياتها سلام الله عليها.

ص: ٦٥

الفصل الثالث الزهراء (عليها السلام) مع أبيها رسول الله (صلى الله عليه و اله)

فاطمة (عليها السلام) فى مرحلة الطفولة

حين نطالع الفترة التى ولدت فيها الزهراء (عليها السلام) نجد أن مجتمع الجزيرة - آنذاك - عاش أحداثا خطيرة و صراعات و أوضاعا متأزّمة، فالدعوة الجديدة التى جاء بها النبى الأكرم جعلت المجتمع على مفترق طرق.

و من الناحية الاقتصادية كان فقيرا بحكم طبيعته، إلّا من حركة اقتصادية ضعيفة كانت تقتصر على التجارة المحدودة مع بلاد اليمن و الشام.

و من الناحية الاجتماعية فقد كانت تسوده الديانة الكافرة و التقاليد البالية و العنصرية القبلية، و تطغى عليه الحروب و الغارات التى تشنها قبيلة على أخرى لأسباب قد لا تكون معقولة أبدا، و كانت ظاهرة و أد البنات من أقسى ظواهره المتخلفة.

في هذه الفترة بعث النبي (صلى الله عليه و اله) - و عمره أربعون عاما - فانطلق لوحده ليقف بوجه الكفر العالمي و عبادة الأصنام و الشرك، و يغالب المشاكل و المصاعب الخطيرة، فبلغ بالدعوة سرّا في أول الأمر حفاظا عليها

ص: ٦٦

من الأعداء، حتى جاء أمر الله بإعلان الدعوة و اقتحام صفوف الباطل، فأعلن الرسول دعوته، و دعا الناس إلى الإسلام، و أخذ عدد المسلمين يزداد يوما بعد يوم، و أحسّ أعداء الإسلام بالخطر من هذا التيار الجديد فوثبت كل قبيلة على من فيها من مستضعفى المسلمين، فجعلوا يحبسونه و يعذبونهم بألوان العذاب من الضرب و التجويع و الترك على حرّ الرمال و كيّهم بالنار في محاولة منهم لافتتان المسلمين و ردعهم عن دينهم، فلما رأى رسول الله (صلى الله عليه و اله) ما يصيب أصحابه من البلاء قال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة حتى يجعل الله لكم فرجا و مخرجا مما أنتم فيه» فاستجاب المسلمون لأمر الرسول (صلى الله عليه و اله) فخرجوا و تركوا أرضهم و أموالهم، مخافة الفتنة و فرارا إلى الله بدينهم^{٩٤}.

١- فاطمة (عليها السلام) في شعب^{٩٥} أبى طالب (عليه السلام):

لما رأت قريش أنّ أصحاب الرسول (صلى الله عليه و اله) قاوموهم و تحمّلوا أذاهم، و أنّ الاسلام أخذ يعلو شأنه و ينتشر في القبائل، و عجزوا عن صدّه؛ اتّهموا بينهم على قتل الرسول (صلى الله عليه و اله)، فلما أحسّ أبو طالب بذلك انحاز إلى شعبه، و اجتمع اليه بنو هاشم و بنو عبد ال مطلب ليحموا الرسول (صلى الله عليه و اله) و كان حمزة عمّ النبي (صلى الله عليه و اله) يحرسه حتى الصباح، فحاصرتهم قريش حصارا اقتصاديا شديدا، و كتبوا بينهم كتابا يتعاقدون فيه على أن لا يبيعوهم و لا يبتاعوا منهم شيئا، فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا حتى جهدوا، لا يصل إلى أحدهم شيء إلّا سرّا، و الجوع يشد بني هاشم و يتعالى صراخ الأطفال الجياع

ص: ٦٧

أحيانا.

في هذا الظرف العصيب و القاسى قضت الزهراء (عليها السلام) شطرا من أيام الرضاعة في شعب أبى طالب، ثم فطمت من اللبن، و هناك درجت تمشى على رمضاء الشعب، و تعلّمت النطق و هى تسمع أنين الجياع و صراخ الأطفال المحرومين، و بدأت تأكل في زمن الحرمان و الفاقة، و إذا ما استيقظت في هدأة الليل وجدت الحرس يدورون - بحذر و ترقب - حول أبيها يخافون عليه من غدر الأعداء في حلقة الليل، ثلاث سنين تقريبا و الزهراء (عليها السلام) في هذا السجن لا يربطها بالعالم الخارجى أى شيء حتى أدركت سن الخامسة.

٢- وفاة السيّدة خديجة و عام الحزن:

و تمرّ سنون الحصار صعبة ثقيلة، و يخرج رسول الله (صلى الله عليه و اله) و من معه من الحصار و المقاطعة، و قد كتب الله تعالى لهم النصر و الغلبة، و تخرج خديجة و قد أثقلتها السنون و أرهقها عناء الحصار و الحرمان، و ها هى قد قضت

^{٩٤} (1) السيرة النبويّة لابن هشام القسم الاول: 321 طبع دار المعرفة بيروت، و الكامل في التاريخ 2/ 76.
^{٩٥} (2) الشعب: الوادي.

بالجدِّ والصبر عمرها الجهادى المشرق و حياتها المثالية الفريدة فى دنيا المرأة، لقد قرب أجل خديجة و شاء الله تعالى أن يختارها لجواره، فتتوفى فى ذلك العام الذى خرج فيه بنو هاشم من الحصار و كان العام العاشر من البعثة.

و توفى فى العام ذاته أبو طالب عمّ الرسول (صلى الله عليه و اله) و حامى الدعوة الإسلامية و ناصر الإسلام، و لقد شعر رسول الله بالحن و الأسى، و أحسّ بالفراق و الوحشة، إنه فقد الحبيب و العون و المواسى، فقد خديجة زوجته و حبيبته و عونته، و فقد عمّه الحامى و المدافع عنه، فسمّى ذلك العام ب (عام

ص:٦٨

٩٦

الحن).

و ليس رسول الله (صلى الله عليه و اله) وحده هو الذى رزى فى ذلك العام، بل و فاطمة الصبية الصغيرة التى لم تشيع من حنان الامومة و عطف الوالدة بعد، فقد شاطرته المأساة ورزئت هى الاخرى، فشملتها المحنة فى ذلك العام الحزين، و شعرت بغمامة الحزن و اليتيم تخيم على حياتها الطاهرة.

و يحسّ الأب الرسول (صلى الله عليه و اله) بوطأة الحزن على نفس فاطمة (عليها السلام) و يرى دموع الفراق تتسابق على خديجها، فيرقّ القلب الرحيم، و تفيض مشاعر الود و الابوة الصادقة، فيحنو رسول الله (صلى الله عليه و اله) على فاطمة، يعوضها من حبه و حنانه ما فقدته فى امها من حبّ و رعاية و حنان.

لقد أحبّ رسول الله (صلى الله عليه و اله) فاطمة و أحبته و حنا عليها و حنت عليه، فلم يكن أحد أحبّ إلى قلبه و لا إنسان أقرب إلى نفسه من فاطمة، لقد أحبها و كان يؤكّد - كلّما وجد ذلك ضرورياً - هذه العلاقة بفاطمة، و يوضّح مقامها و مكانتها فى امته، و هو يمهد لأمر عظيم و قدر خطير يرتبط بفاطمة، و بالذرية الطاهرة التى أعقبتها فاطمة و بالامة الإسلامية كلّها، كان يؤكّد ذلك ليعرف المسلمون مقام فاطمة و مكانة الأئمة من ذريتها ليعطوا فاطمة حقّها، و يحفظوا لها مكانتها، و يراعوا الذرية الطاهرة حقّ رعايتها، فها هو رسول الله (صلى الله عليه و اله) يعرف فاطمة و يؤكّد للمسلمين : «فاطمة بضعة منى فمن أغضبها أغضبني»^{٩٧}.

و تكبر فاطمة (عليها السلام) و تشبّ و يشبّ معها حبّ أبيها لها، و يزداد حنانها عليها، و تبادلها هى هذا الحب و تملأ قلبه بالعطف و الرعاية فيسُمّيها

ص:٦٩

^{٩٦} گروه مؤلفان، اعلام الهداية- قم، چاپ: دوم، 1425 ه.ق.
^{٩٧} (1) صحيح البخاري: 36/ 5، كنز العمال: 12/ ح 34222. المناقب: 3/ 332، ذخائر العقبى: 47.

«أُمَّ أَبِيهَا».

إنَّه النموذج القدوة من العلاقة الأبوية الطاهرة التي تساهم في بناء شخصيَّة الأبناء و توجَّه سلوكهم و حياتهم، لقد كانت هذه العلاقة هي المثل الأعلى في رعاية الإسلام للفتاة و العناية بها و تحديد مكانتها.

٣- فاطمة الممتحنة:

و شاء الله سبحانه و تعالى أن تشهد فاطمة فترة صراع الدعوة في مكة، و تشهد محنة أبيها (صلى الله عليه و اله)، فترى الأذى و الاضطهاد يقع ع ليه، و تشهد جوَّ مكة المعادى لبيت النبوة، بيت الهدى و الإيمان و الفضيلة، و تشاهد أباهها و الصفوة المؤمنة من دعاء الإسلام و السابقين بالإيمان يخوضون ملحمة البطولة و الجهاد، فيؤثر هذا الجوَّ الجهادى فى نفسها، و يساهم فى تكوين شخصيَّتها و إعدادها لحياة التحمّل و المعاناة، لقد عايشَت فاطمة كلَّ ذلك و هى بعد لما تزل صبيَّة صغيرة، لقد عايشَت المحنة الأشد مع أبيها، بعد فقد امها، المواسى و الأنيس و الحبيب الذى كان يخفّف عنها متاعب الحياة و الآلام و الاضطهاد، و بعد فقدته عمّه أبا طالب حامى الدعوة و المدافع عن رسول الله الذى ما تجرأت قريش فى حياته أن تؤذيه (صلى الله عليه و اله) أو تنال منه شيئاً، إلّا كان لها بالمرصاد^{٩٨}، هذه الحماية التى عبّر عنها رسول الله (صلى الله عليه و اله) بعد فقدته أبا طالب بقوله: «ما زالت قريش كاعة^{٩٩} عنّى حتى مات أبو طالب»^{١٠٠}.

لقد صبّت قريش حقدَها و أذاها على رسول الله (صلى الله عليه و اله) فى تلك الفترة

ص: ٧٠

العصبيَّة من عمر الدعوة، و بكل ما تملك من وسائل الأذى و الاستهزاء و السخرية و محاولات الانتقاص من مكانة محمد (صلى الله عليه و اله) و شخصيته.

لقد تحمّل رسول الله (صلى الله عليه و اله) من أجل دعوته و فى سبيل مبادئه و رسالته ما لم يتحمّله أحد من الأنبياء، فقد بلغ الأمر بأحد سفهاء قريش أن يغترف غرفة من تراب الأرض و يقذفها فى وجه رسول الله (صلى الله عليه و اله) و على رأسه، فيتحمّل رسول الله (صلى الله عليه و اله) هذا الأذى و يعود إلى بيته صابراً محتسباً و قد لطح التراب وجهه و رأسه، و يعود إلى بيته و فاطمة (عليها السلام) تنظر إليه فترى ما لحق به من أذى قريش و تماديها فى الصلف و الغرور، فيحزّ الألم فى نفسها و يعظم عليها تجرؤ السفهاء و المغرورين من طغاة الجاهلية و متكبريها على رسول الله (صلى الله عليه و اله) ثم تقوم لأبيها و تنفض التراب عنه و تأتى بالماء و تغسل رأسه و وجهه الكريم.

و لم يمرّ هذا المشهد المؤلم دون أن يؤثّر فى نفسها (عليها السلام) فيستبدّ بها الحزن و الألم على القائد رسول الله أبيها (صلى الله عليه و اله) فتبكي و تتألّم لجرأة هؤلاء الجاهلين الطغاة على رجل يريد أن يخرجهم من الظلمات إلى النور و يهديهم سبيل الهدى و الرشاد، و يؤثّر موقف فاطمة فى نفس أبيها (صلى الله عليه و اله) و يشعر بحرارة الألم تمسّ قلبها،

^{٩٨} (1) البداية و النهاية: 151/3، و سيرة ابن هشام: 416/1.

^{٩٩} (2) كاعة: ضعيفة و جبانة.

^{١٠٠} (3) كشف الغمة: 16/1، و مستدرک الصحيحين: 622/2 بالفاظ اخرى.

فيحاول (صلى الله عليه و اله) أن يخفف عنها و يحثها على التجلّد و التحمّل، فيمدّ يديه الكريمتين و يضعهما على رأسها فيمسّه برقّة و حنان و هو يقول لها: «لا تبكى يا بنية فإنّ الله مانع أباك، و ناصره على أعداء دينه و رسالته»^{١٠١}.

بهذه الكلمات الجهادية المربية يحاول رسول الله (صلى الله عليه و اله) أن يزرع في

ص: ٧١

نفس فاطمة (عليها السلام) روحا جهادية عالية، و يملأ نفسها و قلبها بالصبر و الثقة بالنصر.

و لم تنته هذه المشاهد المثيرة المؤلمة و لم يقف أذى قريش و استخفافها برسول الله (صلى الله عليه و اله) و دعوة الحقّ و الهدى و التحرير إلى هذا الحدّ، بل راحت تتمادى في غيها و تصرّ على عنتها و كبريائها، فقد روى عن عبد الله ابن مسعود أنّه قال: ما رأيت رسول الله (صلى الله عليه و اله) دعا على قريش غير يوم واحد، فإنّه كان يصلى و رهط من قريش جلوس، و سلى^{١٠٢} جزور قريب منه، فقالوا: من يأخذ هذا السلى فيلقيه على ظهره، فقام رجل - و هو عقبة بن أبى معيط - و ألقاه على ظهره فلم يزل ساجدا حتى جاءت فاطمة (عليها السلام) فأخذته عن ظهره فقال (صلى الله عليه و اله): «اللهم عليك الملاء من قريش، اللهم عليك بعنبة بن ربيعة، اللهم عليك بشيبة بن ربيعة، اللهم عليك بأبى جهل بن هشام، اللهم عليك بعقبة بن أبى معيط، اللهم عليك بابى بن خلف و امية بن خلف».

قال عبد الله بن مسعود: فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر جميعا ثم سحبوا إلى القليب^{١٠٣} غير أبى بن خلف أو امية فإنّه كان رجلا ضخما فتقطع^{١٠٤}.

ص: ٧٢

الزهاء (عليها السلام) مع أبيها (صلى الله عليه و اله) حتى بيت الزوجية

١- هجرتها (عليها السلام) إلى المدينة:

هاجر رسول الله (صلى الله عليه و اله) في السنة الثالثة عشرة للبعثة من مكة إلى يثرب «المدينة» حفاظا على نفسه و إبقاء على دعوته، و أوصى على بن أبى طالب (عليه السلام) أن يبيت على فراشه ليلة الهجرة ليوهم المشركين و يشغلهم، و أوصاه (صلى الله عليه و اله) بعدة وصايا، منها: أنّه إذا وصل مأمنه يرسل إليه من يدعوه بالتوجّه إليه مع عائلته من الفواطم و غيرهن، و يردّ جميع الأمانات التي كانت مودعة عنده إلى أهلها و يسدّد الديون التي كانت عليه.

و لما وصل (صلى الله عليه و اله) منطقة «قباء» - و هى على أميال من يثرب - و استقر فيها؛ بعث مع أبى واقد الليثى كتابا إلى على (عليه السلام) يأمره بالقدوم عليه مع الفواطم و ردّ الإمانات إلى أهلها، فقام أمير المؤمنين (عليه السلام) من ساعته

^{١٠١} (١) البداية و النهاية: 3/ 151، سيرة ابن هشام: 1/ 416.

^{١٠٢} (١) السلى: الجلد الرقيق الذي يخرج فيه ولد الماشية من بطن امه ملفوفا فيه

^{١٠٣} (٢) القليب: البئر.

^{١٠٤} (٣) ذخائر العقبى، للطبري: 57، و مثله في البداية و النهاية لابن كثير: 3/ 357.

و اشترى الرواحل اللازمة و أعدّ متطلبات السفر و الهجرة من مكة، و أمر من كان معه من ضعفاء المؤمنين أن يتسللوا و يتخفّوا إذا ملأ الليل بطن كل واد إلى ذى طوى.

فلما أدى الأمانات قام على الكعبة فنادى بصوت رفيع : يا أيّها الناس! هل من صاحب أمانة؟ هل من صاحب وصيّة؟ هل من عدّة له قبل رسول الله؟ فلما لم يأت أحد لحق بالنبى (صلّى الله عليه و اله) ^{١٠٥}.

خرج علىّ (عليه السّلام) بالفواطم فى وضح النهار - و هنّ: فاطمة الزهراء (عليها السّلام)

ص: ٧٣

و فاطمة بنت أسد الهاشميّة أمّه و فاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب و فاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب - و تبعتهن حاضنة النبى (صلّى الله عليه و اله) و خادمتة بركة أمّ أيمن، و ابنها أيمن مولى رسول الله (صلّى الله عليه و اله)، و عاد مع الركب مبعوثه (صلّى الله عليه و اله) أبو واقد الليثى، فجعل يسوق الرواحل، فأعنف بهم فقال له الإمام علىّ (عليه السّلام):

«إرفق بالنسوة يا أبا واقد، إنهن ضعاف» قال: إننى أخاف أن يدركنا الطلب، فقال علىّ (عليه السّلام): «أربع عليك، فإن رسول الله (صلّى الله عليه و اله) قال لى: يا علىّ لن يصلوا من الآن إليك بأمر تكرهه»، ثم جعل علىّ (عليه السّلام) يسوق بهن سوقا رقيقا و هو يرتجز و يقول:

و ليس إلّا الله فارفع ضنكا
يكفيك ربّ الناس ما أهمّكا

و سار، فلما شارف «ضجنان» أدركه الطلب سبعة فوارس من شجعان قريش متلثمين و ثامنهم مولى الحارث بن امية يدعى جناحا، و كان شجاعا مقداما، فأقبل الإمام علىّ (عليه السّلام) على أيمن و أبى واقد و قد تراءى القوم فقال لهما: «أنبيخا الأبل و أعقلاها»، و تقدّم حتى أنزل النسوة، و دنا القوم فاستقبلهم علىّ (عليه السّلام) منتضيا سيفه، فأقبلوا عليه و قالوا: ظننت أنّك ناج بالنسوة، إرجع لا أبا لك قال: «فإن لم أفعل؟» قالوا: لترجعن راغما، أو لترجعن بأكثرك شعرا - أى رأسك - و دنا الفوارس من النسوة و المطايا ليثوروها، فحال علىّ (عليه السّلام) بينهم و بينها، فأهوى له جناح بسيفه فراغ علىّ (عليه السّلام) عن ضربته، و تختله علىّ (عليه السّلام) فضربه على عاتقه، فأسرع السيف مضيا فيه حتى مسّ كاثبة فرسه، فشدّ عليهم بسيفه فتصدّع القوم عنه، و قالوا له: إغن عنّا نفسك يابن أبى طالب قال: «فإنى منطلق إلى ابن عمى رسول الله (صلّى الله عليه و اله) فمن سرّه أن أفرى لحمه و أهريق دمه فليتبعنى» فرجعوا مخذولين منكسرين.

ثم أقبل على صاحبيه أيمن و أبى واقد فقال لهما: «أطلقا مطاياكما»، ثم سار بالركب ظافرا قاهرا حتى نزل «ضجنان»، فتلوّم بها - أى لبث فيها -

ص: ٧٤

^{١٠٥} (1) المناقب (لابن شهر آشوب): 58 / 2 فصل المسابقة إلى الهجرة

قدر يومه و ليلته و لحق به نفر من المستضعفين من المؤمنين، و كانوا يصلّون ليلتهم و يذكرون الله قياماً و قعوداً و على جنوبهم، فلم يزلوا كذلك حتى طلع الفجر فصلّى الإمام علىّ (عليه السّلام) بهم صلاة الفجر، ثم سار لوجهه حتى قدموا «قبا» القريبة من المدينة، و التحقوا برسول الله (صلّى الله عليه و اله) حيث كان ينتظرهم بها^{١٠٦}.

و نزل الوحي على رسول الله (صلّى الله عليه و اله) بما كان فى شأنهم قبل وصولهم، بآيات من القرآن المجيد هى : **الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ...^{١٠٧}**

و مكث النبى (صلّى الله عليه و اله) خمسة عشر يوماً ب «قبا» فى انتظار قدوم الوفد، و فى تلك الفترة أسّس مسجد «قبا»، و نزلت فيه آيات بينات قال تعالى:

لَمَسْجِدُ أُسُسٍ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ كما أنّ النبى (صلّى الله عليه و اله) حتّ على الصلاة فيه و إحيائه و ذكر الأجر الكبير لمن صلّى فيه.

و بعد استراحة الركب سار (صلّى الله عليه و اله) بمن معه من أصحابه و أهله متوجهاً إلى يثرب و استقبلته الجُم اهير المسلمة بالأشعار و الأهازيج و شعارات الترحيب، و استقبله سادات يثرب و زعماء الأوس و الخزرج مرحّبين بقدومه باذلين كلّ ما وسعهم من امكانات مالية و عسكرية، و كان عندما يمرّ علىّ من أحيائهم يتقدّم الأشراف ليأخذوا بخطام الناقة رجاء أن ينزل فى حيّهم حيث ا لضيافة و المنعة، فكان (صلّى الله عليه و اله) يدعو لهم بالخير و يقول : «دعوا الناقة تسير فإنّها مأمورة».

ثم بركت فى رحبة من الأرض بجوار دار أبى أيوب الأنصارى،

ص: ٧٥

فنزل (صلّى الله عليه و اله) و نزلت السيّدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) مع الفواطم و دخلن على امّ خالد^{١٠٨}، و بقيت السيّدة فاطمة (عليها السّلام) مع أبيها (صلّى الله عليه و اله) زهاء سبعة أشهر حتى تمّ بناء المسجد و دار رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و بيته المتواضع المؤلف من عدّة حجرات بعضها بالأحجار، و البعض الآخر من جريد النخل، أمّا ارتفاع الحجرات فقد وصفه الإمام الحسن (عليه السّلام) سبط رسول الله (صلّى الله عليه و اله) فيما جاء عنه أنّه قال : «كنت أدخل بيوت النبى (صلّى الله عليه و اله) و أنا غلام مراهق فأنال السقف بيدي».

أمّا الأثاث الذى هيّاه النبى لبيته الجديد فهو فى منتهى البساطة و الخشونة و التواضع، و أعدّ لنفسه فيه سريراً مؤلفاً من أخشاب مشدودة بالليف، و استقرّت الزهراء فى دار هجرتها و فى بيت أبيها، ذلك البيت البسيط المتواضع فى دار الإسلام، لتنعّم بعنايته و حبه و رعايته، تلك العناية و الرعاية و الحبّ الذى لم يحظ بمثله امرأة و لا أحد من الناس سواها.

إلى هذا البيت المتواضع جاءت فاطمة بنت محمّد (صلّى الله عليه و اله) مهاجرة من مكة لترى أباهما بين أنصاره فى يثرب يفدون بالأنفس و معه المهاجرون، و قد اطمأنّ بهم المقام مع إخوانهم ممن أسلم من الأوس و الخزرج، و انصرفوا مع النبى

^{١٠٦} (١) المناقب: 1/ 184.

^{١٠٧} (٢) آل عمران (٣): 191 - 195.

^{١٠٨} (١) خالد: هو اسم أبى أيوب الأنصارى

(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) إِلَى الدَّعْوَةِ لِلْإِسْلَامِ وَالتَّخْطِيطِ لَعْدِ أَفْضَلِ، وَ قَدْ آخَى النَّبِيُّ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مُسْلِمِي الْمَدِينَةِ لِيَذْهَبَ عَنْهُمْ وَحِشَّةَ الْإِغْتِرَابِ وَ يَشُدَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ بِتِلْكَ الْإِخْوَةِ الَّتِي تَجْمَعُهُمْ عَلَى صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَ هُوَ الْإِيمَانُ بِإِلَهِ وَاحِدٍ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَ تَرَكَ عَلِيًّا لِنَفْسِهِ فَأَخَذَ بِيَدِهِ وَمَعَهُ حَشْدٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ، وَ قَالَ:

«هَذَا أَخِي وَ وَصِيِّي وَ وَارِثِي مِنْ بَعْدِي»^{١٠٩} وَ لَمْ يَمُضْ وَقْتُ طَوِيلٍ عَلَى تِلْكَ الْمَوْأَخَاةِ الَّتِي فَازَ بِهَا عَلِيٌّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حَتَّى أَصْبَحَ صَهْرًا لِلنَّبِيِّ وَ زَوْجًا لِأَحَبِّ بَنَاتِهِ

ص: ٧٦

إِلَيْهِ وَ أَعَزَّهُنَّ عَلَى قَلْبِهِ وَ رُوحِهِ.

وَ بَعْدَ مَا اسْتَقَرَّ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فِي الْمَدِينَةِ تَزَوَّجَ «سُودَةَ» وَ هِيَ أَوَّلُ مَنْ تَزَوَّجَهَا بَعْدَ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) ثُمَّ تَزَوَّجَ «أُمَّ سَلَمَةَ بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ» وَ فَوَّضَ أَمْرَ ابْنَتِهِ الزَّهْرَاءِ إِلَيْهَا.

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَ فَوَّضَ أَمْرَ ابْنَتِهِ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) إِلَيَّ، فَكُنْتُ أَوْدِبُهَا وَ أَدْلُهَا، وَ كَانَتْ وَ اللَّهُ أَدَبَ مَنْى وَ أَعْرِفَ بِالْأَشْيَاءِ كُلِّهَا^{١١٠}.

٢- مُحَاوَلَاتُ خُطْبَتِهَا (عَلَيْهَا السَّلَامُ):

فَاقَتْ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) نِسَاءَ عَصْرِهَا فِي الْحَسَبِ وَ النَّسَبِ فَهِيَ بِنْتُ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَ خَدِيجَةُ^{١١١} رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَ سَلِيلَةُ الْفَضْلِ وَ الْعِلْمِ وَ السَّجَايَا الْخَيْرَةِ، وَ غَايَةُ الْجَمَالِ الْخَلْقِيِّ وَ الْخَلْقِي، وَ نَهَايَةُ الْكَمَالِ الْمَعْنَوِيِّ وَ الْإِنْسَانِيِّ، عَلَا شَأُوهَا وَ تَأَلَّقَ نَجْمُهَا.

وَ كَانَتْ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) تَمْتَازُ مِنْذُ صَغُرَ سِنُهَا بِالنُّضْجِ الْفِكْرِيِّ وَ الرُّشْدِ الْعَقْلِيِّ، وَ قَدْ وَهَبَ اللَّهُ لَهَا عَقْلًا كَامِلًا وَ ذَهْنًا وَقَادًا وَ ذَكَاةً حَادًّا وَ حَسَنًا وَ جَمَالًا فِي إِشْرَاقَةِ مَحْيَاهَا النُّورَانِيَّةِ، فَمَا أَكْثَرَ مَوَاهِبِهَا وَ مَا أَعْظَمَ فَضَائِلَهَا وَ هِيَ تَكْبِرُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ تَحْتَ ظِلَالِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) حَتَّى أَدْرَكَتْ سَلَامَ اللَّهِ عَلَيْهَا مَدْرَكَ النِّسَاءِ!!

وَ مَا إِنْ دَخَلَتْ السَّنَةُ الثَّانِيَّةُ مِنْ هِجْرَةِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَ بَدَأَتْ طَلَائِعُ الْإِسْتِقْرَارِ تَلُوحُ لِلْمُسْلِمِينَ حَتَّى خُطِبَهَا أَكَابِرُ قُرَيْشٍ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ وَ السَّابِقَةِ فِي الْإِسْلَامِ وَ الشَّرَفِ وَ الْمَالِ مِنَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، فَكَانَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يَرُدُّهُمْ رَدًّا جَمِيلًا

ص: ٧٧

وَ يَقُولُ لِكُلِّ مَنْ جَاءَهُ: «إِنِّي أَنْتَظِرُ فِيهَا أَمْرَ اللَّهِ» وَ كَانَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يُعْرِضُ عَنْهُمْ بِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ حَتَّى كَانَ الرَّجُلُ يَظُنُّ فِي نَفْسِهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) سَاخِطٌ عَلَيْهِ^{١١٢}.

^{١٠٩} (٢) قَادِتْنَاءَ لِلْمِيلَانِيِّ: 389 / 3 نَقْلًا عَنْ حَيَاةِ الْحَيَوَانَ: 118 / 1، وَ رَاجِعِ الْبَدَايَةَ وَ النِّهَايَةَ: 277 / 3.

^{١١٠} (١) دَلَالَتُ الْإِمَامَةِ: 12.

^{١١١} (٢) سِيرَةُ الْأَئِمَّةِ الْاِثْنِي عَشَرَ: 80 - 81.

وكان رسول الله قد حبسها على عليّ، و يرغب أن يخطبها منه^{١١٣}.

و عن بريدة قال: خطب أبو بكر فاطمة (عليها السلام)، فقال رسول الله (صلى الله عليه و اله):

«إنها صغيرة، و إنى أنتظر بها القضاء» فلقبه عمر فأخبره، فقال: ردك، ثم خطبها عمر فردّه^{١١٤}.

٣- عليّ (عليه السلام) يتقدّم لخطبة الزهراء (عليها السلام):

كان الإمام عليّ (عليه السلام) يفكر في خطبة الزهراء، ولكنه بقي (عليه السلام) بين الحالة التي يعيشها هو و المجتمع الإسلامي من فقر وفاقه و ضيق في المعيشة، يصرفه عن التفكير في الزواج و يشغله عن نفسه و هواجسها في بناء الأسرة، و بين واقعه الشخصي و قد تجاوز الواحد و العشرين من العمر^{١١٥}، و آن له أن يتزوج من فاطمة التي لا كفؤ له سواها، و هي نسيج لا يتكرر.

ذات يوم و ما أن أكمل الإمام (عليه السلام) عمله حتى حلّ عن ناضحه و أقبل يقوده إلى منزله فشدّه فيه، و توجه نحو منزل رسول الله (صلى الله عليه و اله) و كان في بيت السيدة أم سلمة، و بينما كان الإمام في الطريق هبط ملك من السماء بأمر إلهي هو أن يزوّج النور من النور، أى فاطمة من عليّ^{١١٦}.

ص: ٧٨

فدقّ عليّ (عليه السلام) الباب، فقالت أم سلمة: من الباب؟ فقال لها رسول الله (صلى الله عليه و اله): «قومي يا أم سلمة فافتحي له الباب و مريه بالدخول، فهذا رجل يحبّه الله و رسوله و يحبهما» فقالت أم سلمة: فداك أبي و امي، من هذا الذي تذكر فيه هذا و أنت لم تره؟ فقال: «مه يا أم سلمة، فهذا رجل ليس بالخرق و لا بالنزق، هذا أخى و ابن عمي و أحبّ الخلق إليّ» قالت أم سلمة: فقامت مبادرة أكاد أعرّ بمرطى، ففتحت الباب فإذا أنا بعليّ بن أبي طالب (عليه السلام) فدخل على رسول الله (صلى الله عليه و اله) فقال: «السلام عليك يا رسول الله و رحمة الله و بركاته» فقال له النبيّ (صلى الله عليه و اله):

«و عليك السلام يا أبا الحسن، اجلس» فجلس عليّ (عليه السلام) بين يدي رسول الله (صلى الله عليه و اله) و جعل ينظر إلى الأرض كأنّه قصد حاجة و هو يستحي أن يبيّنها، فهو مطرق إلى الأرض حياء من رسول الله (صلى الله عليه و اله) فكأن النبيّ (صلى الله عليه و اله) علم ما في نفس عليّ (عليه السلام) فقال له: «يا أبا الحسن، إنى أرى أنك أتيت حاجة، فقل حاجتك و ابد ما في نفسك، فكل حاجة لك عندي مقضية» قال عليّ (عليه السلام): «فداك أبي و امي إنك أخذتني عن عمك أبي طالب و من فاطمة بنت أسد و أنا صبي، فغذيتني بغذائك، و أدبتني بأدبك، فكنت إليّ أفضل من أبي طالب و من فاطمة بنت أسد في البرّ و الشفقة، و إنّ الله تعالى هداني بك و على يدك، و إنك و الله ذخرى و ذخيرتى في الدنيا و الآخرة يا رسول الله فقد أحببت مع ما شدّ الله من عضدى بك أن يكون لى بيت و أن تكون لى

^{١١٢} (1) كشف الغمة: 353 / 1.

^{١١٣} (2) كشف الغمة: 354 / 1.

^{١١٤} (3) تذكرة الخواص: 306.

^{١١٥} (4) ذخائر العقبى: 36.

^{١١٦} (5) راجع معاني الأخبار: 103، و الخصال: 640، و أمالي الصدوق: 474، و بحار الأنوار: 111 / 43.

زوجة أسكن إليها، و قد أتيتك خاطبا راغبا، أخطب اليك إبتنك فاطمة، فهل أنت مزوجى يا رسول الله؟ « فتَهَلَّل وجه رسول الله (صلى الله عليه و اله) فرحا و سرورا، و أتى فاطمة فقال : «إن عليا قد ذكرك و هو من قد عرفت « فسكنت (عليها السلام)، فقال (صلى الله عليه و اله): «الله أكبر، سكوتها رضاها» فخرج فزوجها^{١١٧}.

ص: ٧٩

قالت أم سلمة: فرأيت وجه رسول الله (صلى الله عليه و اله) يتَهَلَّل فرحا و سرورا، ثم تبسم فى وجه عليّ (عليه السلام) فقال: «يا عليّ فهل معك شىء أزوجك به؟» فقال عليّ (عليه السلام): «فداك أبى و أمى، و الله ما يخفى عليك من أمرى شىء، أملك سيفى و درعى و ناضحى، و ما أملك شيئا غير هذا» فقال رسول الله (صلى الله عليه و اله): «يا عليّ أما سيفك فلا غنى بك عنه، تجاهد فى سبيل الله، و تقاتل به أعداء الله، و ناضحك تنضح به على نخلك و أهلك، و تحمل عليه رحلك فى سفرك، و لكنى قد زوجتك بالدرع و رضيت بها منك».

«يا أبا الحسن، أبشرك؟!» قال عليّ (عليه السلام) قلت: «نعم فداك أبى و أمى بشرنى، فإنك لم تزل ميمون النقيبة، مبارك الطائر، رشيد الأمر، صلى الله عليك».

فقال رسول الله (صلى الله عليه و اله): «أبشرك يا عليّ فإن الله - عز و جل - قد زوجكها فى السماء من قبل أن أزوجكها فى الأرض، و لقد هبط عليّ فى م وضعى من قبل أن تأتينى ملك من السماء فقال : يا محمد! إن الله - عز و جل - اطلع إلى الأرض اطلاعة فاختارك من خلقه فبعثك برسالته، ثم اطلع إلى الأرض ثانية فاختار لك منها أخا و وزيرا و صاحبا و ختنا فزوجه إبتنك فاطمة (عليها السلام)، و قد احتفلت بذلك ملائكة السماء، يا محمد! إن الله - عز و جل - أمرنى أن آمرك أن تزوج عليا فى الأرض فاطمة، و تبشّرهما بغلامين زكيين نجيين طاهرين خيرين فاضلين فى الدنيا و الآخرة، يا عليّ! فو الله ما عرج الملك من عندى حتى دققت الباب»^{١١٨}.

٤- أمر زواجها من السماء:

قال ابن أبي الحديد: و إن إنكاحه عليا إياها ما كان إلّا بعد أن أنكحه الله

ص: ٨٠

تعالى إياها فى السماء بشهادة الملائكة^{١١٩}.

و عن جابر بن عبد الله قال: لما زوج رسول الله (صلى الله عليه و اله) فاطمة من عليّ (عليه السلام) كان الله مزوجه من فوق عرشه^{١٢٠}.

^{١١٧} (1) راجع بحار الأنوار: 93/ 43، و ذخائر العقبى: 39.

^{١١٨} (1) بحار الأنوار: 127/ 43.

^{١١٩} (1) شرح نهج البلاغة: 193/ 9، و بنص آخر فى ذخائر العقبى: 40- 41.

^{١٢٠} (2) بحار الأنوار: 142/ 43.

و عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): إنما أنا بشر مثلكم، أتزوج فيكم و أزوجهكم إلّا فاطمة، فإن تزويجها نزل من السماء»^{١٢١}.

٥- خطبة العقد:

قال أنس: بينما أنا قاعد عند النبي (صلى الله عليه و اله) إذ غشيه الوحي، فلمّا سرى عنه قال: «يا أنس! تدري ما جاءني به جبرئيل من صاحب العرش؟» قلت: الله و رسوله أعلم، بأبي و أمي ما جاء به جبرئيل؟ قال (صلى الله عليه و اله): «إنّ الله تعالى أمرني أن أزوّج فاطمة عليا، انطلق فادع لى المهاجرين و الأنصار» قال: فدعوتهم، فلمّا أخذوا مقاعدهم قال النبي (صلى الله عليه و اله): «الحمد لله المحمود بنعمته، المعبود بقدرته، المطاع بسلطانه، المرغوب اليه فيما عنده، المرهوب عذابه، النافذ أمره في أرضه و سمائه، الذي خلق الخلق بقدرته، و ميّزهم بأحكامه، و أعزهم بدينه، و أكرمهم بنبيه محمّد، ثم إنّ الله تعالى جعل الم صاهرة نسبا و صهرا، فأمر الله يجرى إلى قضائه، و قضاؤه يجرى إلى قدره، فلكلّ قدر أجل، و لكلّ أجل كتاب **يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**، ثم إنّ الله أمرني أن أزوّج فاطمة بعليّ، فاشهدكم أنّي قد زوّجته على أربعمئة مثقال من فضة إن رضى بذلك عليّ».

و كان عليّ غائبا قد بعثه رسول الله (صلى الله عليه و اله) في حاجته، ثم إنّ رسول

ص: ٨١

الله (صلى الله عليه و اله) أمر بطبق فيه بسر فوضع بين أيدينا، ثم قال (صلى الله عليه و اله): «انتبهوا»، فبينما نحن ننتهب إذ أقبل عليّ (عليه السلام)، فتبسّم اليه رسول الله (صلى الله عليه و اله) ثم قال: «يا عليّ! إنّ الله أمرني أن أزوّجك فاطمة، فقد زوّجتها على أربعمئة مثقال فضة إن رضيت» فقال عليّ (عليه السلام): «قد رضيت يا رسول الله» ثم إنّ عليّا مال فخرّ ساجدا شكرا لله تعالى و قال: «الحمد لله الذي حبّنى إلى خير البرية محمد رسول الله»، فقال رسول الله (صلى الله عليه و اله): «بارك الله عليكما، و بارك فيكما و أسعدكما، و أخرج منكما الكثير الطيب».

قال أنس: فو الله لقد أخرج منهما الكثير الطيب^{١٢٢}.

٦- مهرها و جهازها:

و جاء عليّ بالمهر بعد أن باع درعه لعثمان، و كان أربعمئة درهم سود هجرية، فقبض الرسول (صلى الله عليه و اله) الدراهم و أعطاهما لبعض أصحابه و نسائه ليشتروا متاعا للبيت الجديد، فكان الجهاز:

«١- قميصا بسبعة دراهم. ٢- خمارا بأربعة دراهم. ٣- قطيفة سوداء خيرية. ٤- سريرا مزملا بشريط. ٥- فراشين من خيش مصر حشو أحدهما ليف، و حشو الآخر من جزّ الغنم (صوف). ٦- أربعة مرافق من آدم الطائف حشوها إذخر. ٧- ستر من صوف. ٨- حصيرا هجرى. ٩- رحاء اليد.

^{١٢١} (3) بحار الأنوار: 145/43.

^{١٢٢} (1) كفاية الطالب: الباب 78 ص 298، و المناقب: 3/ 351 فصل تزويجها (عليها السلام)، و كشف الغمّة: 1/ 348-349، و ذخائر العقبى: 41.

١٠- سقاء من آدم. ١١- مخضبا من نحاس. ١٢- قعبا للبن. ١٣- شنا للماء.

١٤- مطهرة مزفتة. ١٥- جرّة خضراء. ١٦- كيزان خزف. ١٧- نطعا من آدم.

١٨- عباء قطراني. ١٩- قربة ماء.

ص: ٨٢

قالوا: و حملناه جميعا حتى وضعناه بين يدي رسول الله (صلى الله عليه و اله) فلمّا نظر إليه بكى و جرت دموعه، ثم رفع رأسه إلى السماء و قال: «اللهم بارك لقوم جلّ آتيتهم الخزف»^{١٢٣}.

جَهَّزَ عليّ (عليه السّلام) داره، و فرش (عليه السّلام) بيته بالرمل اللّين و نصب خشبةً من حائط إلى الحائط لتعليق الثياب عليها و بسط على الأرض إهاب كبش و مخدّة ليف.

و عن أبي يزيد المدني قال : لمّا اهديت فاطمة إلى عليّ (عليه السّلام) لم تجد عنده إلّا رملا مبسوطا و وسادة و جرّة و كوزا^{١٢٤}.

٧- مقدّمات الزفاف و وليمة العرس:

قال عليّ (عليه السّلام): «و مكثت بعد ذلك شهرا لا اعاود رسول الله (صلى الله عليه و اله) في أمر فاطمة بشيء، استحياء من رسول الله (صلى الله عليه و اله) غير أنّي كنت إذا خلوت برسول الله (صلى الله عليه و اله) يقول لي: «يا عليّ ما أحسن زوجتك و أجملها! أبشر يا عليّ فقد زوجتك سيّدة نساء العالمين» فقال عليّ (عليه السّلام): «فلمّا كان بعد شهر دخل عليّ أخى عقيل فقال: يا أخى ما فرحت بشيء كفرحى بتزوجك فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه و اله)، يا أخى فها بالك لا تسأل رسول الله (صلى الله عليه و اله) يدخلها عليك؟ فتقرّ عيننا باجتماع شملكما».

قال عليّ (عليه السّلام): «و الله يا أخى إنّى لاحبّ ذلك و ما يمنعنى من مسألته إلّا الحياء منه» فقال: أقسمت عليك إلّا قمت معى، فقمنا نريد رسول الله (صلى الله عليه و اله)، فلقيتنا

ص: ٨٣

في طريقنا بركة «أم أيمن»- مولاة رسول الله (صلى الله عليه و اله)- فذكرنا ذلك لها، فقالت: لا تفعل ودعنا نحن نكلّمه، فإنّ كلام النساء فى هذا الأمر أحسن و أوقع بقلوب الرجال.

ثم انتثت راجعة فدخلت إلى أم سلمة فأعلمتها بذلك و أعلمت نساء النبي فاجتمعن عند رسول الله (صلى الله عليه و اله) فأحدقن به و قلن- و الكلام لا يزال لامّ سلمة (أم المؤمنين)- فديناك بأبائنا و امهاتنا يا رسول الله قد اجتمعنا لأمر لو أنّ

^{١٢٣} (1) المناقب ابن شهر آشوب: 3/ 353، و كشف الغمّة: 1/ 359.

الشريط: ورق مقلوب يشترط به السرير. الخيش: نسيج خشن من الكتان. و الاذخر، حشيش طيب الريح. و المخضب: وعاء لغسل الثياب أو خضبها. و القعب: القدح العظيم الغليظ. و الشن: القرية الصغيرة و الزفت: نوع من القير تطلى به الأنية كي لا يترشح منها الماء ^{١٢٤} (2) فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى 477 رقلا عن المناقب لأحمد بن حنبل

خديجة في الأحياء لقرت بذلك عينها، قالت أم سلمة : فلما ذكرنا خديجة بكى رسول الله (صلى الله عليه و اله) ثم قال (صلى الله عليه و اله): «خديجة و أين مثل خديجة؟ صدقتني حين كذبتني الناس و وازرتني على دين الله و أعانتني عليه بما لها».

قالت أم سلمة: فقلنا: فديناك بآبائنا و أمهاتنا، يا رسول الله إنك لم تذكر من خديجة أمرا إلّا و قد كانت كذلك، غير أنّها قد مضت إلى ربّها، فهناها الله بذلك، و جمع بيننا و بينها في درجات جنته و رضوانه و رحمته، يا رسول الله هذا أخوك في الدين و ابن عمك في النسب علىّ بن أبي طالب، يحب أن تدخل عليه زوجته فاطمة و تجمع بها شمله، فقال : «يا أم سلمة، فم بال علىّ لا يسألني ذلك؟».

فقلت: يمنعني الحياء منك يا رسول الله، قالت أم أيمن: فقال لي رسول الله (صلى الله عليه و اله): «انطلقى إلى علىّ فأتييني به»، فخرجت من عند رسول الله (صلى الله عليه و اله) فإذا علىّ ينتظرني ليسألني عن جواب رسول الله (صلى الله عليه و اله) و اله)، فلما رآني قال: «ما وراءك يا أم أيمن؟».

قلت: أجب رسول الله، قال علىّ (عليه السلام): «فدخلت و قمن أزواجه فدخلن البيت و جلست بين يديه مطرقا نحو الأرض حياء منه»، فقال (صلى الله عليه و اله): «أتحبّ أن تدخل عليك زوجتك؟»، فقلت و أنا مطرق : «نعم، فداك أبي و أمي».

ص: ٨٤

فقال: «نعم و كرامة، يا علىّ، أدخلها عليك في ليلتنا هذه أو في ليلة غد إن شاء الله »، فالتفت رسول الله (صلى الله عليه و اله) إلى النساء و قال: «من هاهنا؟» فقالت أم سلمة:

أنا أم سلمة و هذه زينب و هذه فلانة و فلانة، فقال رسول الله (صلى الله عليه و اله): «هيئوا لابنتي و ابن عمي في حجرى بيتا» فقالت أم سلمة: في أيّ حجره يا رسول الله؟

فقال (صلى الله عليه و اله): «في حجرتك»، و أمر نساءه أن يزيّن فاطمة و يصلحن من شأنها.

قالت أم سلمة: فسألت فاطمة: هل عندك طيب ادّخرتیه لنفسك؟

قالت (عليها السلام): «نعم» فأتت بقارورة فسكبت منها في راحتي فشمت منها رائحة ما شمت مثله قطّ، فقلت : ما هذا؟ قالت (عليها السلام): «كان دحية الكلبي يدخل على رسول الله (صلى الله عليه و اله) فيقول لي (صلى الله عليه و اله): يا فاطمة هات الوسادة فلطرحيها لعمك، فأطرح له الوسادة فيجلس عليها، فإذا نهض سقط من بين ثيابه شيء فيأمرني بجمعه [فسأل علىّ (عليه السلام) رسول الله (صلى الله عليه و اله) عن ذلك فقال (صلى الله عليه و اله): هو عنبر يسقط من أجنحة جبرئيل]».

قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): «يا على، لا بدّ للعرس من وليمة».

فقال سعد: عندى كبش، و جمع رهط من الأنصار أصواعا من ذرة، و أخذ رسول الله (صلى الله عليه و اله) من الدراهم التى سلّمها إلى ام سلمة عشرة دراهم فدفعها إلىّ و قال: «اشتر سمنًا و تمرًا و إقطًا»، فاشتريت و أقبلت به إلى رسول الله (صلى الله عليه و اله)، تحسر عن ذراعيه و دعا بسفرة من آدم، و جعل يشدخ^{١٢٥} التمر و السمن و يخلطهما بالأقط حتى اتخذه حيساً^{١٢٦}، ثم قال: «يا على ادع من أحببت».

ص: ٨٥

فخرجت إلى المسجد و هو مشحن بالصحابة، فاستحييت أن اشخص قوما و أدع قوما، ثم صعدت على ربوة هناك و ناديت: أجيئوا إلى وليمة فاطمة، فأقبل الناس أرسالا^{١٢٧} فاستحييت من كثرة الناس و قلّة الطعام، فعلم رسول الله (صلى الله عليه و اله) ما تداخلنى، فقال (صلى الله عليه و اله): «يا علىّ إنّى سأدعو الله بالبركة، فجلّل السفرة بمنديل، و قال: أدخل علىّ عشرة بعد عشرة ففعلت، و جعلوا يأكلون و يخرجون لا ينقص الطعام» و كان النبيّ (صلى الله عليه و اله) يصبّ الطعام بيده، و العباس و حمزة و علىّ و عقيل يستقبلون الناس، قال علىّ: «فأكل القوم عن آخرهم طعامى و شربوا شرابى، و دعوا لى بالبركة و صدروا و هم أكثر من أربعة آلاف رجل».

ثم دعا رسول الله (صلى الله عليه و اله) بالصحاف فملئت و وجه بها إلى منازل أزواجه، ثم أخذ صحيفة و جعل فيها طعاما، و قال: «هذه لفاطمة و بعلها»^{١٢٨}.

٨- مراسم ليلة الزفاف:

فلما انصرفت الشمس للغروب قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): «يا امّ سلمة هلمى فاطمة»، فانطلقت فأتت بها تسحب أذيالها و قد تصببت عرقا حياء من رسول الله (صلى الله عليه و اله) فعثرت، فقال رسول الله (صلى الله عليه و اله): «أقالك الله العثرة فى الدنيا و الآخرة»، فلما وقفت بين يديه كشف الرداء عن وجهها حتى رآها علىّ (عليه السلام).

و أمر النبيّ (صلى الله عليه و اله) بنات عبد المطلب و نساء المهاجرين و الأنصار أن يمضين فى صحبة فاطمة، و أن يفرحن و يرجزن و يكبرن و يحمدن، و لا يقلن ما لا يرضى الله، قال جابر: فأركبها على ناقته أو على بغلته الشهباء، و أخذ سلمان زمامها، و حولها سبعون ألف حوراء، و النبيّ (صلى الله عليه و اله) و حمزة

ص: ٨٦

و عقيل و جعفر و بنو هاشم يمشون خلفها مشهرين سيوفهم، و نساء النبيّ (صلى الله عليه و اله) قدّامها يرجزن.

و كانت النسوة يرجعن أول بيت من كلّ رجز ثم يكبرن، و دخلن الدار، ثم أنفذ رسول الله (صلى الله عليه و اله) إلى علىّ و دعاه، ثم دعا فاطمة فأخذ بيدها و وضعها فى يد علىّ، و قال: «بارك الله فى ابنة رسول الله، يا على نعم الزوج فاطمة، و يا فاطمة نعم البعل علىّ».

^{١٢٥} (1) الشدخ: كسر الشيء الرطب أو الأجوف.

الأقط: الجبن المتخذ من اللبن الحامض، راجع كشف الغمة 1/ 361.

^{١٢٦} (2) الحيس: تمر بدق و يعجن بالسمن عجنا شديدا حتى ينذر النوى منه

^{١٢٧} (1) أرسال: جمع (رسل) و هو القطيع من كل شيء، الجماعة.

^{١٢٨} (2) بحار الأنوار: 43/ 106، 114، 132، 137.

ثم قال: «يا عليّ هذه فاطمة وديعة الله و وديعة رسوله عندك، فاحفظ الله و احفظني في وديعتي»^{١٢٩}.

ثم دعا و قال: «اللهم اجمع شملهما، و آلف بين قلوبهما، و اجعلهما و ذريتهما من ورثة جنة النعيم، و ارزقهما ذرية طاهرة طيبة مباركة، و اجعل في ذريتهما البركة، و اجعلهم أئمة يهدون بأمرك إلى طاعتك و يأمرون بما رزيت » ثم قال: «إنطلقا إلى منزلكما و لا تحدثا أمرا حتى آتيكما».

قال عليّ (عليه السلام): «فأخذت بيد فاطمة و انطلقت بها حتى جلست في جانب الصفّة و جلست في جانبها و هي مطرقة إلى الأرض حياء مني و أنا مطرق إلى الأرض حياء منها».

فما كان إلّا أن دخل رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و بيده مصباح، فوضعه في ناحية المنزل، و قال لي: «يا عليّ خذ في ذلك القعب ماء من تلك الشكوة، ففعلت ثم أتيته به فتفل فيه تفلات، ثم ناولني القعب و قال: اشرب منه، فشربت ثم رددته إلى رسول الله (صلّى الله عليه و اله) فناوله فاطمة و قال: اشربي حبيبتى فشربت منه ثلاث جرعات ثم ردتّه إليه، فأخذ ما بقي من الماء فنضحه على صدري و صدرها و قال: إنّما يريد الله ليذهب عنكم

ص: ٨٧

الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا، ثم رفع يديه و قال: يا ربّ إنّك لم تبعث نبيا إلّا و قد جعلت له عترة، اللهم فاجعل عترتي الهادية من عليّ و فاطمة، ثم خرج من عندهما فأخذ بعضادتي الباب و قال: طهركما الله و طهر نسلكما، أنا سلم لمن سالمكم و حرب لمن حاربكم، أستودعكما الله و أستخلفه عليكما» و أغلق الباب و أمر النساء فخرجن.

فلما أراد الخروج رأى امرأة فقال: من أنت؟ قالت: أسماء، فقال:

«ألم آمرك أن تخرجي؟» قالت أسماء: بلى يا رسول الله - فذاك أبي و امي - و ما قصدت خلافا، و لكنني أعطيت خديجة عهدا، حينما حضرت خديجة الوفاء بكت، فقلت: أتبكين و أنت سيّدة نساء العالمين؟ و أنت زوجة النبيّ (صلّى الله عليه و اله) و مبشرة على لسانه بالجنة؟

فقالت: ما لهذا بكيت، و لكن المرأة ليلة زفافها لا بدّ لها من امرأة تفضي إليها بسرّها، و تستعين بها على حوائجها، و فاطمة حديثه عهد بصبا، و أخاف أن لا يكون لها من يتولّى أمرها حينئذ.

فقلت: يا سيدتي لك عهد الله إن بقيت إلى ذلك الوقت أن أقوم مقامك في هذا الأمر، فبكى رسول الله و قال: «بالله لهذا وقفت؟». فقلت: نعم و الله، فدعالي^{١٣٠}.

٩- زيارة النبيّ (صلّى الله عليه و اله) للزهراء في صبيحة عرسها:

دخل رسول الله (صلّى الله عليه و اله) على فاطمة (عليها السلام) في صبيحة عرسها بقدر فيه

^{١٢٩} (1) شجرة طوبى: 254.

^{١٣٠} (1) ورد في الروايات أنّ أسماء بنت عميس حضرت زفاف فاطمة، و أسماء كانت مهاجرة بأرض الحبشة مع زوجها جعفر ابن أبي طالب (عليه السلام) و لم تعد هي و لا زوجها إلّا يوم فتح خيبر، و لم تشهد زفاف فاطمة و التي حضرت الوفاة لعلّها (سلمى بنت عميس) اختها زوجة حمزة بن عبد المطلب، و كانت أسماء أشهر من اختها فرووا عنها أو أنّ راويا واحدا سها و تبعه الآخرون لا كشف الغمة: 1/ 368).

لبن فقال: «اشربي فداك أبوك»، ثم قال لعلی (عليه السلام): «اشرب فداك ابن عمك»^{١٣١}.

ثم سأل علياً: «كيف وجدت أهلك؟ قال (عليه السلام): نعم العون على طاعة الله».

و سأل فاطمة فقالت: «خير بعل»^{١٣٢}.

قال عليّ (عليه السلام): «و مكث رسول الله (صلى الله عليه و اله) بعد ذلك ثلاثاً لا يدخل علينا، فلمّا كان في صبيحة اليوم الرابع جاءنا (صلى الله عليه و اله) ليدخل علينا...» فلمّا دخل عليهما أمر عليّاً بالخروج، و خلا بابنته فاطمة (عليها السلام) و قال: «كيف أنت يا بنية؟ و كيف رأيت زوجك؟».

قالت: «يا أبه خير زوج، إلّا أنّه دخل عليّ نساء من قريش و قلن لى زوجك رسول الله من فقير لا مال له»، فقال (صلى الله عليه و اله) لها: «يا بنية ما أبوك و لا بعلك بفقير، و لقد عرضت عليّ خزائن الأرض، فاخترت ما عند ربّي، و الله يا بنية ما ألوتك نصحا أن زوجتك أقدمهم سلماً و أكثرهم علماً و أعظمهم حلماً».

«يا بنية إنّ الله - عز و جل - اطلع إلى الأرض فاختر من أهلها رجلين فجعل أحدهما أباك و الآخر بعلك، يا بنية نعم الزوج زوجك، لا تعصى له أمراً».

ثم صاح رسول الله (صلى الله عليه و اله) بعلّي: «يا عليّ»، فقال: «لبيك يا رسول الله»، قال: ادخل بيتك و الطف بزوجتك و ارفق بها، فإنّ فاطمة بضعة منّي، يؤلمني ما يؤلمها و يسرني ما يسرها، أستودعكما الله و أستخلفه عليكم»^{١٣٣}.

و في رواية: لمّا زوج رسول الله (صلى الله عليه و اله) ابنته فاطمة (عليها السلام) قال لها:

«زوجتك سيّدا في الدنيا و الآخرة، و إنّ أول أصحابي إسلاماً و أكثرهم علماً و أعظمهم

١٠- تأريخ الزواج:

الروايات التي وردت عن أهل البيت (عليهم السلام) تنصّ كلّها على وقوع الزواج بعد عودة المسلمين من معركة بدر منتصرين.

^{١٣١} (1) كشف الغمة: 368 / 1.

^{١٣٢} (2) بحار الأنوار: 117 / 43.

^{١٣٣} (3) بحار الأنوار: 132 / 43.

^{١٣٤} (1) بحار الأنوار: 133 / 43، و كنز العمال: 11 / ح 32926 مثله، و مسند الإمام أحمد: 26 / 5 مثله، مختصر تاريخ دمشق: 337 / 17.

فعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «تزوج على فاطمة (عليها السلام) في شهر رمضان و بنى بها في ذى الحجة من العام نفسه بعد معركة بدر»^{١٣٥}.

و روى أيضا أن أمير المؤمنين (عليه السلام) دخل بفاطمة (عليها السلام) بعد رجوعه من معركة بدر لأيام خلت من شوال السنة الثانية من الهجرة النبوية المباركة^{١٣٦}.

و روى في أول يوم من ذى الحجة (السنة الثانية من الهجرة) زوج رسول الله (صلى الله عليه و اله) فاطمة عليا (عليه السلام)^{١٣٧}.

ص: ٩٠

مميزات زواج الزهراء (عليها السلام) بعلي (عليه السلام)

لقد امتاز زواج السيدة فاطمة سلام الله عليها بما يلي:

١- إنه زواج من السماء و بأمر من الله تعالى قبل أن يكون نسبا أرضيا، و مجرد ارتباط عاطفي، و يكفينا في ذلك ما روى عن عمر بن الخطاب إذ قال: نزل جبرئيل فقال: «يا محمد إن الله يأمرك أن تزوج فاطمة ابنتك من علي»^{١٣٨}.

٢- إن الله تعالى قد جعل الذرية النبوية الطاهرة محصورة بهذا الزواج المبارك، و من طريق هذين الزوجين، و في ذلك يقول عمر بن الخطاب:

سمعت رسول الله (صلى الله عليه و اله) يقول: «كل نسب و سب ينقطع يوم القيامة ما خلا سببي و نسبي، و كل بني اتني فعصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة، فإنني أبوهم و أنا عصبتهم»^{١٣٩}.

٣- إن الزهراء (عليها السلام) وحيدة محمد (صلى الله عليه و اله) التي لم يكن لها اخت في النسب الأبوي، أما زينب و رقية و أم كلثوم - و إن اشتهرن بكونهن بنات محمد (صلى الله عليه و اله) - فهن بنات هالة اخت خديجة، و قد كن في بيت خديجة حينما اقترنت بالنبي (صلى الله عليه و اله)، و لم يؤيد التحقيق التأريخي بنوتهن لمحمد (صلى الله عليه و اله)^{١٤٠}.

ص: ٩١

من الزواج إلى وفاة الرسول (صلى الله عليه و اله)

^{١٣٥} (2) كشف الغمة: 1/ 364، بحار الأنوار: 43/ 134.
^{١٣٦} (3) أمالي الطوسي: 43 مجلس 2 حديث 47.
^{١٣٧} (4) مصباح المتعبد للطوسي: 613 (ط. حجرية).
^{١٣٨} (1) ذخائر العقبى: 41، و راجع شرح نهج البلاغة 9/ 193.
^{١٣٩} (2) كنز العمال: ج 13/ 37586، و قريب منه ما في شرح نهج البلاغة 12/ 106.
^{١٤٠} (3) الإمام علي بن أبي طالب سيرة و تاريخ: ص 27، الشيخ محمد حسن آل ياسين، و راجع الاستغاثة لأبي القاسم الكوفي المتوفى 352: الصفحة 80- 82 طبعة دار الكتب العلمية قم.

١- الزهراء (عليها السلام) فى بيت الزوجية:

لَمَّا تزَوَّجَ على من فاطمة (عليها السلام) قال رسول الله (صلى الله عليه و اله) لعلّى: «اطلب منزلاً»، فطلب على منزلاً فأصابه مستأخراً عن النبي (صلى الله عليه و اله) قليلاً فبنى بها فيه.

فجاء النبي (صلى الله عليه و اله) إلى ابنته فقال: «إننى أريد أن احوّلكِ إلىّ»، فقالت لرسول الله (صلى الله عليه و اله): «فكلم حارثة بن النعمان أن يتحوّل عنّى» فقال رسول الله (صلى الله عليه و اله):

«قد تحوّل حارثة عنّا حتى قد استحييت منه»، فبلغ ذلك حارثة فجاء إلى النبي (صلى الله عليه و اله) و قال: يا رسول الله إنه بلغنى أنّك تحوّل فاطمة إليك و هذه منازلى و هى أسقب بيوت بنى النجار بك، و إنّما أنا و مالى لله و لرسوله، و الله يا رسول الله المال الذى تأخذ منى أحبّ إلىّ من الذى تدع، فقال رسول الله (صلى الله عليه و اله):

«صدقت، بارك الله عليك» فحوّلها رسول الله إلى بيت حارثة^{١٤١}.

انتقلت السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) إلى البيت الزوجى و كان انتقالها من بيت الرسالة و النبوة إلى دار الإمامة و الولاية، فهى تعيش فى جوّ تكتنفه القداسة و النزاهة، و تحيط به عظمة الزهد و بساطة العيش، و كانت تعين زوجها على أمر دينه و آخرته.

كان على (عليه السلام) يحترم السيّدة فاطمة الزهراء احتراماً لا تقا بها، لا لأنّها زوجته فقط، بل لأنّها أحبّ الخلق إلى رسول الله (صلى الله عليه و اله) و لأنّها سيّدة نساء

ص: ٩٢

العالمين، و لأنّ نورها من نور رسول الله (صلى الله عليه و اله)، و لأنّها مجموعة الفضائل و القيم.

و لم يعلم بالضبط مدّة إقامة الإمام علىّ و السيّدة فاطمة (عليهما السلام) فى دار حارثة بن النعمان إلّا أنّ رسول الله (صلى الله عليه و اله) بنى لها بيتاً ملاصقاً لمسجده، له باب شارع إلى المسجد كبقية الحجرات التى بناها لزوجاته، و انتقلت السيّدة فاطمة إلى ذلك البيت الجديد الملاصق لبيت الله و المجاور لبيت رسول الله (صلى الله عليه و اله).

و لم يكن رسول الله (صلى الله عليه و اله) ليترك هذا الغرس النبوىّ دون أن يرعاه و يحتضنه بتوجيهه و عنايته، فعاش الزوجان فى ظلّ رسول (صلى الله عليه و اله) و فى كنفه و منح (صلى الله عليه و اله) فاطمة بعد زواجها ما لم يمنحه لأحد من الحبّ و النصيحة و التوصية، فقد علّمها أبوها (صلى الله عليه و اله) معنى الحياة، و أوحى لها بأنّ الإنسانية هى جوهر الحياة، و أنّ السعادة الزوجية القائمة على الخلق و القيم الإسلامية هى أسمى من المال و القصور و الزخارف و قطع الأثاث و تحف الفن المزخرفة.

^{١٤١} (١) الطبقات لابن سعد: 22 / 8، طبعة دار الفكر.

و تعيش فاطمة الزهراء فى كنف زوجها قريه العين سعيدة النفس، لا تفارقها البساطة و لا يبرح بيتها خشونة الحياة، فهى الزوجة المثالية، زوجة على (عليه السلام) بطل المسلمين، و وزير الرسول (صلى الله عليه و اله) و مشاورة الأول، و حامل لواء النصر و الجهاد، و عليها أن تكون بمستوى المسؤولية الخطيرة، و أن تكون لعل كما كانت أمها خديجة لرسول الله (صلى الله عليه و اله) تشاركه فى جهاده و تصبر على قساوة الحياة و رسالة الدعوة الصعبة.

لقد كانت حقا بمستوى مهمتها التى اختارها الله تعالى لها، فكانت القدوة الصالحة للمسلم الرسالى و للمرأة النموذجية المسلمة.

ص: ٩٣

أ- إدارة شؤون البيت و الحياة الشاقة:

البيت الوحيد الذى كان يضم بين جدرانها زوجين معصومين مطهرين منزّهين عن ارتكاب الذنوب و اكتساب المآثم، يتصفان بالفضائل الأخلاقية و الكمال الإنسانى هو بيت على و فاطمة (عليهما السلام).

فعلى (عليه السلام) نموذج الرجل الكامل فى الإسلام، و فاطمة نموذج المرأة الكاملة فى الإسلام، ترعرا فى ظل النبى الأكرم (صلى الله عليه و اله) و غذاهما بالعلم و سائر الفضائل، و استأنست آذانهما الواعية منذ الصغر بالقرآن الكريم و هما يسمعان النبى (صلى الله عليه و اله) يرتله ليلا و نهارا و فى كل آن، و أطلّا على الغيب و ارتشفا العلوم و المعارف الإسلامية من معينها الأصيل و منيعها العذب، و رأيا الإسلام يتحرك فى شخص رسول الله (صلى الله عليه و اله) فكيف إذن لا تكون أسرتهما النموذج الأمثل للأسرة المسلمة؟.

كان بيت على و فاطمة (عليهما السلام) أروع نموذج فى الصفاء و الإخلاص و المودة و الرحمة، تعاوننا فيه بوئام و حنان على إدارة شؤون البيت و إنجاز أعماله، و قضى رسول الله (صلى الله عليه و اله) بخدمة فاطمة دون الباب و قضى على على (عليه السلام) بما خلفه.

قالت فاطمة (عليها السلام): «فلا يعلم ما داخلنى من السرور إلّا الله، بكفايتى رسول الله (صلى الله عليه و اله) تحمّل رقاب الرجال»^{١٤٢}.

إنّ الزهراء خريجة مدرسة الوحى، و هى تعلم أن معقل المرأة من المواقع المهمة فى الإسلام، و إذا ما تخلّت عنه و سرحت فى الميادين

ص: ٩٤

الآخرى عجزت عن القيام بوظائف تربية الأبناء كما ينبغى، و من هنا تهلّ وجهها بالبشر و داخلها السرور بما قضى به الرسول (صلى الله عليه و اله).

لقد كانت بنت النبي الأكرم تبذل قصارى جهدها لإسعاد أسرته، و لم تستقل أداء مهام البيت رغم كل الصعوبات و المشاق، حتى أن علياً أمير المؤمنين (عليه السلام) رقّ لحالها و امتدح صنعها، و قال لرجل من بنى سعد : «ألا احذثك عني و عن فاطمة؟ إنها كانت عندى و كانت من أحب أهله (صلى الله عليه و اله) إليه، و إنها استقت بالقربة حتى أثر في صدرها، و طحنت بالرحى حتى مجلت يداها، و كسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، و أوقدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فأصابها من ذلك ضرر شديد فقلت لها : لو أتيت أباك فسألتيه خادما يكفيك ضرراً ما أنت فيه من هذا العمل، فأتت النبي (صلى الله عليه و اله) فوجدت عنده حدثاً^{١٤٣} فاستحت فانصرفت».

قال علي (عليه السلام): «فعلم النبي (صلى الله عليه و اله) أنها جاءت لحاجة، قال (عليه السلام): فغدا علينا رسول الله (صلى الله عليه و اله) و نحن فى لفاعنا، فقال (صلى الله عليه و اله): السلام عليكم، فقلت: و عليك السلام يا رسول الله ادخل، فلم يعد أن يجلس عندنا، فقال (صلى الله عليه و اله): يا فاطمة، ما كانت حاجتك أمس عند محمد؟ قال (عليه السلام): فخشيت إن لم تجبه أن يقوم، فأخبره على بحاجتها، فقلت: أنا و الله اخبرك يا رسول الله إنها استقت بالقربة حتى أثرت فى صدرها و جرت بالرحى حتى مجلت يداها و كسحت البيت حتى اغبرت ثيابها و أوقدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فقلت لها : لو أتيت أباك فسألتيه خادما يكفيك ضرراً ما أنت فيه من هذا العمل، فقال (صلى الله عليه و اله): أفلا اعلمكما ما هو خير لكما من الخادم؟ إذا أخذتما منامكما فسبحا ثلاثاً و ثلاثين و احمداً ثلاثاً و ثلاثين و كبراً أربعاً و ثلاثين».

و فى رواية: أنها لما ذكرت حالها و سألت جارية بكى رسول الله (صلى الله عليه و اله)

ص: ٩٥

فقال: «يا فاطمة و الذى بعثنى بالحق، إن فى المسجد أربعمائة رجل ما لهم طعام و ثياب و لو لا خشيتي لأعطيتك م سألتي، يا فاطمة و إننى لا اريد أن ينفك عنك أجرك إلى الجارية، و إننى أخاف أن يخصمك على بن أبى طالب (عليه السلام) يوم القيامة بين يدي الله - عز و جل - إذا طلب حقه منك، ثم علّمها صلاة التيسيع».

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «مضيت تريدين من رسول الله (صلى الله عليه و اله) الدنيا فأعطانا الله ثواب الآخرة»^{١٤٤}.

و فى ذات يوم دخل رسول الله (صلى الله عليه و اله) على علي (عليه السلام) فوجده هو و فاطمة (عليها السلام) يطحنان فى الجاروش، فقال النبي (صلى الله عليه و اله): «أيكما أعيب؟» فقال علي (عليه السلام): «فاطمة يا رسول الله» فقال (صلى الله عليه و اله): «قومي يا بنية»، فقامت و جلس النبي (صلى الله عليه و اله) موضعها مع علي (عليه السلام) فواساه فى طحن الحب^{١٤٥}.

^{١٤٣} (١) أي: جماعة يتحدثون معه.

^{١٤٤} (١) بحار الأنوار: 85 / 43.

^{١٤٥} (٢) المصدر السابق: 50 / 43.

و روى عن جابر الأنصارى أنه رأى النبي (صلى الله عليه و اله) فاطمة و عليها كساء من أجله الإبل و هى تطحن بيديها و ترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله (صلى الله عليه و اله)، فقال: «يا بنتاه، تعجلى مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة» فقالت: «يا رسول الله، الحمد لله على نعمائه، و الشكر لله على آلائه»، فأنزل الله و لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى^{١٤٦}.

و عن أبى عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: «كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يحتطب و يستقى و يكنس، و كانت فاطمة (عليها السلام) تطحن و تعجن و تخبز»^{١٤٧}.

و عن أنس: أن بلالا أبطأ عن صلاة الصبح، فقال له النبي (صلى الله عليه و اله): «ما

ص: ٩٦

حبسك؟» قال: مررت بفاطمة تطحن و الصبي يبكي، فقلت لها : إن شئت كفيتك الرحي و كفيتنى الصبي، و إن شئت كفيتك الصبي و كفيتنى الرحي فقالت: «أنا أرفق بابنى منك».

فذاك الذى حبسنى، قال (صلى الله عليه و اله): «فرحمتها، رحمك الله»^{١٤٨}.

و عن أسماء بنت عميس عن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله): «أن الرسول (صلى الله عليه و اله) أتى يوما فقال: أين ابنائى؟» يعنى حسنا و حسين، قالت : «أصبحنا و ليس عندنا فى بيتنا شىء يذوقه ذائق». فقال على (عليه السلام): «اذهب بهما إلى فلان؟»، فتوجه إليهما رسول الله (صلى الله عليه و اله) فوجدهما يلعبان فى مشربة بين أيديهما فضل من تمر فقال (صلى الله عليه و اله): «يا على، ألا تقلب إبنى قبل أن يشتد الحرّ عليهما؟» فقال على (عليه السلام): «أصبحنا و ليس فى بيتنا شىء، فلو جلست يا رسول الله حتى أجمع لفاطمة تمرات»، فلما اجتمع له شىء من التمر جعله فى حجره ثم عاد إلى البيت^{١٤٩}.

و عن عمران بن حصين قال: كنت مع النبي (صلى الله عليه و اله) جالسا إذ أقبلت فاطمة فوقف بين يديه فنظر إليها و قد غلبت الصفرة على وجهها، و ذهب الدم من شدة الجوع، فقال : «ادنى يا فاطمة» فدنت ثم قال : «ادنى يا فاطمة» فدنت حتى وقفت بين يديه، فوضع يده على صدرها فى موضع القلادة و فرج بين أصابعه و قال : «اللهم مشبع الجاعة و رافع الوضعة لا تجع فاطمة بنت محمد»^{١٥٠}.

هذه هى الدنيا فى عين فاطمة بنت الرسول مواجهة للمعاناة و تألم من الجوع و انهيار من التعب، و لكن كل ذلك يبدو ممزوجا بحلاوة الصبر و ندى

ص: ٩٧

الايثار، لأن وراءه نعيما لا انتهاء له، حصّة يوم يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب.

^{١٤٦} (3) المصدر السابق: 86 / 3.

^{١٤٧} (4) المصدر السابق: 151.

^{١٤٨} (1) ذخائر العقبى: 61.

^{١٤٩} (2) المصدر السابق: 59.

^{١٥٠} (3) نظم درر السمطين: 191.

إنَّ إلقاء نظرة فاحصة على حياة الزهراء (عليها السلام) توضّح لنا أنَّ حياتها الشاقة لم تتغيّر حتى بعد أن أصبحت موفورة المال، في سعة من العيش - خصوصا بعد فتح بنى النضير و خيبر و تمليكها فدكا و غيرها - عمّا كانت عليه قبل ذلك رغم غلتها الوفرة، إذ روى أنَّ فدكا كان دخلها أربعة و عشرين ألف دينار، و في رواية سبعين ألف دينار سنويا^{١٥١}.

فالزهراء لم تعمر الدور و لم تبني القصور و لم تلبس الحرير و ا لديباج و لم تقتن النفائس، بل كانت تتفق كلّ ذلك على الفقراء و المساكين و في سبيل الدعوة إلى الله و نشر الإسلام .. و هكذا كان حال زوجها عليّ (عليه السلام) الذي أوقف على الحجاج مائة عين استنبتها في ينبع^{١٥٢} و قد بلغت صدقات أمواله في السنة أربعين ألف دينار^{١٥٣} و كانت صدقاته هذه كافية لبني هاشم جميعا إن لم نقل إنّها تكفى امّة كبيرة من الناس من غيرهم، إذا لاحظنا أنَّ ثلاثين درهما كانت كافية لشراء جارية للخدمة، و كان الدرهم يكفى لشراء حاجات كثيرة حينذاك.

ب - طيب معاشرتها للإمام عليّ (عليه السلام):

عاشت الزهراء (عليها السلام) في بيت أعظم شخصية إسلامية بعد الرسول الأعظم (صلى الله عليه و اله) على الإطلاق، رجل مهمته حمل راية الإسلام و الدفاع عنه.

ص: ٩٨

و كانت الظروف السياسية حسّاسة و في غاية الخطورة يوم كانت جيوش الإسلام في حالة إنذار دائم، إذ كانت تشتبك في حروب ضروس في كلّ عام، و قد اشترك الإمام عليّ (عليه السلام) في أكثرها.

و كانت الزهراء توفّر الجوّ اللازم و الدفء و الحنان المطلوب في البيت المشترك، و بهذا كانت تشارك في جهاد عليّ أيضا فإنّ جهاد المرأة حسن التبعل كما ورد في الحديث الشريف^{١٥٤}.

لقد كانت الزهراء (عليها السلام) تشجّع زوجها، و تمتدح شجاعته و تضحيته، و تشدّ على يده للمعارك المقبلة، و تسكّن جراحه و تمتص آلامه، و تسرّى عنه أتعابه، حتى قال الإمام عليّ (عليه السلام): «و لقد كنت أنظر إليها فتتجلى عني الغموم و الأحزان بنظرتي إليها»^{١٥٥}.

و لقد كانت حريصة كلّ الحرص في القيام بمهام الزوجية، و ما خرجت فاطمة (عليها السلام) من بيتها يوما بدون إذن زوجها، و ما أسخطته يوما و ما كذبت في بيته و ما خائته و ما عصت له أمرا، و قابلها الإمام عليّ (عليه السلام) بنفس الاحترام و الودّ و هو يعلم مقامها و منزلتها الرفيعة، حتى قال: «فو الله ما أغضبته و لا أكربتها من بعد ذلك حتى قبضها الله إليه، و لا أغضبته و لا عصت لي أمرا»^{١٥٦}.

^{١٥١} (1) سفينة البحار: 45 / 7.

^{١٥٢} (2) المناقب: 123 / 2، و بحار الأنوار: 32 / 41.

^{١٥٣} (3) كشف المحجة: ص 133، و أنساب الأشراف: 117 / 2، و مجمع الزوائد: 123 / 9، و بحار الأنوار: 43 / 41، و أسد الغابة: 23 / 4.

^{١٥٤} (1) وسائل الشيعة: 20 / 221 طبعة مؤسسة آل البيت (عليهم السلام).

^{١٥٥} (2) المناقب للخوارزمي: 353، طبعة مؤسسة النشر الاسلامي

^{١٥٦} (3) المصادر السابق

و ذكر الإمام (عليه السلام) ذلك في لحظات عمر الزهراء (عليها السلام) الأخيرة حين أرادت أن توصيه : «يا ابن عمّ! ما عهدتني كاذبة ولا خائنة، ولا خالفتك من ذ عاشرتني؟» فقال (عليه السلام): «معاذ الله، أنت أعلم بالله وأبرّ وأتقى وأكرم وأشدّ خوفا منه، والله جدّدت على مصيبة رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و قد عظمت وفاتك وفقدك، فإنّا لله وإنا إليه

ص: ٩٩

راجعون»^{١٥٧}.

و عن أبي سعيد الخدرى قال : أصبح علىّ بن أبى طالب (عليه السلام) ذات يوم ساغبا فقال : «يا فاطمة هل عندك شىء تغذينيه؟» قالت: «لا، و الذى أكرم أبى بالنبوة و أكرمك بالوصية ما أصبح الغداة عندى شىء و ما كان شىء اطعمناه مذ يومين إلّا شىء كنت أوثرك به على نفسى و على ابنى هذين (الحسن و الحسين) فقال علىّ (عليه السلام): «يا فاطمة ألا كنت أعلمتنى فأبغىكم شيئا؟» فقالت: «يا أبا الحسن إننى لأستحى من إلهى أن أكلف نفسك ما لا تقدر عليه»^{١٥٨}.

هكذا عاش هذان الزوجان النموذجيان فى الإسلام، و أدّيا واجباتهما، و ضربا المثل الأعلى للأخلاق الإسلامية السامية، كيف لا؟ و قد قال النبىّ (صلّى الله عليه و اله) فى ليلة الزفاف لعلّى (عليه السلام): «يا علىّ، نعم الزوجة زوجتك» و قال لفاطمة (عليها السلام): «يا فاطمة نعم البعل بعلك»^{١٥٩}.

و قال (صلّى الله عليه و اله): «لو لا علىّ لم يكن لفاطمة كفؤ»^{١٦٠}.

ج- فاطمة (عليها السلام) فى دور الأم:

إنّ الامومة من الوظائف الحسّاسة و المهام الثقيلة التى القيت على عاتق الزهراء (عليها السلام) حيث أنجبت خمسة أطفال هم: الحسن و الحسين و زينب و أمّ كلثوم فى حين اسقط جنينها المحسن قبل ولادته^{١٦١}.

ص: ١٠٠

و قد قدر الله سبحانه و تعالى أن يكون نسل رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و ذريّته من فاطمة (عليها السلام)، كما أخبر رسول الله (صلّى الله عليه و اله) بقوله: «إنّ الله جعل ذريّة كلّ نبىّ فى صلبه و جعل ذريّتى فى صلب علىّ بن أبى طالب»^{١٦٢}.

إنّ الزهراء (عليها السلام) - و هى ربيبة الوحى و النبوة - تعرف جيدا مناهج التربية الإسلامية و التى تجلّت فى تربيتهامثل الحسن (عليه السلام) الذى أعدّته ليتحمّل مسؤولية قيادة المسلمين و يتجرّع الغصص فى أخرج اللحظات من تأريخ

^{١٥٧} (1) روضة الواعظين: 1/ 151.

^{١٥٨} (2) بحار الأنوار: 43/ 59.

^{١٥٩} (3) المصدر السابق: 43/ 117، 132.

^{١٦٠} (4) كشف الغمة: 1/ 472.

^{١٦١} (5) لأنّ المحسن ولد ميتا من ضربة المهاجمين على دار الزهراء بعد امتناع عليّ (عليه السلام) من البيعة بعد وفاة الرسول (صلّى الله عليه و اله). و قد عدّ ابن عساكر فى تأريخه فى ترجمة الإمام الحسن أولاد السيّدة الزهراء و أورد-- المحسن قائلا: مات فى حياة أبيه فراجع.

^{١٦٢} (1) تأريخ بغداد: 1/ 316، كنز العمال: 11/ ح 32892.

الرسالة، و يصلح معاوية على مضض حفاظا على سلامة الدين الإسلامى و الفئة المؤمنة، و يعلن للعالم أن الإسلام و هو دين السلام لا يسمح لأعدائه باستغلال مشاكله الداخلية لضربه و إضعافه، فيسقط ما فى يد معاوية و يفشل خططه و مؤامراته لإحياء الجاهلية، و يكشف تضليله لعامة الناس و لو بعد برهة، و يقضى على اللعبة التى أراد معاوية أن يمررها على المسلمين.

و الزهراء (عليها السلام) قد ربّت مثل الحسين (عليه السلام) الذى اختار التضحية بنفسه و جميع أهله و أعزّ أصحابه فى سبيل الله و من أجل مقارعة الظلم و الظالمين، ليروى بدمه شجرة الإسلام الباسقة.

و ربّت الزهراء (عليها السلام) مثل زينب و أمّ كلثوم، و علّمتهم دروس التضحية و الفداء و الصمود أمام الظالمين، حتى لا يذعنّ و لا يخضعن للظالم و قوته، و يقتلن الحقّ، أمام جبروت بنى أميّة بكلّ جرأة و صراحة، لتتضح خطورة المؤامرة على الدين و على أمة سيّد المرسلين.

ص: ١٠١

٢- الزهراء (عليها السلام) مع النبیّ (صلّى الله عليه و اله) فى تثبيت دعائم الدولة:

أ- الزهراء قبل فتح مكة:

منذ أن دخل رسول الله (صلّى الله عليه و اله) المدينة المنورة كان دأبا على هدم أركان الجاهلية و استئصال جذورها و ضرب مواقعها، فكانت حياته فى المدينة المنورة كما كانت فى مكة حياة جهاد و بناء، جهاد المشركين و المنافقين و اليهود و الصليبيين، و بناء الدولة الإسلامية العظيمة، و نشر الدعوة و تبليغها فى كلّ بقعة يمكن لصوت التوحيد أن يصل إليها، فراح رسول الله (صلّى الله عليه و اله) يحارب بالكلمة و العقيدة تارة، و بالسيف و القوة تارة أخرى، و بالأسلوب الذى يمليه الموقف و تفرضه الحكمة.

و هكذا جاهد رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و قاتل فى مرحلة حرجة صعبة، لم يكن يملك فيها من المال و الجيوش و الاستعدادات العسكرية ما يعادل أو يقارب جيوش الأحزاب و قوى البغى و الضلال التى تصدّت لدعوة الحق و الهدى، بل كانت كلّ قواه قائمة فى إيمانه و انتصاره برّبه و بالفئة المخلصة من أصحابه.

و الذى يقرأ تاريخ الدعوة و جهاد رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و صبره و احتماله؛ يعرف عظمة هذا الإنسان المبدئى، و يدرك قوّة عزيمته و مدى صبره و رعاية الله و نصره له و لاولئك المجاهدين الذين حملوا راية الجهاد بين يديه، فيكتشف مصدر النصر و القوة الواقعيين.

و لقد مرّت هذه الفترة الجهادية الصعبة بكامل ظروفها و أبعادها بفاطمة (عليها السلام) و هى تعيش فى كنف زوجها و أبيها، تعيش بروحها و مشاعرها،

ص: ١٠٢

و بجهادها في بيتها، و في مواساتها و مشاركتها لأبيها، في شدّته و محتته، فقد شهدت جهاد أبيها و صبره و احتماله، شاهدته و هو يجرح في (احد) و تكسر رباعيته، و يخذله المنافقون، و يستشهد عمّ أبيها حمزة أسد الله و نخبه من المؤمنين معه.

روى أنّه لما انتهت فاطمة (عليها السّلام) و صفيّة إلى رسول الله (صلّى الله عليه و اله) - بعد معركة احد - و نظرنا اليه قال (صلّى الله عليه و اله) لعلّي (عليه السّلام): «أما عمّتي فاحبسها عنّي و أما فاطمة فدعها» فلمّا دنت فاطمة (عليها السّلام) من رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و رآته قد شح وجهه و ادمى فوه، صاحت و جعلت تمسح الدم و تقول: اشتد غضب الله على من ادمى وجه رسول الله (صلّى الله عليه و اله)، و كان (صلّى الله عليه و اله) يتناول في يده ما يسيل من الدم فيرميه في الهواء فلا يتراجع منه شيء^{١٦٣}.

و كانت فاطمة (عليها السّلام) تحاول تضמיד جرح رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و قطع الدم الذي كان ينزف من جسده الشريف، فكان زوجها يصبّ الماء على جرح رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و هي تغسله، و لما يئست من انقطاع الدم أخذت قطعة حصير و أحرقتها حتى صار رمادا فذرّته على الجرح حتى انقطع دمه^{١٦٤}.

و يحدثنا التاريخ عن مشاركة فاطمة (عليها السّلام) بروحها و مشاعرها لأبيها في كفاحه و صبره و جهاده في أكثر من موقع.

فقد روى أنّ رسول الله (صلّى الله عليه و اله) قدم من غزاة له، فدخل المسجد فصلّى فيه ركعتين، ثم بدأ - كعادته - ببيت فاطمة قبل بيوت نسائه، جاءها ليزورها و يسر بلقائها، فرأت على وجهه آثار التعب و الإجهاد، فتألّمت لما رأت و بكت فسألها (صلّى الله عليه و اله): «ما يبكيك يا فاطمة؟» فقالت: «أراك قد شحّب

ص: ١٠٣

لونك» فقال (صلّى الله عليه و اله) لها: «يا فاطمة إنّ الله - عز و جل - بعث أباك بأمر لم يبق على ظهر الأرض بيت مدر و لا شعر إلّا دخله به عزّاً أو ذلاً يبلغ حيث يبلغ الليل»^{١٦٥}.

و ليست هذه العاطفة و تلك العناية و المشاركة مع الأب القائد و الرسول الأعظم (صلّى الله عليه و اله) من ابنته فاطمة (عليها السّلام) هي كلّ ما تقدّمه لأبيها من إيثارها له و اهتمامها به و مشاركتها له في شدّته و عسرتة، إنّها جاءت يوم الخندق و رسول الله (صلّى الله عليه و اله) منهمك مع أصحابه في حفر الخندق لتحصين المدينة و حماية الإسلام، جاءت و هي تحمل كسرة خبز فرفعتها اليه فقال (صلّى الله عليه و اله): «ما هذه يا فاطمة؟» قالت: «من قرص اختبزه لابنّي، جئتك منه بهذه الكسرة» فقال (صلّى الله عليه و اله): «يا بنيّة أما إنّها لأول طعام دخل في فم أبيك منذ ثلاث»^{١٦٦}.

هذه صورة مشرقة لجهاد المرأة المسلمة تصنعها فاطمة في ظلال رسول الله (صلّى الله عليه و اله)، فهي تشارك بكلّ ما لديها لتشد أزر الإسلام و تكافح جنباً إلى جنب مع أبيها و زوجها و أبنائها في ساحة واحدة و خندق واحد، لتدوّن في

^{١٦٣} (1) بحار الأنوار: 96/20، و روى أحمد بن حنبل في مسنده 334/5 ما في معناه.

^{١٦٤} (2) فضائل الخمسة: 161/3.

^{١٦٥} (1) فضائل الخمسة (الفيروز آبادي): 161/3، و حلية الأولياء لأبي نعيم: 30/2، و كنز العمال 1/ح 1448.

^{١٦٦} (2) ذخائر العقبى: 47، و فضائل الخمسة: 161/3.

صحائف التاريخ درسا عمليا تتلقاه الأجيال من هذه الامة المسلمة، فتتعلم حياة الإيمان التي تصنعها عقيدة التوحيد بعيدة عن اللهو و العبث و الضياع.

ب- الزهراء (عليها السلام) في فتح مكة:

لقد أحسّت سيّدة النساء بالغبطة و السعادة و قد رأت القسم الأكبر من الجزيرة يخضع لسلطان الإسلام و يدين برسالة أبيها، و ها هي قريش مع عتوّها و كبريائها ترسل أحد زعمائها إلى يثرب عاصمة الإسلام لتفاوض

ص: ١٠٤

النبيّ (صلى الله عليه و اله) على تمديد أمد الهدنة التي تمّ الاتفاق عليها في الحديبية، حينما ذهب النبيّ معتمرا في العام السادس للهجرة.

لقد أرسلت قريش زعيمها أبا سفيان بعد أن أخلّت بالشروط التي تمّ الاتفاق عليها ليعرض على النبيّ طلب قريش فلم يجد تجاوبا من النبيّ، فاستجار بجماعة من المسلمين فلم يجره أحد حتى ابنته رملّة زوجة النبيّ (صلى الله عليه و اله)، فدخل على عليّ و الزهراء (عليهما السلام) يطلب منهما الشفاعة له عند رسول الله (صلى الله عليه و اله) فأبى كلّ من عليّ و الزهراء و الحسين (عليهم السلام) أن يجيروه، و لما يئس من أن يجيره مسلم من المسلمين رجع آيسا خائفا منكسرا يتعثر بالفشل و الخذلان.

و أيقنت الزهراء من موقف أبيها من أبي سفيان أنّه سيفتتح مكة، و دنت الأيام فخرج الرسول في عشرة آلاف من المسلمين و لواؤه مع ابن عمّه و وصيّ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) و خرجت معه الزهراء فيمن خرج معه من النساء، لقد ظلّت الزهراء إلى جانب أبيها مزهوة بنصر الله و قد رأت الأصنام تحت أقدام أبيها، و رأت قريشا تلوذ به و تقول: أخ كريم و ابن أخ كريم، و أبوها يقول لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

لقد كانت الأيام التي قضتها الزهراء مع أبيها في مكة حافلة بالذكرات، حيث تذكّرت فيها أيام أبيها يوم كان المشركون يطارّدونه و أصحابه و يحاصرونه في الشعب، كما و تذكّرت أيام امها خديجة و عمّ أبيها أبي طالب.

لقد رأت في تلك الرحلة المظفرة هوازن و ثقيفا و أحلافهما من العرب الذين ظلّوا حتى ذلك التاريخ على موقفهم المتصلّب من الإسلام، رأتهم ينهارون و تندك حصونهم و معاقلمهم و تقع أموالهم و صبيانهم و نساؤهم في

ص: ١٠٥

معركة حنين غنيمة للمسلمين.

و عادت مع أبيها و زوجها إلى مدينة الأنصار تاركة مكة مرتع الصبا و موطن الأهل و الأحباب، و امتدت حياتها عامين بعد هذه الرحلة و كانا من أسعد أيام حياتها حيث الإسلام قد انتشر في جميع أنحاء الجزيرة، و أصبح الأول من بين الأديان^{١٦٧}.

٣- حجة الوداع و الأيام الأخيرة:

و مرت تلك الأيام بعبائنها و حلوها و مرّها حتى جاءت السنة العاشرة من الهجرة دعا النبيّ الأكرم (صلّى الله عليه و اله) عامة المسلمين لأداء مناسك الحج، و حجّ بهم حجة الوداع، و علّمهم أحكام الحج و مناسكه، و عند العودة توقّف الركب عند غدير خم، و صعد النبيّ (صلّى الله عليه و اله) على منبر من أحداج الإبل و نادى بصوت عال بعد تمهيدات عديدة : «من كنت مولاه فعلىّ مولاه اللهمّ وال من والاه و عاد من عاداه» فنصب عليّا (عليه السّلام) لخلافته من بعده، ثم أمر المسلمين فبايعوا عليّا و سلّموا عليه بإمرة المؤمنين، ثم تفرّقوا في بلدانهم، و عاد النبيّ (صلّى الله عليه و اله) إلى المدينة.

و بدخول السنة الحادية عشرة من الهجرة، و في الأيام الأخيرة من شهر صفر اشتكى النبيّ من مرض ألمّ به، و كان قد عزم على غزو الروم و أعدّ لقيادة جيشه اسامة بن زيد و هو في مطلع شبابه، و أمر جميع المهاجرين و الأنصار أن ينضمّوا اليه، و جعل يستحثّهم على الخروج، و نصّ على بعضهم بالاسم لىخلى الساحة من المخالفين و المتربّصين، و يفوت الفرصة على المعارضين لخلافة الإمام علىّ (عليه السّلام).

ص: ١٠٦

و ظنّ أكثر المسلمين في بداية الأمر أنّها و عكة صحيّة طارئة لا تلبث أن تزول بسرعة، غير أنّ الزهراء لم تكذب تسمع بشكوى أبيها حتى ارتجّ قلبها و انهارت و كأنّها و الموت على ميعاد، فقد بانت أمارات الموت عليه (صلّى الله عليه و اله) و ضعفت صحته، فكان يتهيّأ و يوصى بأهل بيته في كلّ مناسبة، و يزور البقيع و يخاطبهم بكلمات تشعر بدنوّ أجله، لا سيما و قد سمعته قبل ذلك يقول في بعض المناسبات لأصحابه و هو يعظهم: «يوشك أن ادعى فاجيب»، و سمعته يقول في حجة الوداع على جبل عرفات و قد وقف بين المسلمين : «لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا»، و تكرّرت منه هذه المقالة في السنة العاشرة من الهجرة.

و مرّة رأت فاطمة (عليها السّلام) في منامها - بعد حجة الوداع - أنّها كانت تقرأ القرآن و فجأة وقع القرآن من يدها و اختفى، فاستيقظت مرعوبة و قصّت الرؤيا على أبيها (صلّى الله عليه و اله) فقال رسول الله (صلّى الله عليه و اله): «أنا ذلك القرآن - يا نور عيني - و سرعان ما أرحل»^{١٦٨}.

لقد كانت فاطمة (عليها السّلام) و أمير المؤمنين أشدّ الناس لصوقاً و أقربهم إلى رسول الله في فترة مرضه و حتى وفاته (صلّى الله عليه و اله)، فعن علىّ (عليه السّلام): أنّ معاذاً سأل عائشة كيف وجدت رسول الله (صلّى الله عليه و اله) عند وجعه و وفاته؟ فقالت: يا معاذ ما شهدت عند وفاته و لكن دونك هذه فاطمة ابنته فاسألها^{١٦٩}.

^{١٦٧} (1) راجع سيرة الأئمة الاثني عشر: 100-105.

^{١٦٨} (1) رياحين الشريعة: 239/1.

^{١٦٩} (2) راجع الإصابة: 178/2 (ط. مصر).

كما أن فاطمة كانت تطوف حين مرض النبي (صلى الله عليه و اله) على أزواجه فتقول: إنه يشق على النبي (صلى الله عليه و اله) أن يطوف عليكن، فقلن هو في حل^{١٧٠}.

ص: ١٠٧

و اشتد المرض بالنبي (صلى الله عليه و اله) أكثر فأكثر، فهو مسجى على فراش الموت و الزهراء بجانبه يشتد وجدها على أبيها، و تقول: و اكرى لكربك يا أبتاه ! فتارة تحديق في وجهه الشاحب و تذرف الدموع الساخنة، و اخرى تدعو له بالسلامة.

لقد ثقل المرض على رسول الله (صلى الله عليه و اله) حتى أغمى عليه، فلما أفاق؛ وجد أبا بكر و عمر و آخرين عنده، فقال (صلى الله عليه و اله): «ألم آمركم بالمسير في جيش اسامة؟» فاعتذروا إلا أن النبي (صلى الله عليه و اله) كان يعلم ما تكن صدورهم و ما يبيتون من بقائهم في المدينة لبيتزوا مركز القيادة الإسلامية، فقال (صلى الله عليه و اله): «إئتوني بدواء و بياض، أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدى أبدا»، فتنازعوا فقالوا: إن رسول الله (صلى الله عليه و اله) يهجرو في نص آخر: قال عمر: إن النبي غلبه الوجع حسبنا كتاب الله فاختلفوا و كثر اللغط، قال (صلى الله عليه و اله): قوموا عني و لا ينبغي عندي التنازع^{١٧١}.

كانت الزهراء ترى كل ذلك بقلب حزين و عين دامعة، و كأنها ترتقب أياما صعبة الأحداث.

٤- وصايا الرسول (صلى الله عليه و اله) في ساعة الوداع:

لما ثقل و اشتد المرض برسول الله (صلى الله عليه و اله) و حضرته الوفاة؛ أخذ أمير المؤمنين علي (عليه السلام) رأسه الشريف فوضعه في حجره، فاغمى على رسول الله (صلى الله عليه و اله) و فاطمة (عليها السلام) تنظر في وجهه و تندبه و تبكى و تقول:

ثمال اليتامى عصمة للأرامل

و أبيض يستسقى الغمام بوجهه

ففتح رسول الله (صلى الله عليه و اله) عينيه و قال بصوت ضعيف: «بنتي قولي: و ما

ص: ١٠٨

مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ»^{١٧٢}.

^{١٧٠} (3) راجع عوالم العلوم: 390 / 11.

^{١٧١} (1) الكامل في التاريخ 2 / 320، طبعة دار الفكر- بيروت، و صحيح البخاري: كتاب العلم، باب كتابة العلم

^{١٧٢} (1) آل عمران (3): 144.

فبكت طويلا فأوماً إليها بالدنو منه، فأسرَّ إليها شيئاً فتهلَّل وجهها له.

فقيل لها (عليها السَّلام) بعد وفاة رسول الله (صَلَّى الله عليه و اله): ما الذى أسرَّ اليك رسول الله (صَلَّى الله عليه و اله) فسرى عنك به ما كنت عليه من الحزن و القلق بوفاته؟ قالت: «إنَّه أخبرنى أنَّى أول أهل بيته لحوقاً به، و أنَّه لن تطول المدة لى بعده حتى أدركه، فسرى ذلك عني»^{١٧٣}.

و عن أنس قال: جاءت فاطمة و معها الحسن و الحسين (عليهما السَّلام) إلى النبی (صَلَّى الله عليه و اله) فى المرض الذى قبض فيه فانكبَّت عليه فاطمة و ألصقت صدرها بصدره و جعلت تبكى، فقال لها النبی (صَلَّى الله عليه و اله): «يا فاطمة لا تبكى علىّ و لا تلطمى و لا تخمشى علىّ خدا و لا تجزىّ علىّ شعرا، و لا تدعى بالويل و الثبور، و تعزىّ بعزاء الله، ثم بكى و قال: اللهم أنت خليفتى فى أهل بيتى، اللهم هؤلاء وديعتى عندك و عند المؤمنين».

و روى البخارى و مسلم فى صحيحهما عن عائشة أنَّها قالت: أقبلت فاطمة تمشى كأنَّ مشيتها مشى النبی (صَلَّى الله عليه و اله) فقال النبی (صَلَّى الله عليه و اله): «مرحبا بابنتى» ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم أسرَّ إليها حديثاً فبكت، فقلت: استخصَّ رسول الله (صَلَّى الله عليه و اله) حديثه ثم تبكين؟ ثم إنَّه أسرَّ لها حديثاً فضحكت، فقلت:

ما رأيت كالיום فرحاً أقرب من حزن ! فسألتها عما قال : فقالت: «ما كنت لأفشى سرَّ رسول الله (صَلَّى الله عليه و اله)» حتى إذا قبض النبی (صَلَّى الله عليه و اله) سألتها فقالت: «إنَّه أسرَّ إلىّ فقال: «إنَّ جبرئيل (عليه السَّلام) كان يعارضنى بالقرآن فى كلِّ عام مرَّةً و إنَّه عارضنى به هذا العام مرَّتين، و لا أراه إلَّا قد حضر أجلى فبكيت، ثم قال لى : إنَّك أول أهل بيتى لحوقاً بى و نعم

ص: ١٠٩

السلف أنا لك، أما ترضين أن تكونى سيِّدة نساء أهل الجنة؟ فضحكت»^{١٧٤}.

و عن موسى بن جعفر عن أبيه (عليهم السَّلام): «لَمَّا كانت الليلة التى قبض النبی فى صبيحتها، دعا عليّاً و فاطمة و الحسن و الحسين (عليهم السَّلام) و أغلق عليه و عليهم الباب و قال (صَلَّى الله عليه و اله): يا فاطمة! و أدناها منه فناجاها من الليل طويلا فلمَّا طال ذلك خرج علىّ و معه الحسن و الحسين و أقاموا بالباب و الناس خلف الباب، و نساء النبی ينظرن إلى علىّ (عليه السَّلام) و معه إبناه» فقالت عائشة: لأمر ما أخرجك منه رسول الله و خلا بابنته عنك فى هذه الساعة؟ فقال لها علىّ (عليه السَّلام): «قد عرفت الذى خلا بها و أرادها له، و هو بعض ما كنت فيه و أبوك و أصحاباه فوجمت أن تردَّ عليه كلمة».

قال علىّ (عليه السَّلام): «فما لبثت أن نادتنى فاطمة (عليها السَّلام) فدخلت على النبی (صَلَّى الله عليه و اله) و هو يجود بنفسه فقال لى: ما يبكيك يا علىّ؟ ليس هذا أو أن بكاء فقد حان الفراق بينى و بينك، فأستودعك الله يا أخى، فقد اختار لى ربى ما عنده، و إنَّما بكائى و غمى و حزنى عليك و على هذه أن تضيع بعدى، فقد أجمع القوم على ظلمكم، و قد

^{١٧٣} (2) الكامل فى التاريخ 2 / 323، و طبقات ابن سعد: 2 / 39، و مسند أحمد 6 / 282.

^{١٧٤} (1) مسند أحمد: 6 / 282.

استودعتكم الله و قبلكم منى وديعة، إني قد أوصيت فاطمة ابنتي بأشياء و أمرتها أن تلقيها اليك فنفذها فهي الصا دقة الصدوقة».

ثم ضمها اليه و قبل رأسها و قال: «فداك أبوك يا فاطمة» فعلا صوتها بالبكاء ثم ضمها اليه و قال: «أما و الله لينتقم الله ربّي، و ليغضبني لغضبك، فالويل ثم الويل للظالمين، ثم بكى رسول الله (صلى الله عليه و اله)».

قال عليّ (عليه السلام): «فو الله لقد حسبت قطعة مني ذهبت لبكائه حتى هملت عيناه مثل المطر، حتى بلت دموعه لحيته و ملاءة كانت عليه، و هو يلتزم فاطمة لا يفارقها و رأسه على صدرى و أنا مسنده، و الحسن و الحسين يقبلان و يبكيان بأعلى أصواتهما» قال عليّ (عليه السلام): «فلو قلت إن جبرئيل فى البيت لصدقت لأننى كنت أسمع

ص: ١١٠

بكاء نعمة لا أعرفها، و كنت أعلم أنّها أصوات الملائكة لا شك فيها، لأن جبرئيل لم يكن فى مثل تلك الليلة يفارق النبي (صلى الله عليه و اله)، و لقد رأيت بكاء من فاطمة أحسب أنّ السماوات و الأرضين بكت لها».

ثم قال (صلى الله عليه و اله) لها: «يا بنية، الله خليفتي عليكم و هو خير خليفة، و الذى بعثنى بالحقّ لقد بكى لبكائك عرش الله و ما حوله من الملائكة و السماوات و الأرضون و ما بينهما، يا فاطمة و الذى بعثنى بالحقّ لقد حرمت الجنة على الخلائق حتى أدخلها، و إنّك لأول خ لقي الله يدخلها بعدى، كاسية حالية ناعمة، يا فاطمة هنيئا لك، و الذى بعثنى بالحقّ إنّ جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب و لا نبيّ مرسل إلّا صعق، فينادى إليها أن يا جهنم يقول لك الجبار اسكنى بعزى و استقرى حتى تجوز فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه و اله) إلى الجنان لا يغشاها فقر و لا ذلة، و الذى بعثنى بالحقّ ليدخلن حسن و حسين، حسن عن يمينك و حسين عن يسارك، و لتشرفنّ من أعلى الجنان بين يدي الله فى المقام الشريف، و لواء الحمد مع على بن أبى طالب (عليه السلام)، و الذى بعثنى بالحقّ لأقومن بخصومة أعدائك، و ليندمنّ قوم أخذوا حقك و قطعوا مودّتك و كذبوا علىّ، و ليختلجنّ دونى فأقول: امتى امتى، فيقال:

إنّهم بدّلوا بعدك و صاروا إلى السعير»^{١٧٥}.

إلى هنا ينتهى الحديث عن ثلاث مراحل من حياة الزهراء (عليها السلام).

و أمّا المرحلة الرابعة من حياتها فهي تبدأ بعد وفاة أبيها المصطفى (صلى الله عليه و اله) و تنتهى باستشهادها (صلوات الله عليها).

و حيث إنّ هذه المرحلة - بالرغم من قصرها - تشكّل مقطعا متميّزا فى حياتها فسوف نفردها بباب خاص ضمن عدّة فصول.

ص: ١١١

^{١٧٥} (1) بحار الأنوار: 490 / 22، و راجع: نصوص المقطع الأخير من الحديث فى صحيح البخاري كتاب الفتن، الأحاديث (1- 5).

الباب الثالث فيه فصول:

الفصل الأول:

الزهاء (عليها السلام) بعد أبيها

الفصل الثاني:

مرض الزهاء (عليها السلام) و استشهادهما الفصل الثالث:

من تراث الزهاء (عليها السلام)

ص: ١١٣

الفصل الأوّل الزهاء (عليها السلام) بعد أبيها

١ - حدث السقيفة:

إنّ أصعب مرحلة في تأريخ الامة الإسلامية اشتعلت شرارتها و دوى انفجارها هي التي أعقبت وفاء رسول الله (صلى الله عليه و اله) عليه و اله).

لقد كانت تحكم الظروف المعقّدة - آنذاك - عناصر موضوعية و اخرى ذاتية، فالرسول الأكرم (صلى الله عليه و اله) أتمّ تبليغ الرسالة الإسلامية كاملة عن الله عز و جل، و كان وجوده (صلى الله عليه و اله) عنصر الإشعاع الإيماني و مدعاة للاستقرار و البناء، و لكن عمق الخلل الكبير في المجتمع الإنساني و الذي يمتد إلى بعد غير منظور ربّما كان متجسّدا في عقول و سلوك أفراد عديدين كانوا قريبين من مصادر قوة و حركة مجتمع الجزيرة - الحديث العهد بالإسلام - جعل التفاعل بين طرفي الحقّ و الباطل يظهر بشدّة بعد وفاء الرسول (صلى الله عليه و اله).

لقد كان الصراع الذي برز على ساحة المجتمع الإسلامي دليلا على عدم استيعاب العدد الأكبر للعقيدة الإسلامية بكلّ أبعادها و حدودها، و كان من نتائج هذا الصراع أن بدأت عملية انحراف التجربة الإسلامية و ما يترتب عليها من آثار سيئة على المسلمين إلى يومنا هذا.

إنّ الفترة التي تلت وفاء الرسول الأكرم (صلى الله عليه و اله) ازدحمت بالأحداث

ص: ١١٤

المتناقضة و الارتجالية، و لكي ندرس حياة الزهاء (عليها السلام) في هذه الفترة لا بدّ أن نستعرض الوضع العام و ما جرى من أحداث، كي يمكن من خلالها أن نتصور حالة المجتمع آنذاك و القوى المؤثّرة و المتفاعلة فيه و ما تتركه من آثار على أهل بيت النبوة عامة و الزهاء (عليها السلام) خاصة من تعدّي و ظلامات، و أوّل ما يصادفنا هو إجتماع السقيفة و دوره الأساسي لكلّ المواقف التي تلتها و تأسّست عليه.

لقد انشغل الإمام عليّ (عليه السّلام) و أهل بيت النبيّ (صلى الله عليه و اله) و بنو هاشم و الموالون لهم فى تجهيز النبيّ (صلى الله عليه و اله) و الاستعداد لمراسم دفنه، و استغلت هذا الانشغال العناصر التى كانت لها مطامع و رغبات فى الوصول إلى الزعامة غير عابئة بالأوامر و النواهي الإلهية التى وردت على لسان النبي الكريم.

لقد كان هناك موقفان: الأول: وقوف عمر بن الخطاب و هو يصرّح وسط جموع المسلمين المحتفين حول بيت النبيّ (صلى الله عليه و اله) و الحزن ظاهر عليهم : أنّ النبيّ (صلى الله عليه و اله) لم يمت، و أخذ يهدّد و يتوعّد من يدعى ذلك و إصراره على موقفه المريب حتى مجيء أبى بكر من خارج المدينة.

و الموقف الآخر: اجتماع الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة برئاسة سعد بن عبادَةَ الخزرجى.

و قد اتفق المؤرّخون و المحدثون بأنّ موقف عمر بن الخطاب انتهى بحضور أبى بكر و قراءته للآية **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ** ... على الناس، إذ هدأت ثورة عمر بن الخطاب و خرجا معا من بيت النبيّ (صلى الله عليه و اله) و تركاه بين أهله المفجوعين بوفاته.

و الذى تؤكّده القرائن و سير الأحداث أنّهما انصرفا إلى مكان ما كانوا قد أعدّوا له لاتخاذ التدابير اللازمة، و ربّما أنّ أكثر الأنصار بما فيهم سعد بن عبادَةَ

ص: ١١٥

لم يضعوا فى حسابهم غير عليّ (عليه السّلام) للخلافة بعد النبيّ (صلى الله عليه و اله) كما كان الاعتقاد السائد بين عامة المسلمين أنّها لن تعدوه، و لكن بعد أن تبيّن للأنصار أنّ شيوخ المهاجرين قد تكتّلوا لصرفها عنه و الاستيلاء عليها و تجاهلوا نصوص الرسول عليه و أنّهم فى هذا التحالف القرشى الجديد يرجعون إلى إحياء الروح الجاهلية و النزعات القبلية، فى حين أنّهم قد قدّموا للدعوة و صاحبها و بذلوا له من أنفسهم و أموالهم ما لم يقدرّ مه و يبذله أحد من المهاجرين الذين يخطّطون للاستيلاء على السلطة من بعده، بعد أن تبيّن لهم ذلك اجتمع فريق منهم بزعامة سعد بن عبادَةَ فى السقيفة للتداول بشأن الخلافة، و هتف جماعة منهم باسم سعد بن عبادَةَ، و لمّا اتّصل الخبر بالمهاجرين عن طريق بعض الأنصار الذين كانوا يناوئون سعدا و يعملون لغير صالحه، تركوا مكانهم و أقبلوا مسرعين إلى سقيفة بنى ساعدة، فوقف خطيب الأنصار و أشاد بالأنصار و موافقهم و تضحياتهم فى سبيل الإسلام و تمنّى على المهاجرين أن لا يتجاهلوهم و يجعلوا لهم شيئا من الأمر، و تحدّث بعده أبو بكر فنوّه بفضل قريش و أمجادها و أعاد إلى الأذهان مواقف العرب قبل الإسلام و تفاخرهم بالأحساب و الأنساب.

و جاء فى رواية العقد الفريد أنّه قال : نحن المهاجرين أوّل الناس إسلاما و أكرمهم أحسابا و أوسطهم دارا و أحسنهم وجوها و أسهم برسول الله رحما، و مضى يقول : إنّ العرب لا تدين إلّا لهذا الحيّ من قريش فلا تنفسوا على إخوانكم المهاجرين ما فضّلهم الله به، فقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، و أشار إلى عمر بن الخطاب و أبى عبيدة بن الجراح.

و انتهز أبو بكر - و هو يتحدّث عن قريش و أمجادها و عن المهاجرين بالذات - صوت بشير بن سعد الخزرجى و قد ارتفع فى ناحية من نواحي البيت،

و أخذَه الحسد لابن عمّه و هو يقول : أيّها الناس ألا إنّ محمّداً من قريش و إنّ قومه أحقّ به و أولى، و أيّم الله لا يرانى الله انازعهم فى هذا الأمر أبداً.

و أبى عليه الحباب بن المنذر الخزرجى أن يبرز بين الناس بهذا الاسلوب الذى يتّسم بطابع الدجل و النفاق و الحسد لابن عمّه، فقال: لقد عزّ على بشير بن سعد أن يتولّى ابن عمّه السلطة بعد النبى حسداً و بغضا، فظهر بمظهر من لا يريد أن ينازع أحداً حقاً هو أولى به، ثم قال: ما أحوجك إلى ما صنعت يا بشير! لقد نفست الإمارة على ابن عمّك سعد بن عبادة.

و لم ينته الجدل عند هذا الحد، بل قام اسيد بن حضير أحد زعماء الأوس يثير فى النفوس أحقاد الجاهليّة و يذكر بما بين الحيين الأوس و الخزرج من خلافات و أحقاد و عصبيات قد أطفأتها سماحة الإسلام، و مضى يخاطب الأوس و يقول : يا بنى الأوس، و الله لأن وليتموها سعدا عليكم مرة لا يزال للخزرج بذلك عليكم الفضل و لا جعلوا لكم فيها نصيباً أبداً.

و استغل أبو بكر صوت بشير بن سعد الذى جرّ هذا الانقسام، فأخذ عمر بن الخطاب بيد و أبا عبيدة بالآخرى و نادى : أيّها الناس، هذا عمر و هذا أبو عبيدة فبايعوا أيّهما شئتم، و قام الحباب بن المنذر بعد هذا التدبير المدروس بين الثلاثة و قال: يا معشر الأنصار املكوا على أيديكم و لا تسمعوا مقالة هذا و أصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، و استولى الغضب على ابن الخطاب فانبرى يقول: من ذا ينازعنا سلطان محمد و إمارته و نحن أولياؤه و عشيرته إلّا مدل بباطل أو متجانف لإثم أو متورّط فى هلكة؟

و لمّا سمع الحباب بن المنذر تحدّى عمر بن الخطاب و اسلوبه المتعطرس توجه إلى الأنصار و قال : أما إذا أبوا عليكم ما سألتهم فاجلوهم عن هذه البلاد، فأنتم و الله أحقّ بهذا الأمر منهم، بأسيا فكم دان بهذا الدين من

دان، ثم انتضى سيفه يلوح به و يقول : أنا جذيلها المحكك و غذيها المرجب، أما و الله إن شئتم لنعيدّها جذعة، و هنا عصف الغضب بجوانح عمر بن الخطاب و كاد أن يقع الشرّ بين الطرفين، فوقف أبو عبيدة بن الجراح ليحول دون وقوع الفتنة، فقال بصوت هادئ: يا معشر الأنصار كنتم أول من نصر و آزر فلا تكونوا أول من غير و بدّل، و مضى يتحدّث بلهجة فيها توسّل و رجاء فلم يلبثوا حتى هدأت نفوسهم و انقسم الأنصار على أنفسهم، و أسرع عمر بن الخطاب بعد هذا الحوار إلى أبى بكر و قال: أبسط يدك يا أبا بكر، ما كان لأحد أن يؤخّر عن مقامك الذى أقامك الله فيه، و قام بعده أبو عبيدة بن الجراح و قال له: إنّك لأفضل المهاجرين و ثانى اثنين إذ هما فى الغار و خليفة رسول الله على الصلاة، فبسط أبو بكر لكليهما كفّه فبايعاه، و أسرع بعدهما بشير بن سعد و جماعة من الخزرج فبايعوه و تبعهم اسيد بن حضير بمن معه من الأوس، و خرجوا من سقيفة بنى ساعدة يهتفون لأبى بكر و لا يمرّون على أحد إلّا و أخذوا بيده و أمروها على يد أبى بكر و من أبى ضربه عمر بن الخطاب بدرّته و تكاثر عليه أتباعه حتى يرغموه على البيعة، و تمت بيعة أبى بكر بهذا النحو الذى كان مفاجأة لأكثر الناس.

و من مجموع ذلك يتبيّن أنّ التخطيط لإقصاء علىّ عن السلطة و الاستيلاء عليها لم يكن وليد ساعته كما تؤكده الشواهد، و أنّ موقف الأنصار بقيادة سعد بن عبادة كان ارتجالياً لم يحضّر له من قبل كما يبدو ذلك من اختلافهم و تضارب آرائهم،

كما تبين أن القادة الثلاثة أبا بكر وعمر بن الخطاب وابن الجراح هم قادة الحزب القرشي المتآمر على الاستيلاء على السلطة وإقصاء علي بن أبي طالب عنها، وأن أقوى ما لديهم من الأدلة في مقابل الأنصار لا يعدو الأمرين : أولهما: أن المهاجرين أول الناس إسلاما،

ص: ١١٨

و الثاني: أنهم أقرب الناس إلى رسول الله وأمسهم به رحما، وقد أدان هؤلاء القادة أنفسهم بهذه الحجة، ذلك لأن الخلافة إذا كانت بالسيف إلى الإسلام والقربة القريبة من رسول الله كما يدعون فهي لعلّي (عليه السلام) وحده، لأنه أول الناس إسلاما وإيمانا وتصديقا برسالة محمد بن عبد الله (صلى الله عليه واله) باتفاق جميع المسلمين، وأخوه بمقتضى المؤاخاة التي عقدها النبي معه يوم آخى بين المهاجرين والأنصار في المدينة، وهو ابن عمه نسبا، وأقرب الناس إلى نفسه وقلبه بلا شك في ذلك عند أحد من الناس.

لقد ناقض نفسه أبو بكر حينما احتج على الأنصار بالقربة والسبق إلى الإسلام ورشح لها عمر بن الخطاب وأبا عبيدة بن الجراح لأنهما أسبق إلى الإسلام من الأنصار وأمسهم بالنبي رحما، وتجاهل علي بن أبي طالب الذي بايعه مائة ألف أو يزيدون في غدير خم قبل مدة لا تتجاوز ثلاثة أشهر، وقد سبق جميع الناس إلى الإسلام، وكان ابن عم النبي نسبا وأخاه وحده في الله بإجماع المؤرخين والمحدثين، وبموافقه وتضحياته وجهاده استقام الإسلام وانتصر على الشرك والوثنية وعلى قريش التي عادت سيرتها الأولى تحارب محمدا المتمثل في خط عليّ وشرخصه (عليه السلام).

وما كان الأمر مخفيا على أبي بكر الذي يعتقد سلامة هذا الأسلوب وكفايته حين رشح لها أحد الرجلين، ولكنه هو وأنصاره كانوا قد خططوا لذلك، واتفقوا مع بعض الأنصار والمهاجرين على إقصاء علي عن الخلافة والاستيلاء عليها بكل الأساليب، وكان يتكلم مع الفريق الثاني من الأنصار الذين استفزهم موقف أبي بكر وأنصاره، واجتمعوا في سقيفة بني ساعدة يتداولون في مصير الخلافة، كان يتكلم معهم هو ورفيقاه بمنطق القوى الذي يريد أن يفرض على الغير وجوده ولو بهذا النحو من التمويه والتضليل.

ص: ١١٩

و مما يدل على ذلك جواب عمر بن الخطاب له حينما أشار على الحضور أن يبايعوا أحد الرجلين عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة، فأجابه علي الفور: أ يكون هذا وأنت حي؟ ما كان لأحد أن يؤخر عن مقامك الذي أقامك فيه رسول الله^{١٧٦}!

هذا الجواب يشير إلى تخطيط واتفاق بينهما على الأسلوب الذي تتم فيه بيعه أبي بكر، وفي الوقت ذاته يحاول ابن الخطاب من خلاله تضليل الرأي العام وإيهامه بأن رسول الله قد اختاره للخلافة كما يشير إليه قوله : ما كان لأحد أن يؤخر عن مقامك الذي أقامك فيه رسول الله، هذا مع العلم بأن المؤرخين لحياة رسول الله (صلى الله عليه واله) من القدامى والمحدثين والثقات الذين حفظوا حديثه ورووه للأجيال لم يدعوا بأن النبي قد لوح له - ولو من بعيد - بذلك المقام الذي يعمل من أجله ابن الخطاب وأنصاره، بل إن مواقف النبي معه كانت على العكس من ذلك فلم يعهد إليه بأمر

^{١٧٦} (١) راجع تفصيل أخبار السقيفة: ابن هشام: 334-335، تأريخ الطبري حوادث سنة 11: 443/2، و أنساب الأشراف: 563-567، طبقات ابن سعد 2 ق 2/53-54، و تاريخ أبي الفداء: 164/1، و شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 21-57، حياة الإمام الحسن بن علي: 150/1.

و لا وضعه فى مكان يحقق له امتيازاً عن غيره، و كان إذا أرسله على رأس سرية من السرايا - كما حدث له فى غزوة السلاسل - أو أعطاه الراية - كما صادف ذلك فى خيبر - يرجع فاشلاً مخذولاً، و فى الأيام الأخيرة من حياته بعد أن علم يقرب أجله أراد أن يخرج من المدينة كجندى من جنود المسلمين هو و عمر بن الخطاب بقيادة اسامة بن زيد و هو شاب لا يتجاوز العشرين من عمره على أبعد التقادير.

أمّا حديث صلاته بالناس فى بعض الأيام خلال مرض النبي الذى أشار

ص: ١٢٠

إليه أبو عبيدة فى حديثه مع الأنصار فمع أنّ إمامة المصلين كانت و لا تزال مألوفة يتعاطاها الكبير و الصغير و الفاضل و المفضول فهى على تقديرها لا توجب له فضلاً على أحد من الناس، و ليست من مختصات الأنبياء و الأولياء و القديسين، و لقد دعت إليه ابنته عائشة حيث كان النبي فى وضع لا يسمح له بترك فراشه، و لمّا علم بالأمر خرج يتوكأ على العباس و نحاه عن محرابه، و صلى بالناس و هو يعانى من وطأ المرض و آلامه.

و الشئ الغريب الذى لا يقرّه العقل و المنطق أن يعتبرها جماعة من علماء السنّة و محدّثيهم فضيلة لأبى بكر تؤهّله للخلافة، فى حين أنّهم يعترفون بمواقف النبي (صلى الله عليه و اله) من على يوم الدار و فى احد و الأحزاب و الحديبية و خيبر و حنين و تبوك و فى غدير خم، و مؤاخاته له فى مكة و المدينة، و لا يرون فى جميع ذلك دليلاً على اختياره لمنصب الخلافة من بعده، بل و لا تلميحاً على اختياره، و يرون فى صلاة أبى بكر ركعتين بالمسلمين دليلاً و اضحاً على إعدادة لقيادة الامة من بعده و إعطائه الصلاحيات التى كانت له.

و ممّا يدل على أنّ حركة الأنصار و اجتماعهم فى السقيفة كانت رداً على التخطيط الذى وضعه المهاجرون للاستيلاء على السلطة ما جاء فى رواية الزبير بن بكار حيث قال:

لمّا بايع الجماعة أبا بكر؛ أقبلوا به على المسجد يزفّونه زفّاً، فلمّا كان آخر النهار اجتمع قوم من الأنصار و قوم من المهاجرين و تعاقبوا فيما بينهم على الكلام، فقال عبد الرحمن بن عوف : يا معشر الأنصار إنكم و إن كنتم أولى فضل و نصر و سابقة و لكن ليس فيكم مثل أبى بكر و لا عمر و لا علىّ و لا أبى عبيدة.

ص: ١٢١

فقال زيد بن أرقم: إنّنا لا ننكر فضل من ذكرت يا عبد الرحمن، و إنّ منّا لسيد الأنصار سعد بن عباد، و من أمر الله رسوله أن يقرّئه السلام و أن يأخذ عنه القرآن أبى بن كعب و من يجيىء يوم القيامة أمام العلماء معاذ بن جبل، و من أمضى رسول الله شهادته بشهادة رجلين و هو خزيمة بن ثابت، و إنّنا لنعلم أنّ بين من ذكرت من قريش من لو طلب الخلافة لم ينازعه فيها أحد و هو علىّ ابن أبى طالب.

و جاء فى تاريخ الطبرى أنّ أبابكر لما اقترح أحد الرجلين أبابعبده أو عمر بن الخطاب و انسحباهما لأبى بكر قال الأنصار: لا نبايع إلّا علىّ بن أبى طالب^{١٧٧}.

هاتان الروايتان صريحتان فى أنّ الأنصار لم يعارضوا فى علىّ بن أبى طالب لو أنّه كان مرشّح المهاجرين لها، و هذا يعنى أنّ موقفهم المعارض لأبى بكر فى السقيفة كان ردّا علىّ التخطيط، الذى وضعته قريش للاستيلاء علىّ السلطة و انتزاعها من أصحابها الشرعيين.

و قال الاستاذ توفيق أبو علم فى كتابه «أهل البيت»: و لا يبعد أن يكون سعد بن عباد لما رأى تصميم المهاجرين علىّ عدم إعطاء الحقّ لأهله طلبه لنفسه.

و مهما كان الحال، فلقد كانت مواقف النبى من علىّ (عليه السّلام) و تصريحاته المتتالية فيه فى مختلف المناسبات تجعله بحكم المتعيّن لها بنظر الجمهور الأعظم من المسلمين، حتى أنّ عليا نفسه كان واثقا بأنّ الأمر لا يعدوه.

و جاء فى شرح النهج لابن أبى الحديد أنّ عليّا (عليه السّلام) كان لا يشك فى أنّ

ص: ١٢٢

الأمر له، و أنّه لا ينازعه فيه أحد من الناس و مضى يقول:

و قد قال له عمّه العباس: امدد يدك ابابعك فيقال عمّ رسول الله بايع ابن عمّ رسول الله فلا يختلف عليك إثنان، فقال يا عمّ: و هل يطمع فيها طامع غيرى، قال: ستعلم، فقال: إننى لا احب هذا الأمر من وراء رتاج.

و بالطبع لقد دهش هو و من معه لهذا الحدث العظيم حينما سمع به و رأى الناس يزفون أبابكر إلى المسجد كما ترفّ العروس و النبى (صلّى الله عليه و اله) لا يزال مسجى بين أهله و زوجاته ينتظرون أن يتمّ تجهيزه لمقره الأخير، و حينما بلغه أنّ أبابكر قد احتجّ علىّ معارضيّه من الأنصار بقرابته من رسول الله و سبقه إلى الإسلام كان لزاما عليه أن يلزمهم بما ألزموا به غيرهم و لو كان لا يؤمن بصحّة هذه الحجّة و لا بجداها، و باستطاعته أن يقدّم لهم عشرات الأدلّة التى لا تقبل الجدل و المراجعة لو كانوا يصغون إلى المنطق و تردعهم الحجّة عمّا هم جادّون فيه، و مع ذلك فقد احتجّ عليهم بالحجّة التى تغلبوا فيها علىّ الأنصار و بأقوال الرسول و نصوصه عليه و بماضيّه و جهاده و اخوّته لرسول الله، و ظلّ متمسكا بحقه و إلى جانبه زوجته سيّدة النساء تطالب بنحلتها و حقّ زوجها فى الخلافة.

و ذهب أكثر الرواة إلى أنّ أبابكر سفيان وقف موقف المتحمّس لعلىّ، و أخذ يهدّد و يتوعّد و يقول: و الله لأملأنّها عليهم خيلا و رجالا، و لم يكن ليخفى علىّ (عليه السّلام) أنّ ذلك منه كان بقصد الوقعة بين المسلمين و إشعال الفتنة ليتاح له و لأمثاله ممّن أسروا الشوك و النفاق أن يصلوا لأهدافهم المعادية للإسلام و حماته الذين حاربهم أبو سفيان عشرين عاما، و بالتالى كان إسلامه و إسلام زوجته هند آكلة الأكباد عام الفتح أعسر إسلام عرف بين المسلمين، لأنّه كان إسلام مغلوب أعيته جميع الوسائل، فاضطرّ أخيرا إلى الدخول مع

^{١٧٧} (1) انظر الجزء الرابع من تاريخ الطبرى 21 طبع دار الفكر- بيروت.

المسلمين و في نفسيهما آلام و أحقاد كانت تظهر بين الحين و الآخر.

و جاء في رواية الطبرى و ابن الأثير في الكامل أنّ أمير المؤمنين زجر أبا سفيان بن حرب و قال له : «و الله ما أردت إلّا الفتنة، و إنّك و الله طالما بغيت للإسلام شرا لا حاجة لنا في نصرتك»^{١٧٨}.

٢- نتائج السقيفة:

أبرزت أحداث السقيفة ثلاثة أطراف معارضة:

١- الأنصار الذين نازعوا الخليفة و صاحبيه في سقيفة بنى ساعدة و وقعت بينهم المحاوره و الجدال، و انتهت بفوز قريش بسبب تركّز فكرة الوراثة الدينية في الذهنية العربية، و انشقاق الأنصار على أنفسهم^{١٧٩}، لتمكّن النزعة القبلية من نفوسهم.

فقد ركّز أبو بكر و صاحبه في هذا النزاع دفاعهم عمّا زعموا من حقوق على نقطة كانت ذات و جاهة في نظر الكثيرين، فإنّ قريشا ما دامت عشيرة رسول الله (صلى الله عليه و اله) و خاصته فهي أولى من سائر المسلمين و أحقّ بخلافته و سلطانه، و قد انتفع أبو بكر و مؤيدوه باجتماع الأنصار في السقيفة من ناحيتين:

الاولى: أنّ الأنصار سجّلوا على أنفسهم بذلك مذهباً لا يسمح لهم بأن يقفوا بعد ذلك في صف علىّ (عليه السلام) و يخدموا قضيتته و أحقيته.

الثانية: أنّ أبا بكر الذى خدمته الظروف فأقامت منه المدافع الوحيد عن حقوق المهاجرين في مجتمع الأنصار لم يكن ليتّهباً له ظرف أوفق بمصالحه

من ظرف السقيفة، إذ خلا الموقف من أقطاب المهاجرين الذين لم يكن لتنتهى المسألة في محضرهم إلى نتيجهتها التي سجّلتها السقيفة في ذلك اليوم.

و خرج أبو بكر من السقيفة و قد بايعه جمع من المسلمين الذين أخذوا بوجهه نظره في مسألة الخلافة أو عزّ عليهم أن يتولّاها سعد بن عبادة.

٢- الامويون الذين كانوا يريدون أن يأخذوا من الحكم بنصيب و يسترجعوا شيئاً من مجدهم السياسى في الجاهلية و على رأسهم أبو سفيان، و لم يعبأ الحاكمون (أبو بكر و جماعته) بمعارضة الامويين و تهديد أبى سفيان و ما أعلنه من كلمات الثورة بعد رجوعه من سفره الذى بعثه فيه رسول الله (صلى الله عليه و اله) لجباية الأموال، لعلمهم بطبيعة النفس الاموية و شهواتها السياسية و المادية، فكان من السهل كسب الامويين إلى جانب الحكم القائم كما صنع أبو بكر، فأباح لنفسه أو أباح

^{١٧٨} (١) راجع سيرة الأئمة الاثني عشر 1: 260-267.

^{١٧٩} (٢) راجع تاريخ الطبري: 4/ 25 (طبع دار الفكر- بيروت).

له عمر - بتعبير أصح - كما تدلّ الرواية و أن يدفع لأبى سفيان جميع ما فى يده من أموال المسلمين و زكواتهم ثم جعل للامويين بعد ذلك حظا من العمل الحكومى فى عدّة من المرافق الهامة.

٣- الهاشميون و أخصّائهم كعمار و سلمان و أبى ذر و المقداد (رضوان الله عليهم) و جماعات من الناس الذين كانوا يرون أن البيت الهاشمى هو الوارث الطبيعى لرسول الله (صلى الله عليه و اله) بحكم الفطرة و مناهج السياسة التى كانوا يألّفونها^{١٨٠}.

نلاحظ أن الحزب الحاكم نجح فى التعامل مع الأنصار و الامويين و كسب الموقف منهم، و لكنّ هذا النجاح جرّه إلى تناقض سياسى واضح، لأن ظروف السقيفة كانت تدعو الحاكمين إلى أن يجعلوا للقرابة من رسول الله (صلى الله عليه و اله) حسابا فى مسألة الخلافة و يقرّوا مذهب الورثة للزعامة الدينية، غير

ص: ١٢٥

أنّ الحال تبدّلت بعد موقف السقيفة، و اتّخذت المعارضة لونا جديدا و واضحا كلّ الوضوح كان يتلخّص فى أن قريشا إذا كانت أولى برسول الله (صلى الله عليه و اله) من سائر العرب لأنّه منها، فبنو هاشم أحقّ بالأمر من بقية قريش.

و هذا ما أعلنه على (عليه السّلام) حين قال: إذا احتجّ عليهم المهاجرون بالقرب من رسول الله (صلى الله عليه و اله) كانت الحجّة لنا على المهاجرين بذلك قائمة، فإنّ فلجت حجّتهم كانت لنا دونهم و إلّا فالأنصار على دعوتهم . و أوضحه العباس لأبى بكر فى حديث له معه إذ قال له : و أمّا قولك: «نحن شجرة رسول الله (صلى الله عليه و اله)» فإنّكم جيرانها و نحن أغصانها^{١٨١}. و قد كان على (عليه السّلام) الذى تزعم معارضة الهاشميين مصدر رعب شديد فى نفوس الحاكمين؛ لأنّ ظروفه الخاصة كانت تمدّه بقوة على لونين من العمل الايجابى ضد الحكومة القائمة:

أحدهما: ضمّ الأحزاب المعادية إلى جانبه كالامويين و المغيرة بن شعبة و أمثالهم ممن كانوا قد بدأوا يعرضون أصواتهم للبيع و يفاوضون الجهات المختلفة فى اشترائها بأضخم الأثمان، كما نعرف ذلك من كلمات أبى سفيان التى واجه بها خلافة السقيفة يوم وصوله إلى المدينة، و حديثه مع على (عليه السّلام) و تحريضه له على الثورة، و ميله إلى جانب الخليفة، و سكوته عن المعارضة حينما تنازل له الخليفة عن أموال المسلمين التى كان قد جباها فى سفره، و إذن فقد كان الهوى المادى مستوليا على جماعة من الناس يومئذ.

و من الواضح أنّ عليا كان يتمكّن من أشباع رغبتهم بما خلفه رسول الله (صلى الله عليه و اله) من الخمس و غلّات أراضيه فى المدينة و فدك التى كانت

ص: ١٢٦

ذات نتاج عظيم.

^{١٨٠} (١) راجع للمزيد من التفصيل (فدك فى التاريخ) للشهيد السيد محمد باقر الصدر: 84.

^{١٨١} (١) شرح نهج البلاغة/ ابن ابي الحديد: 5/6.

ثانيهما: الطور الآخر من المقاومة التي كان على (عليه السلام) مزودًا بإمكانياتها ما لمَّح إليه بقوله : «احتجّوا بالشجرة و أضاعوا الثمرة» و أعنى بذلك أنّ الفكرة العامة يومئذ التي أجمعت على تقديس أهل البيت و الاعتراف لهم بالامتياز العظيم بقرينهم من رسول الله (صلى الله عليه و اله) كانت سندا قويا للمعارضة^{١٨٢}.

ص: ١٢٧

خيارات السلطة الحاكمة

الخيار الأول: انتزاع القوة المالية للإمام على (عليه السلام)

و لقد وجد الحزب الحاكم نفسه في موقف حرج جدا، لأنّ أطراف الدولة الإسلامية التي تجبى منها الأموال لا تخضع للحكم الجديد إلّا إذا استقرت دعائمه في العاصمة (مدينة الرسول (صلى الله عليه و اله)) و المدينة بعد لم تخضع له خضوعا إجماعيا، فمثلا إن كان أبو سفيان أو غيره قد باع صوته للحكومة فمن الممكن أن يفسخ المعاملة إذا عرض عليه شخص آخر ثمنا أكثر منها ربحا، و هذا ما كان يستطيع على (عليه السلام) أن يقوم به في كل حين، فيجب و الحالة هذه أن تنتزع من على (عليه السلام) - الذي لم يكن مستعدا للمقابلة في تلك الساعة - الأموال التي صارت مصدرا من مصادر الخطر على مصالح الحزب الحاكم ليضمن بقاء الأنصار على نصرتهم، و عدم قدرة المعارضين على إنشاء حزب من أصحاب المطامع و الأهواء يومذاك.

و لا يجوز أن نستبعد هذا التقدير لسياسة الفتنة المسيطرة ما دام منطبقا على طبيعة السياسة التي لا بدّ من انتهاجها، و ما دما نعلم أنّ الصديق اشترى صوت الحزب الاموى بالمال و بالجاء أيضا، إذ ولى ابن أبى سفيان، فقد جاء أنّ أبابكر لمّا أستخلف قال أبو سفيان: ما لنا، و لأبى فضيل إنّما هي بنو عبد مناف، فقيل له: إنّ قد ولى ابنك، قال: و صلته رحم^{١٨٣}.

ص: ١٢٨

الخيار الثاني: مواجهة معارضة الإمام (عليه السلام)

تردّد الحزب الحاكم في معالجة العنصر الثانى فى قوة المعارضة بين أمرين:

١- أن لا يقرّ للقراة بشأن فى الموضوع، و معنى هذا أنّه ينزع عن خلافة أبى بكر ثوبها الشرعى الذى ألبسها إياه يوم السقيفة.

٢- أن يناقض نفسه فيظلّ ثابتا على مبادئه التى أعلنها فى السقيفة و لا يرى حقا للهاشميين و لا امتياز لهم فى مقاييس الرجال، أو يراه لهم و لكن فى غير ذلك الظرف الذى يكون معنى المعارضة فيه مقابلة حكم قائم و وضع تعاقد عليه الناس، و عندها فلا أحد ينصرهم.

^{١٨٢} (١) فدك فى التاريخ، الشهيد السيد محمد باقر الصدر: 86.

^{١٨٣} (١) تاريخ الطبري: 28/4.

و اختارت الفئة المسيطرة أن تثبت على آرائها التي روّجتها في مؤتم ر الأنصار، و تعترض على المعارضين بأنّ مخالفتهم بعد بيعه الناس للخليفة ليست إلّا إحداثا للفتنة المحرّمة في الإسلام^{١٨٤}.

ص: ١٢٩

الخطوات العملية الأخرى لمواجهة آل محمد (صلى الله عليه و اله) باعتبارهم زعماء المعارضة

حين نتطّلع بإمعان عند دراسة سياسة الحاكمين نجد إضافة إلى التخطيط لإضعافهم اقتصاديا أنّهم انتهجوا منذ اللحظة الأولى سياسة معينة تجاه آل محمد (صلى الله عليه و اله) للقضاء على الفكرة التي أمدّت الهاشميين بقوة على المعارضة كما خنقوا المعارضة نفسها و هي كونهم أقرب الناس لرسول الله (صلى الله عليه و اله).

و نستطيع أن نصف هذه السياسة بأنّها تهدف إلى إلغاء امتياز البيت الهاشمي و إبعاد أنصاره المخلصين له عن المرافق الهامة في جهاز الحكومة الإسلامية يومئذ، و تجريده عمّا له من الشأن و المقام الرفيع في الذهنية الإسلامية، و قد يعزو هذا الرأى إلى عدّة ظواهر تاريخية:

١- سيرة الخليفة و أصحابه مع على (عليه السلام) التي بلغت من الشدّة أن عمر هدّد بحرق بيته و إن كانت فاطمة فيه، و معنى هذا الإعلان أنّ فاطمة و غير فاطمة من الهاشميين ليس لهم حرمة تمنعهم عن أن يتخذ معهم نفس الطريقة التي سار عليها مع سعد بن عباد حين أمر الناس بقتله في يوم السقيفة، و من صور ذلك العنف وصف الخليفة لعليّ (عليه السلام) بأنّه مربّ لكل فتنة، و تشبيهه له بام طحال أحب إلى أهلها البغي، و قد قال عمر لعليّ بكل وضوح : إنّ رسول الله (صلى الله عليه و اله) منّا و منكم.

٢- إنّ الخليفة الأول لم يشرك شخصا من الهاشميين في شأن من شؤون الحكم المهمة، و لا جعل منهم واليا على شبر من المملكة الإسلامية الواسعة الأطراف مع أنّ نصيب الامويين في ذلك كان عظيما، و نستطيع أن نفهم

ص: ١٣٠

بوضوح أنّ هذا الأمر وليد سياسة متعمدة، من خلال المحاورّة التي جرت بين الخليفة الثاني و ابن عباس أظهر فيها تخوّفه من تولّي ابن عباس «حمص»، لأنّه يخشى إذا صار الهاشميون ولاء على أقطار المملكة الإسلامية أن يموت و هم كذلك فيحدث في أمر الخلافة ما لا يريد^{١٨٥}.

٣- عزل الخليفة لخالد بن سعيد بن العاص عن قيادة الجيش الذي وجّهه لفتح الشام بعد أن أسندها اليه لا لشيء إلّا لأنّ عمر تّبّه إلى نزعة خالد الهاشمية و ميله إلى آل محمد (صلى الله عليه و اله) و ذكره بموقفه تجاههم بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه و اله).

إذن فقد كانت الفئة الحاكمة تحاول أن تساوى بين بنى هاشم و سائر الناس، و ترتفع برسول الله (صلى الله عليه و اله) عن الاختصاص بهم، لتنتزع بذلك الفكرة التي كانت تزوّد الهاشميين بطاقة على المعارضة، و لئن اطمأنّ الحاكمون إلى أن عليا

^{١٨٤} (١) راجع فدك في التاريخ، الشهيد السيد محمد باقر الصدر 91.

^{١٨٥} (١) راجع: مروج الذهب على هامش الجزء الخامس من تاريخ ابن الاثير 135.

لا يثور عليهم في تلك الساعة الحرجة على الإسلام فهم لا يأمنون من انتفاضته بعد ذلك في كل حين، و من الطبيعي حينئذ أن يسارعوا إلى الإجهاز على كلتا قوتيه المادية «فدك» و المعنوية، ما دامت الهدنة قائمة قبل أن يسبقهم إلى حرب أكل.

٤- و من المعقول بعد هذا أن يقف الخليفة موقفه التاريخي المعروف من الزهراء (عليها السلام) في قضية فدك، فهو موقف تلاقي فيه ال غرضان و تركّز على الخطّين الأساسيين لسياسته، لأنّ الدواعي التي بعثته لانتزاع فدك كانت تدعوه إلى الاستمرار على تلك الخطّة ليسلب بذلك من خصمه الثروة التي كانت سلاحا قويا في عرف الحاكمين يومذاك و يعزّز سلطانه، و إلّا فما الذي كان

ص: ١٣١

١٨٦

يمنعه عن تسليم فدك للزهراء بعد أن أعطته الوعد القاطع بأن تصرف منتوجاتها في سبيل الخير و وجوه المصلحة العامة؟ إلّا أنّه خاف منها أن تفسّر وعدّها بما يتفق مع صرفها لغلات فدك في المجالات السياسية، و ما الذي صدّه عن إرضاء فاطمة بالتنازل لها عن حصّة و نصيب الصحابة إذا صحّ أن فدك للمسلمين سوى أنّه أراد أن يقوّى بها خلافته؟.

و أيضا فإنّنا إذا عرفنا أنّ الزهراء كانت سندا قويا لقرينها في دعوته إلى نفسه و دليلا يحتجّ به أنصار الإمام على أحقيّته بالأمر نستوضح أنّ الخليفة كان موفّقا كلّ التوفيق في موقفه تجاه دعوى الزهراء للنحلة و جاريا على المنهج السياسي الذي كان يفرضه عليه الظرف الدقيق، إذ اغتنم الفرصة المناسبة لإفهام المسلمين بصورة لبقّة و على اسلوب غير مباشر بأنّ فاطمة امرأة من النساء و لا يصحّ أن تؤخذ آراؤها و دعاؤها دليلا في مسألة بسيطة كفدك فضلا عن موضوع كالخلافة، و أنّها إذا كانت تطلب أرضا ليس لها بحقّ فمن الممكن أن تطلب لقرينها المملكة الإسلامية كلّها و ليس له فيها حقّ^{١٨٧}.

٣- فدك بين النبيّ (صلى الله عليه و اله) و الزهراء (عليها السلام):

قال تعالى: **فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**^{١٨٨}. نلاحظ أنّ هذه الآية خطاب من الله عزّ و جلّ إلى نبيّه محمّد (صلى الله عليه و اله) يأمره أن يؤتي ذّا القربى حقه، فمن هم ذوو القربى؟ و ما هو حقّهم؟ و قد اتّفق المفسّرون أنّ ذوى القربى هم أقرباء الرسول و هم : علىّ و فاطمة و الحسن و الحسين (عليهم السلام) فيكون المعنى: أعط

ص: ١٣٢

^{١٨٦} گروه مؤلفان، اعلام الهداية- قم، چاپ: دوم، 1425 هـ.ق.

^{١٨٧} (1) للمزيد من التفصيل راجع فدك في التاريخ 92.

^{١٨٨} (2) الروم (30): 38.

ذوى قرباك حقهم.

جاء في الدر المنثور للسيوطي عن أبي سعيد الخدري أنه قال: لما نزلت الآية **فَاتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ**...؛ دعا رسول الله (صلى الله عليه و اله) فاطمة الزهراء و أعطاهما فدكا^{١٨٩}.

و ذكر ابن حجر العسقلاني في الصواعق المحرقة أن عمر قال: **إِنِّي أَحَدْتُكُمْ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، إِنَّ اللَّهَ خَصَّ نَبِيَّهُ فِي هَذَا الْفِيءِ بِشَيْءٍ لَمْ يَعْطِهِ أَحَدًا غَيْرَهُ فَقَالَ: وَ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَ لَا رِكَابٍ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ...** فكانت هذه (يعني: فدكا) خالصة لرسول الله (صلى الله عليه و اله).

و يستفاد من الروايات التاريخية أن فدكا كانت بيد الزهراء و أنها كانت تتصرف فيها، و يستدل على أن فدكا كانت بيد آل الرسول من تصريح الإمام عليّ (عليه السلام) في كتابه الذي أرسله إلى عثمان بن حنيف عامله على البصرة، «بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلمت السماء فشحت عليها نفوس قوم و سخت عنها نفوس قوم آخرين، و نعم الحكم الله...»^{١٩٠}.

عبّرت بعض الروايات أن عندما استقرّ الأمر لأبي بكر انتزع فدكا من فاطمة (عليها السلام)^{١٩١}، و معنى هذا الكلام أن فدكا كانت في يد فاطمة و تحت تصرفها من عهد أبيها الرسول (صلى الله عليه و اله و سلم) فانتزعها أبو بكر منها.

و في رواية العلامة المجلسي: فلما دخل رسول الله (صلى الله عليه و اله) المدينة - بعد استيلائه على فدك - دخل على فاطمة (عليها السلام) فقال: «يا بنية إن الله قد أفاء على أبيك

ص: ١٣٣

بفدك و اختصّه بها، فهي له خاصة دون المسلمين، أفعل بها ما أشاء و إنه قد كان لامك خديجة على أبيك مهر، و إن أباك قد جعلها لك بذلك، و أنحلها لك و لولدك بعدك» قال:

فدعا بأديم و دعا بعليّ بن أبي طالب و قال له: «اكتب لفاطمة بفدك نحلة من رسول الله»، و شهد على ذلك عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) و مولى لرسول الله و أمّ أيمن^{١٩٢}.

٤- اغتصاب فدك:

لما توفّي رسول الله (صلى الله عليه و اله) و استولى أبو بكر على الحكم و مضت عشرة أيام و استقام له الأمر؛ بعث إلى فدك من يخرج وكيل فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله).

^{١٨٩} (1) الدر المنثور: 4/ 177، و جاء مثله في كشف الغمّة 1/ 476، عن عطية، و رواه الحاكم النيسابوري في تاريخه

^{١٩٠} (2) نهج البلاغة: الكتاب رقم 45.

^{١٩١} (3) راجع الصواعق المحرقة: 25.

^{١٩٢} (1) بحار الأنوار: 17/ 378.

و روى أن الزهراء أرسلت إلى أبي بكر: أنت ورثت رسول الله (صلى الله عليه و اله) أم أهله؟ قال: بل أهله، قالت: فما بال سهم رسول الله (صلى الله عليه و اله) قال: إنني سمعت رسول الله (صلى الله عليه و اله) يقول: «إن الله أطعم نبيه طعمة» ثم قبضه و جعله للذي يقوم بعده فوليت أنا بعده أن أردّه إلى المسلمين.

و روى عن عائشة أن فاطمة (عليها السلام) أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله (صلى الله عليه و اله) و هي حينئذ تطلب ما كان لرسول الله (صلى الله عليه و اله) بالمدينة و فذك و ما بقي من خمس خبير، فقال أبو بكر: إن رسول الله (صلى الله عليه و اله) قال: لا نورث، ما تركناه صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال. و إني - و الله - لا أغير شيئا من صدقات رسول الله (صلى الله عليه و اله) عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله (صلى الله عليه و اله) و لأعملن فيها بما عمل رسول الله (صلى الله عليه و اله).

فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئا^{١٩٣}.

ص: ١٣٤

و عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال عليّ لفاطمة (عليهما السلام): «إنطلقى فاطمى ميراثك من أبيك رسول الله (صلى الله عليه و اله) فجاءت إلى أبي بكر و قالت: لم تمنعنى ميراثى من أبي رسول الله (صلى الله عليه و اله)؟ و أخرجت و كيلي من فذك و قد جعلها لى رسول الله (صلى الله عليه و اله) بأمر الله تعالى؟» فقال: إن شاء الله إنك لا تقولين إلّا حقا و لكن هاتى على ذلك شهودا، فجاءت ام أيمن و قالت له: لا أشهد - يا أبا بكر - حتى أحتجّ عليك بما قاله رسول الله (صلى الله عليه و اله)، انشددك بالله أليست تعلم أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) قال: «ام أيمن امرأة من أهل الجنة؟» فقال: بلى، قالت: فاشهد أن الله - عز و جل - أوصى إلى رسول الله (صلى الله عليه و اله) **فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ** فجعل فذكا لها طعمة بأمر الله، و جاء على (عليه السلام) فشهد بمثل ذلك، فكتب أبو بكر لها كتابا و دفعه إليها، فدخل عمر فقال: ما هذا الكتاب؟ فقال أبو بكر: إن فاطمة ادّعت فذك و شهدت لها ام أيمن و علىّ فكتبته لها، فأخذ عمر الكتاب من فاطمة فتفل فيه و مزقه، فخرجت فاطمة تبكى.

و روى أن الإمام عليا (عليه السلام) جاء إلى أبي بكر و هو فى المسجد فقال: «يا أبا بكر لم منعت فاطمة ميراثها من رسول الله (صلى الله عليه و اله) و قد ملكته فى حياة رسول الله (صلى الله عليه و اله)؟» فقال أبو بكر: هذا فىء المسلمين، فإن أقامت شهودا أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) جعله لها، و إلّا فلا حقّ لها فيه، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «يا أبا بكر أتحكم فينا بخلاف حكم الله فى المسلمين؟» قال: لا، قال (عليه السلام): «فإن كان فى يد المسلمين شيء يملكونه، ثم ادّعت أنا فيه، من تسأل البيئته؟» قال: إياك أسأل البيئته، قال (عليه السلام): «فما بال فاطمة سألتها البيئته على ما فى يدها و قد ملكته فى حياة رسول الله (صلى الله عليه و اله) و بعده، و لم تسأل المسلمين بيئته على ما ادّعوا شهودا كما سألتنى على ما ادّعت عليهم؟» ... فسكت أبو بكر.

فقال عمر: يا علىّ، دعنا من كلامك، فإنّا لا نقوى على حجتك، فإن

ص: ١٣٥

أتيت بشهود عدول، وإلا فهو فيء للمسلمين لا حق لك ولا لفاطمة فيه.

فقال الإمام عليّ (عليه السلام): «يا أبا بكر تقرأ كتاب الله؟» قال: نعم، قال (عليه السلام):

«أخبرني عن قوله عز وجل : إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً فيمن نزلت؟ فينا أو في غيرنا؟» قال: بل فيكم، قال (عليه السلام): «فلو أن شهودا شهدوا على فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله) بفاحشة ما كنت تصنع بها؟»، قال: كنت اقيم عليها الحد كما اقيم على نساء العالمين!، قال علي (عليه السلام): «كنت إذن عند الله من الكافرين»، قال: و لم؟ قال (عليه السلام): «لأنك رددت شهادة الله بالطهارة و قبلت شهادة الناس عليها، كما رددت حكم الله و حكم رسوله أن جعل لها فداك و زعمت أنها فيء للمسلمين، و قد قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): البيئـة على من ادعى و اليمين على من أنكر» فدمدم الناس، و أنكر بعضهم بعضا، و قالوا: صدق و الله على^{١٩٤}.

٥- خطبة الزهراء (عليها السلام) في مسجد النبي (صلى الله عليه و اله):

حينما قرّرت السلطة أن تمنع فاطمة (عليها السلام) فداك و بلغها ذلك قرّرت الاعلان عن مظلوميّتها بالذهاب إلى المسجد و إلقاء خطاب مهم في الناس، و سرى الخبر في المدينة أن بضعة النبي (صلى الله عليه و اله) و ريحانته تريد أن تخطب في الناس في مسجد أبيها (صلى الله عليه و اله) و هزّ الخبر أرجاء المدينة و احتشد الناس في المسجد ليسمعوا هذا الخطاب المهم.

و روى لنا عبد الله بن الحسن عن آبائه (عليهم السلام) صورة من هذا الخطاب قائلا: إنه لما أجمع أبو بكر و عمر على منع فاطمة (عليها السلام) فداك و بلغها ذلك، لاثت خمارها على رأسها، و اشتملت بجلبابها، و أقبلت في لمة من حففتها

ص: ١٣٦

و نساء قومها، تطأ ذيولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله (صلى الله عليه و اله)^{١٩٥} حتى دخلت على أبي بكر و هو في حشد من المهاجرين و الأنصار و غيرهم، فنبطت دونها ملاءة^{١٩٦}، فجلست ثم أنت أنه أجهش القوم لها بالبكاء، فارتجّ المجلس، ثم أمهلت هنئة حتى إذا سكن نشيج القوم و هدأت فورتهم؛ افتتحت الكلام بحمد الله و الثناء عليه و الصلاة على رسوله (صلى الله عليه و اله) فعاد القوم في بكائهم، فلما أمسكوا عادت في كلامها، فقالت (عليها السلام):

«الحمد لله على ما أنعم، و له الشكر على ما ألهم، و الثناء بما قدّم من عموم نعم ابتدأها، و سبوغ آلاء أسداها، و تمام منن أولائها، جمّ عن الاحصاء عددها، و نأى عن الجزاء أمدّها، و تفاوت عن الادراك أبدّها، و نديهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها، و استحمد إلى الخلائق بإجزالها، و ثنى بالندب إلى أمثالها، و أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الاخلاص تأويلها، و ضمّن القلوب موصولها، و أنار في التفكر معقولها.

الممتنع من الأبصار رؤيته، و من الألسن صفته، و من الأوهام كيفيته، ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها، و أنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها، كوّنّها بقدرته، و ذرأها بمشيئته، من غير حاجة منه إلى تكوينها، و لا فائدة له في تصويرها، إلّا تنبّيتا

^{١٩٤} (1) الاحتجاج للطبرسي: 234 / 1، و كشف الغمّة: 478 / 1، و شرح النهج لابن أبي الحديد: 274 / 16.

^{١٩٥} (1) أي: ما تنقص مشيتها مشية أبيها، كأنه هو.

^{١٩٦} (2) أي: ضرب بينها و بين القوم ستر و حجاب.

لحكمته، و تنبئها على طاعته، و إظهارا لقدرته و تعبداً لبريئته و إعزازا لدعوته، ثم جعل الثواب على طاعته، و وضع العقاب على معصيته، زيادة^{١٩٧} لعباده عن نعمته، و حياشة^{١٩٨} لهم إلى جنّقد

و أشهد أن أبى محمّدا عبده و رسوله اختاره قبل أن أرسله، و سمّاه قبل أن اجتباها، و اصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونة، و بستر الأهوايل مصونة، و بنهاية

ص: ١٣٧

العدم مقرونة، علما من الله تعالى بمآيل الامور، و إحاطة بحوادث الدهور، و معرفة بمواقع الامور، ابتعثه الله إتماما لأمره، و عزيمة على إمضاء حكمه، و إنفاذا لمقادير حتمه، فرأى الامم فرقا في أديانها، عكّفا على نيرانها، عابدة لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها.

فأنار الله بأبى محمّد (صلّى الله عليه و اله) ظلمها، و كشف عن القلوب بهمها^{١٩٩}، و جلى عن الأبصار غممها، و قام فى الناس بالهداية، فأنقذهم من الغواية، و بصّرهم من العماية، و هداهم إلى الدين القويم، و دعاهم إلى الطريق المستقيم.

ثم قبضه الله إليه قبض رافقة و اختيار، و رغبة و إثارة، فمحمّد (صلّى الله عليه و اله) من تعب هذه الدار فى راحة، قد حفّ بالملائكة الأبرار، و رضوان الربّ الغفار، و مجاورة الملك الجبار، صلى الله على أبى نبيه، و أمينه، و خيرته من الخلق و صفيه، و السّلام عليه و رحمة الله و بركاته».

ثم التفتت إلى أهل المجلس و قالت : «أنتم عباد الله نصب أمره و نهيه، و حملة دينه و وح يه، و امناء الله على أنفسكم، و بلغاؤه إلى الامم، زعيم حق له فيكم، و عهد قدّمه إليكم، و بقيّة استخلفها عليكم، كتاب الله الناطق، و القرآن الصادق، و النور الساطع، و الضياء اللامع، بيّنة بصائر، منكشفة سرائره، منجلية ظواهره، مغتبطة به أشياعه، قائدا إلى الرضو ان أتباعه، مؤدّ إلى النجاة استماعه، به تنال حجج الله المنورة، و عزائمه المفسّرة، و محارمه المحذّرة، و بيّناته الجالية، و براهينه الكافية، و فضائله المندوبة، و رخصه الموهوبة، و شرائعه المكتوبة.

فجعل الله الإيمان تطهيرا لكم من الشرك، و الصلاة تنزيها لكم عن الكبر، و الزكاة تركية للنفس، و نماء فى الرزق، و الصيام تثبيتا للإخلاص، و الحجّ تشبيدا للدين، و العدل:

تنسيقا للقلوب، و طاعتنا نظاما للملّة، و إمامتنا أمانا للفرقة، و الجهاد عزّا للإسلام، و الصبر

ص: ١٣٨

معوّنة على استيجاب الأجر، و الأمر بالمعروف مصلحة للعامة، و برّ الوالدين وقاية من السخط، و صلة الأرحام منسأة فى العمر و نماء للعدد، و القصاص حقنا للدماء، و الوفاء بالنذر تعريضا للمغفرة، و توفية المكاييل و الموازين تغييرا للبئس، و

^{١٩٧} (3) زيادة: دفعا.

^{١٩٨} (4) حياشة: جمعا و سوقا.

^{١٩٩} (1) اليهم: معضلات الامور و مشكلاتها

النهي عن شرب الخمر تنزيها عن الرجس، واجتناب القذف حجابا عن اللعنة، وترك السرقة إيجابا للعة، وحرّم الله الشرّك إخلاصا له بالربوبية.

فاتّقوا الله حقّ تقاته، ولا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون، وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، فإنّه إنّما يخشى الله من عباده العلماء.

ثمّ قالت: أيّها الناس! اعلّموا أنّي فاطمة و أبي محمّد، أقول عودا و بدوا، و لا أقول ما أقول غلطا، و لا أفعل ما أفعل شططا **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ** ^{٢٠٠} فإنّ تعزوه و تعرفوه تجدوه أباي دون نساءكم، و أخا ابن عمّي دون رجالكم، و لنعم المعزّي ^{٢٠١} إليه، فبلّغ الرسالة صادعا بالندارة ^{٢٠٢} مائلا عن مدرجة المشركين، ضاربا ثبجهم ^{٢٠٣} آخذا بأكظامهم ^{٢٠٤} داعيا إلى سبيل ربّه بالحكمة و الموعظة الحسنة، يجفّ الأصنام و ينكث الهام، حتّى انهزم الجمع و ولّوا الدبر، حتّى تفرّى الليل عن صبحه، و أسفر الحقّ عن محضه، و نطق زعيم الدّين، و خرست شقاشق الشياطين، و طاح و شيط ^{٢٠٥} النفاق، و انحلت عقد الكفر و الشقاق، و فهتم ^{٢٠٦} بكلمة الإخلاص في نفر من البيض الخماص ^{٢٠٧} و كنتم على شفا حفرة من النار، مذقة ^{٢٠٨} الشارب

ص: ١٣٩

و نهزة ^{٢٠٩} الطامع، و قبسة العجلان، و موطئ الأقدام تشربون الطرق ^{٢١٠}، و تقتاتون القدّ ^{٢١١} أدلّة خاسئين، تخافون أن يتخطّفكم النّاس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك و تعالى بمحمد (صلّى الله عليه و اله)، بعد اللّتيا و اللّتي، و بعد أن منى بهم ^{٢١٢} الرجال و ذؤبان العرب، و مرده أهل الكتاب، كلّما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن الشيطان ^{٢١٣}، أو فغرت فاغرة ^{٢١٤} من المشركين قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفي حتّى يبطأ جناحها بأخمصه ^{٢١٥}، و يخدم لهيها بسيفه، مكدودا في ذات الله، مجتهدا في أمر الله، قريبا من رسول الله، سيّدا في أولياء الله، مشمّرا ناصحا، مجدّا كادحا، لا تأخذه في الله لومة لائم، و أنتم في رفاهيّة من العيش، و ادعون فاكهون آمنون، تتربّصون بنا الدوائر ^{٢١٦} و تتوكّفون الأخبار ^{٢١٧} و تنكصون عند النزال، و تفرون من القتال.

-
- ^{٢٠٠} (1) التوبة (9): 128.
^{٢٠١} (2) المعزّي: المنتسب.
^{٢٠٢} (3) صادعا: مبينا، و الندارة: الانذار.
^{٢٠٣} (4) النّج: وسط الشيء و معظمه.
^{٢٠٤} (5) الكظم: مخرج النفس من الحلق.
^{٢٠٥} (6) الوشيط: الخسيس من الناس.
^{٢٠٦} (7) فهتم: تلفّظتم.
^{٢٠٧} (8) الخماص: الجياح، و هنا اختيارا.
^{٢٠٨} (9) المذقة: اللبن الممزوج بالماء كناية عن سهولة شربه.
^{٢٠٩} (1) النهزة: الفرصة.
^{٢١٠} (2) الطرق: الماء الذي خوضته الإبل و بركت فيه.
^{٢١١} (3) القدّ: قطعة جلد غير مدبوغ.
^{٢١٢} (4) اليهم: الشجعان الأقوياء.
^{٢١٣} (5) نجم قرن الشيطان: طلع أتباعه.
^{٢١٤} (6) الفاغرة: الطائفة.
^{٢١٥} (7) الأخمص: باطن القدم.
^{٢١٦} (8) الدوائر: العواقب السيئة.
^{٢١٧} (9) تتوكّفون الأخبار: تنتظرون أخبار السوء بنا.

فلما اختار الله لنبِيِّه (صَلَّى الله عليه و اله) دار أنبيائه و مأوى أصفائه ظهر فيكم حَسَكَةُ^{٢١٨} النفاق، و سمل جلباب الدين، و نطق كاظم^{٢١٩} الغاوين، و نبغ حامل الأقلين، و هدر فنيق^{٢٢٠} المبطلين، فخطر في عرصاتكم، و أطلع الشيطان رأسه من مغرزه^{٢٢١} هاتفا بكم فألفاكم

ص: ١٤٠

لدعوته مستجيبين، و للغرّة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافا، و أحشمكم^{٢٢٢} فألفاكم غضابا، فوسمتم غير إيلكم، و وردتم غير مشربكم، هذا و العهد قريب، و الكلم رحيب، و الجرح لما يندمل، و الرسول لما يقبر، إبتدارا^{٢٢٣} زعمتم خوف الفتنة ألا في الفتنة سقطوا و إن جهنم لمحيطة بالكافرين^{٢٢٤}.

فهيئات منكم، و كيف بكم، و أنى تؤفكون، و كتاب الله بين أظهركم، اموره ظاهرة، و أحكامه زاهرة، و أعلامه باهرة، و زواجه لايحة، و أوامره واضحة، و قد خلقتموه وراء ظهوركم، أرغبة عنه تريدون؟ أم بغيره تحكمون؟، **بُئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا**^{٢٢٥} **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**^{٢٢٦}.

ثم لم تلبثوا إلّا ريث أن تسكن نفرتها^{٢٢٧}، و يسلس^{٢٢٨} قيادها، ثم أخذتم تورون وقديتها، و تهيجون جمرتها، و تستجيبون لهتاف الشيطان الغوى، و إطفاء أنوار الدين الجلى، و إهمال سنن النبي الصفى (صَلَّى الله عليه و اله)، تشربون حسوا في ارتغاء^{٢٢٩} و تمشون لأهله و ولده في الخمر و الضراء^{٢٣٠} و نصبر منكم على مثل حزّ الم دى و وخز السنان في الحشا، و أنتم الآن تزعمون: أن لا إرث لنا، أفحكم الجاهلية تبغون؟ و من أحسن من الله حكما لقوم يوقنون! أفلا تعلمون؟! بلى قد تجلّى لكم كالشمس الضاحية: أنى ابنته، أيها

ص: ١٤١

المسلمون أغلب على إرثي؟.

يا بن أبى قحافة أفى كتاب الله ترث أباك و لا أرث أبى؟ لقد جئت شيئا فريّا! أفعلى عمد تركتم كتاب الله و نذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول: **وَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ**^{٢٣١}، و قال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريّا إذ قال: **فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا** *

^{٢١٨} (10) الحسكة: العداوة و الحقد.

^{٢١٩} (11) كاظم: ساكت.

^{٢٢٠} (12) الهدير: تردد البعير صوته في حنجرته و الفنيق: الفحل المكرّم من الأبل الذي لا يهان و لا يركب لكرامته على أهليه

^{٢٢١} (13) مغرزه: مخبئه.

^{٢٢٢} (1) أحشمكم: أغضبكم.

^{٢٢٣} (2) ابتدر القوم: تسابقوا في الأمر.

^{٢٢٤} (3) التوبة (9): 49.

^{٢٢٥} (4) الكهف (18): 50.

^{٢٢٦} (5) آل عمران (3): 85.

^{٢٢٧} (6) نفرتها: جزعها.

^{٢٢٨} (7) يسلس: يسهل.

^{٢٢٩} (8) الحسو: الشرب شينا بعد شيء. و الارتغاء: شرب الرغوة، و هي اللبن الممزوج بالماء، و جملة «حسوا في ارتغاء» مثل يضرب لمن

يظهر أمرا و هو يريد غيره

^{٢٣٠} (9) الخمر: ما وارك من شجر و غيره و الضراء: الشجر الملتف في الوادي.

^{٢٣١} (1) النمل (27): 16.

يَرْتَبِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ٢٣٢ و قال: وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ٢٣٣ و قال: يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ٢٣٤ و قال: إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْأَدْنَىٰ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقٌّ عَلَى الْمُتَّقِينَ ٢٣٥ .

و زعمتم أن لا حظوة لى و لا إرث من أبى و لا رحم بيننا، أفخصكم الله بآية أخرج أبى منها؟ أم هل تقولون : إن أهل ملتين لا يتوارثان؟ أولست أنا و أبى من أهل ملّة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن و عمومه من أبى و ابن عمى؟.

فدونكها مخطومة مرحولة ٢٣٦ تلقاك يوم حشرک، فنعلم الحكم الله، و الزعيم محمد (صلّى الله عليه و اله)، و الموعد القيامة، و عند السّاعة يخسر المبطلون، و لا ينفعكم إذ تندمون، و لكلّ نبأ مستقرّ و سوف تعلمون من يأتیه عذاب يخزيه و يحلّ عليه عذاب مقيم».

ثمّ رمت بطرفها نحو الأنصار فقالت: «يا معشر النقيبة ٢٣٧ و أعضاء الملّة و حضنة الاسلام، ما هذه الغميرة ٢٣٨ فى حقّى و السنة عن ظلامتى؟ أما كان رسول

ص: ١٤٢

الله (صلّى الله عليه و اله) أبى يقول: «المرء يحفظ فى ولده»؟ سرعان ما أحدثتم، و عجلان ذا إهالة ٢٣٩ و لكم طاقة بما احاول، و قوّة على ما أطلب و ازاول، أتقولون مات محمد (صلّى الله عليه و اله)؟ فخطب جليل استوسع و هنه و استنهر ٢٤٠ فتقه و انفتق رتقه ٢٤١، و اظلمت الأرض لغيبته، و كسفت الشمس و القمر، و انتشرت النجوم لمصيبته، و أكدت الآمال، و خشعت الجبال، و اضيع الحريم، و ازيلت الحرمة عند مماته، فتلك و الله النازلة الكبرى، و المصيبة العظمى، لا مثلها نازلة، و لا باقّة ٢٤٢ عاجلة، أعلن بها كتاب الله جلّ ثناؤه فى أفنييتكم، و لقبه ما حلّ بأنبياء الله و رسله حكم فصل، و قضاء حتم: و ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ٢٤٣ .

إبها بنى قليلة ٢٤٤ أهضم تراث أبى؟ و أنتم بمرأى منى و مسمع، و متندى ٢٤٥ و مجمع، تلبسكم الدعوة، و تشملكم الحيرة، و أنتم ذوو العدد و العدة، و الأداء و القوّة، و عندكم السلاح و الجنّة، توافيكم الدعوة فلا تجيبون، و تأتيكم الصرخة فلا تغيبون، و أنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير و الصّلاح، و النخبة الّتى انتخبت، و الخيرة الّتى اختيرت لنا أهل البيت، قاتلتهم العرب، و تحمّلتهم الكدّ و التعب، و ناطحتهم الامم و كافحتهم البهيم، لا نبرح أو تبرحون، نأمركم فتأتمرون حتى إذا

٢٣٢ (2) مريم (19): 5-6.

٢٣٣ (3) الأنفال (8): 75.

٢٣٤ (4) النساء (4): 11.

٢٣٥ (5) البقرة (2): 180.

٢٣٦ (6) دونكها: أي خذها. و الخطام: الزمام. و الرجل للناقة كالسرج للفرس و المقصود: خذ فدكا جاهزة مهينة.

٢٣٧ (7) النقيبة: الفتية.

٢٣٨ (8) الغميرة: نقص في العقل أو العمل و السنة: النعاس من غير نوم.

٢٣٩ (1) الإهالة: الودك و هو دسم اللحم، و جملة «سرعان ذا إهالة» مثل يضرب لمن يخبر بكيونة الشيء قبل وقته.

٢٤٠ (2) استنهر: اتسع.

٢٤١ (3) اتفق رتقه: أي انشق المكان الملتئم منه.

٢٤٢ (4) البائقة: الداهية.

٢٤٣ (5) آل عمران (3): 144.

٢٤٤ (6) بنو قليلة: هم الأنصار من الأوس و الخزرج.

٢٤٥ (7) المنتدى: النادي بمعنى المجلس.

دارت بنا رحي الإسلام، و درّ حلب الأيام، و خضعت ثغرة الشرك، و سكنت فورة الإفك، و خمدت نيران الكفر، و هدأت دعوة

ص: ١٤٣

الهرج، و استوسق نظام الدّين، فأنّى حزتم بعد البيان؟^{٢٤٦} و أسررتكم بعد الاعلان؟ و نكصتم بعد الاقدام؟ و أشركتم بعد الإيمان؟.

بؤسا لقوم نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم، و همّوا بإخراج الرّسول، و هم بدأوكم أوّل مرّة، أتخشونهم فاللّهُ أحقّ أن تخشوه إن كنتم مؤمنين، ألا و قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض^{٢٤٧} و أبعدتم من هو أحقّ بالبسط و القبض، و خلوتكم بالدعة^{٢٤٨} و نجوتكم بالضّيق من السّعة، فمجبّتم^{٢٤٩} ما وعيتكم، و دسّعتكم^{٢٥٠} الذي تسوّغتم^{٢٥١} فإن تكفروا أنتم و من في الأرض جميعا فإنّ اللّهُ لغني حميد^{٢٥٢}.

ألا و قد قلت ما قلت هذا على معرفة منّي بالجدلة^{٢٥٣} التي خامرتكم^{٢٥٤} و الغدرة التي استشعرتها قلوبكم، و لكنّها فيضة النفس^{٢٥٥} و نفثة الغيظ، و خور القنأة^{٢٥٦} و بثّة الصدر^{٢٥٧} و تقدمة الحجّة، فدونكموها فاحتقبوها^{٢٥٨} دبّرة^{٢٥٩} الظهر، نقبة الخف^{٢٦٠} باقية العار، موسومة بغضب الجبار و شنار الأبد، موصولة بنار اللّهُ الموقدة، التي تطلّع على الأفئدة،

ص: ١٤٤

فبعين اللّهُ ما تفعلون **و سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ**^{٢٦١}، و أنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد فاعملوا إنّنا عاملون، و انتظروا إنّنا منتظرون».

و بعد هذا لجأ أبو بكر الى اسلوب التضليل و الاستغفال في محاولة منه لتدارك المو قف فقال: يا بنت رسول اللّهُ، لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفا كريما رؤوفا رحيمًا، على الكافرين عذابا أليما و عقابا عظيما، إن عزوانه^{٢٦٢} وجدناه أباك دون

^{٢٤٦} (1) استوسق: اجتمع و انتظم. و في الاحتجاج: «فأنّى حرّتم بعد البيان».

^{٢٤٧} (2) الخفض: السّعة في العيش

^{٢٤٨} (3) الدعة: الراحة و السكون.

^{٢٤٩} (4) مجبّتم: رميتم.

^{٢٥٠} (5) دسّعتكم: قيّأتم.

^{٢٥١} (6) تسوّغتم: شربتم بسهولة.

^{٢٥٢} (7) إقتباس من سورة إبراهيم: 8.

^{٢٥٣} (8) جدل: فرج.

^{٢٥٤} (9) خامرتكم: خالطتكم.

^{٢٥٥} (10) فيضة النفس: إظهار المضمّر في النفس لاستيلاء الهمّ و غلبة الحزن

^{٢٥٦} (11) كناية عن ضعف النفس

^{٢٥٧} (12) بثّة الصدر: إظهار ما فيه من الحزن

^{٢٥٨} (13) احتقبوها: إحملوها على ظهوركم

^{٢٥٩} (14) الدبّرة: قرحة الدابة تحدث من الرحل و نحوه

^{٢٦٠} (15) نقية الخف: رقيقته.

^{٢٦١} (1) الشعراء (26): 227.

^{٢٦٢} (2) عزوانه: نسيناه.

النساء، و أخوا إلفك دون الأخلاء^{٢٦٣} آثره على كل حميم، و ساعده في كل أمر جسيم، لا يحبكم إلّا سعيد، و لا يبغضكم إلّا شقيّ بعيد، فأنتم عتره رسول الله الطيّبون، الخيرة المنتجبون، على الخير أدلّتنا، و إلى الجنة مسالكنا.

و أنت يا خيرة النساء و ابنة خير الأنبياء صادقة في قولك، سابقة في وفور عقلك، غير مردودة عن حقك، و لا مصدودة عن صدقك، و الله ما عدوت رأى رسول الله (صلى الله عليه و اله) و لا عملت إلّا بإذنه، و الرائد لا يكذب أهله، و إنّي أشهد الله و كفى به شهيدا أنّي سمعت رسول الله (صلى الله عليه و اله) يقول: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهبا و لا فضة و لا دارا و لا عقارا و إنّما نورث الكتاب و الحكمة و العلم و النبوة، و ما كان لنا من طعمة فلولى الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه» و قد جعلنا ما حاولته في الكراع^{٢٦٤} و السلاح يقاتل بها المسلمون و يجاهدون الكفار، و يجالدون^{٢٦٥} المردة الفجار، و ذلك بإجماع من المسلمين^{٢٦٦}، لم أنفرد

ص: ١٤٥

به وحدي، و لم أستبد بما كان رأى عندي و هذه حالي و مالي، و هي لك و بين يديك، لا تزوي^{٢٦٧} عنك، و لا تدّخر دونك و إنك و أنت سيّدة أمّة أبيك، و الشجرة الطيبة لبنيك، لا ندفع ما لك من فضلك، و لا يوضع في فرعك و أصلك، حكمك نافذ فيما ملكت يداي، فهل ترين أن اخالف في ذلك أباك (صلى الله عليه و اله)؟

فقلت (عليها السلام): «سبحان الله ما كان أبى رسول الله (صلى الله عليه و اله) عن كتاب الله صادفا^{٢٦٨} و لا لأحكامه مخالفا! بل كان يتبع أثره، و يقفو سوره، أفجمعون إلى الغدر اعتلالا عليه بالزور، و هذا بعد وفاته شبيه بما بغى له من الغوائل^{٢٦٩} في حياته، هذا كتاب الله حكما عدلا، و ناطقا فصلا يقول: **يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ**^{٢٧٠} و يقول: **وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ**^{٢٧١} و بين عزّ و جلّ فيما ورّع من الأقساط، و شرع من الفوائض و الميراث، و أباح من حظّ الذكران و الإناث ما أراح به علّة المبطلين، و أزال التظنّي و الشبهات في الغابرين، كلّا بل سوّلت لكم انفسكم أمرا فصبر جميل و الله المستعان على ما تصفون».

فقال أبو بكر: صدق الله و رسوله، و صدقت ابنته، أنت معدن الحكمة، و موطن ال هدى و الرحمة، و ركن الدين، و عين الحجّة، لا أبعد صوابك، و لا انكر خطابك، هؤلاء المسلمون بيني و بينك، قلّدونى ما تقلّدت، و باتّفاق منهم أخذت ما أخذت غير مكابر و لا مستبدّ، و لا مستأثر، و هم بذلك شهود.

و هذه اولى محاولة لأبى بكر استطاع فيها من إخماد عواطف المسلمين و حرف رأيهم عن مناصرة الزهراء (عليها السلام) من خلال التضييل و التظاهر

^{٢٦٣} (3) الأخلاء: مفردة الخليل و هو الصديق

^{٢٦٤} (4) الكراع: بضم الكاف: جماعة الخيل.

^{٢٦٥} (5) يجالدون: يضاربون.

^{٢٦٦} (6) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: 16/ 221: أنّه لم يرو حديث إنتفاء الإرث إلّا أبو بكر وحده. و له كلام في ذلك ايضا في ص 227 و 228 فراجع، و قال السيوطي في تاريخ الخلفاء: 73 و أخرج أبو القاسم البغوي، و أبو بكر الشافعي في فوائده و ابن عساكر عن عائشة قالت: اختلفوا في ميراثه (صلى الله عليه و اله) فما وجدوا عند أحد من ذلك علما، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله (صلى الله عليه و اله) يقول: إنّنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة.

^{٢٦٧} (1) لا تزوي: لا تمنع.

^{٢٦٨} (2) صادفا: معرضا.

^{٢٦٩} (3) الغوائل: المهالك.

^{٢٧٠} (4) مريم (19): 6.

^{٢٧١} (5) النمل (27): 16.

بالصلاح واتباع سنة النبي (صلى الله عليه و اله).

ثم التفتت فاطمة (عليها السلام) إلى الناس و قالت : «معاشر المسلمين المسرعة إلى قيل الباطل، المغضية^{٢٧٢} على الفعل القبيح الخاسر، أفلا تتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟ كلاً بل ران على قلوبكم ما أسأتكم من أعمالكم . فاخذ بسمعكم و أبصاركم و لبس ما تأولتم، و ساء ما به أشرتكم، و شر ما منه اغتصبتكم، لتجدن و الله محمله ثقبلا، و غبه^{٢٧٣} وبيلا، إذا كشف لكم الغطاء و بان ما وراءه^{٢٧٤} الضراء، و بدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون و خسر هنالك المبطلون^{٢٧٥} .

ثم عطفت على قبر النبي (صلى الله عليه و اله) و قالت:

لو كنت شاهدا لم تكثر الخطب	قد كان بعدك أنباء و هنيئة ^{٢٧٦}
و اختل قومك فاشهدهم و لا تغب	إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها
عند الإله على الأدينين مقرب	و كل أهل له قربى و منزلة
لما مضيت و حالت دونك الترب	أبدت رجال لنا نجوى صدورهم
لما فقدت و كل الأرض مغتصب	تجهمتنا رجال و استخف بنا
عليك ينزل من ذى العزة الكتب	و كنت بدرا و نورا يستضاء به
فقد فقدت و كل الخير محتجب	و كان جبريل بالآيات يؤنسنا
لما مضيت و حالت دونك الكتب ^{٢٧٧}	فليت قبلك كان الموت صادفنا

أنهت الزهراء خطابها و قد أوضحت فيه الحق بأجلى صورة، و استجوبت الخليفة و فضحت مخططاته بالأدلة و البراهين الساطعة المحكمة،

^{٢٧٢} (١) المغضية: غض طرفه أي أطبقه، و المغضية أي المطبقة

^{٢٧٣} (٢) غبه: عاقبته.

^{٢٧٤} (٣) أي: ظهر لكم الشيء الذي وراء الشدة.

^{٢٧٥} (٤) غافر (40): 78.

^{٢٧٦} (٥) الهنيئة: الأمر الشديد.

^{٢٧٧} (٦) الاحتجاج: 1/ 253- 279 طبعة منظمة الأوقاف (انتشارات اسوة).

و ذكرت فضائل الخليفة الحقيقي في الإسلام و كمالاته المطلوبة، فتوترّ الجوّ و انساق الرأي العام لصالح الزهراء (عليها السلام) و جعلت أبا بكر في زاوية حرجة و أمام طريق مسدود.

قال ابن أبي الحديد: سألت ابن الفارقي مدرّس المدرسة الغريبة ببغداد، و قلت له: أكانت فاطمة صادقة؟ قال: نعم، قلت: فلم لم يدفع إليها أبو بكر فدكا و هي عنده صادقة؟ فتبسّم ثم قال كلاما لطيفا مستحسنا : لو أعطاهما اليوم فدكا لمجرد دعواها؛ لجاءت إليه غدا و ادّعت لزوجها الخلافة و زحزحته عن مقامه و لم يمكن الاعتذار و الموافقة، لأنّه يكون قد سجّل على نفسه أنّها صادقة فيما تدّعي كائنا ما كان من غير حاجة إلى بيّنة و شهود^{٢٧٨}.

ردّ فعل الخليفة على خطاب الزهراء (عليها السلام):

اضطرب المجلس و تفرّق الناس و ارتفعت الضجّة و أصبحت خطبة الزهراء (عليها السلام) حديث الناس فلجأ أبو بكر إلى التهديد و الوعيد.

و روى أنّ أبا بكر لما شاهد أثر خطاب الزهراء على الناس قال لعمر:

تربت يداك ما كان عليك لو تركتني، فربّما مات الخرق و رتقت الفتق، ألم يكن ذلك بنا أحقّ؟ فقال الرجل : قد كان في ذلك تضعيف سلطانتك و توهين كافّتك و ما أشققت إلّا عليك . قال: ويلك! فكيف بابنة محمّد، و قد علم الناس ما تدعو اليه و ما نحن من الغدر عليه؟ فقال: هل هي إلّا غمرة انجلت و ساعة انقضت؟ و كأنّ ما قد كان لم يكن . فضرب بيده على كتف عمر و قال: ربّ

ص: ١٤٨

كربة فرّجتها يا عمر، ثم نادى الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فصعد المنبر و قال:

أيّها الناس، ما هذه الرعة إلى كلّ قالّة؟ أين كانت هذه الأمانى في عهد رسول الله؟ ألا من سمع فليقل و من شهد فليتكلم، إنّما هو ثعالة شهيد ذنبه، مربّ لكل فتنة هو الذي يقول : كرّوها جذعة بعد ما هرمت يستعينون بالضعفة و يستنصرون بالنساء، كام طحال أحب أهلها إليها البغي، ألا إنّى لو أشاء لقلت، و لو قلت لبحت، و إنّى ساكت ما تركت.

ثم التفت إلى الأنصار فقال : يا معشر الأنصار قد بلغنى مقالة سفهائكم و أحقّ من لزم عهد رسول الله أنتم، فقد جاءكم فأويتم و نصرتم، ألا إنّى لست باسطا يدا و لسانا على من لم يستحقّ منّا ذلك، ثم نزل^{٢٧٩}.

قال ابن أبي الحديد: قرأت هذا الكلام على النقيب أبي يحيى جعفر بن أبي يحيى بن أبي زيد البصرى و قلت له : بمن يعترض؟ فقال: بل يصرّح، قلت: لو صرّح لم أسألك، فضحك و قال : لعلّ بن أبي طالب، قلت : فما مقالة الأنصار؟ قال : هتفوا بقول علىّ، فخاف من اضطراب الأمر عليهم فنهاهم^{٢٨٠}.

^{٢٧٨} (1) شرح ابن أبي الحديد: 284 / 16.

^{٢٧٩} (1) دلائل الإمامة، للطبري: ص 39.

^{٢٨٠} (2) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 215 / 16.

دفاع ام سلمة عن حق الزهراء (عليها السلام):

بعد خطبة الزهراء (عليها السلام) في المسجد و كلام أبي بكر قالت ام سلمة (رض) حين ما سمعت ما جرى لفاطمة (عليها السلام): ألمثل فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله) يقال هذا القول؟ هي و الله الحوراء بين الإ نس، و النفس للنفس، ربيت في حجور الأتقياء، و تناولتها أيدي الملائكة، و نمت في

ص: ١٤٩

حجور الطاهرات، و نشأت خيرة نشأة، و ربيت خير مربى، أترعمون أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) حرّم عليها ميراثه و لم يعلمها؟ و قد قال الله تعالى : **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** أفأندرها و خالفت مطلبه؟ و هي خيرة النسوان و ام سادة الشبان، و عديلة مريم، تمّت بأبيها رسالات ربّه، فو الله لقد كان يشفق عليها من الحرّ و القرّ، و يوسدها يمينه و يلحفها بشماله، رويدا و رسول الله (صلى الله عليه و اله) بمرآى منكم، و على الله تردون و اها لكم، فسوف تعلمون.

قيل: فحرمت من عطاها تلك السنة^{٢٨١}.

شكواها إلى الإمام عليّ (عليه السلام):

بعد ما أنهت الزهراء كلامها مع القوم بكت عند قبر رسول الله (صلى الله عليه و اله) حتى ابتل بدموعها، ثم انكأفت (عليها السلام) راجعة إلى الدار و أمير المؤمنين (عليه السلام) يتوقّع رجوعها إليه و يتطلع طلوعها عليه، فلما استقرّت بها الدار قالت لأمر المؤمنين (عليه السلام): «يا بن أبي طالب اشتملت شملة الجنين، و قعدت حجرة الظنين، نقضت قادمة الأجلد فخانك ريش الأعزل، هذا ابن أبي قحافة يبتزني نحلة أبي، و بلغه ابني، لقد أجه ر في خصامي، و ألفيته الألد في كلامي حتى حبستني قبلة نصرها، و المهاجرة وصلها، و غصّت الجماعة دوني طرفها، فلا دافع و لا مانع، خرجت كاظمة وعدت راغمة، أضرعت خدك يوم أضعت خدك، إفتربت الذئاب، و افترشت التراب، ما كففت قائلا، و لا أغنيت باطلا، و لا خيار لى ليتنى متّ قبل هينتى و دون ذلتى، عذيرى الله منك عاديا و منك حاميا، ويلأى فى كل شارق مات العمد و وهن العضد شكواى إلى أبى و عدواى إلى ربّى، اللهم أنت أشدّ قوة و حولا، و أحدّ بأسا و تنكيلا.

ص: ١٥٠

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «لا ويل عليك، الويل لسانك، نهني عن وجدك يا بنت الصفوة و بقية النبوة، فما و نيت عن ديني، و لا أخطأت مقدورى، فإن كنت تريدن البلغة فرزقك مضمون، و كفيلك مأمون، و ما أعد لك خير ممّا قطع عنك، فاحتسبى الله»، فقالت (عليها السلام): «حسبى الله» و سكتت.

٦- إعلان المقاطعة:

لم تتوقّف الزهراء عند خطبتها، فقد استمرت فى جهادها و اختارت الاعتصام عن الكلام مع أبى بكر هذه المرّة، فأعلنت رسميا أمام الملأ: «و الله لا اكلمك بكلمة ما حييت»^{٢٨٢}.

^{٢٨١} (1) دلائل الإمامة للطبري: 39.

و لم تكن فاطمة (عليها السلام) من سواد الناس، بحيث لو قاطعت الخليفة لم تؤثر عليه، و لم يكن الأمر غير ذى بال، ففاطمة عزيزة رسول الله (صلى الله عليه و اله) و حبيبته، و لم يخف اهتمامه (صلى الله عليه و اله) بها و حبه لها على أحد، و هى التى قال فيها:

«فاطمة بضعة منى، من آذاها فقد آذانى».

و انتشر الخبر رويدا رويدا : إنّ فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله) ساخطة على أبى بكر و لم تكلمه، و سمع بذلك القاصى و الدانى من داخل المدينة و خارجها فتساءل الناس، و ازدادوا نفورا من الخليفة يوما بعد يوم، و رغم محاولات الخليفة إعادة المياه إلى مجاريها و المصالحة مع الزهراء إلّا أنّها (عليها السلام) استمرت فى جهاده و بقيت على صمودها حتى مضت إلى ربّها شهيدة مظلومة.

ص: ١٥١

المعنى الرمزي و السياسى لفدك:

إنّ الحركة التصحيحية التى قام بها الإمام علىّ و الزهراء (عليهما السلام) لإعادة الخلافة الإسلامية عن جادة الانحراف اكتسبت ألوانا وصيغا متعدّدة، و تزعمت الزهراء الجبهة السياسية العلنية، و تنوّعت أساليب المطالبة بحقّ خلافة الإمام علىّ (عليه السلام)، و منها المطالبة بفدك، و حتى هذه المطالبة تلوّنت بعدة ألوان.

و الباحث الموضوعى فى دراسة خطوات الصراع و تطوّراته و الأشكال التى اتّخذها لا يرى أنّ المسألة مسألة مطالبة بأرض، بل يتجلّى له منها مفهوم أوسع من ذلك ينطوى على غرض طموح يبعث إلى الثورة، و يهدف إلى استرداد حقّ مغتصب و مجد عظيم، و تصحيح مسيرة أمة انقلبت على أعقابها، و قد أحسّ الحزب الحاكم بذلك، فتراه قد بذل قصارى جهده فى التحدّى و الثبات على موقفه.

و لو فحصنا أىّ نصّ من النصوص التاريخية المتعلّقة بفدك فلا نجد فيها نزاعا ماديا أو اختلافا حول فدك بمعناها الضيق و واقعها المحدود، بل هى الثورة على أساس الحكم المنحرف و الصرخة التى أرادت لها الزهراء (عليها السلام) أن تصل إلى كلّ الآفاق، لتقتلع بها الحجر الأساسى الذى برى يوم السقيفة.

و يكفيننا لإثبات ذلك أن تلقى نظرة فاحصة على خطبة الزهراء فى المسجد أمام الخليفة و بين حشود المهاجرين و الأنصار، فإنّها تناولت فى أغلب جوانبها امتداح الإمام علىّ (عليه السلام) و الثناء على مواقفه الجهادية الخالصة لخدمة الإسلام، و تسجيل الحقّ الشرعى لأهل البيت (عليهم السلام) الذين وصفتهم بأنّهم الوسيلة إلى الله فى خلقه و خاصته و محلّ قدسه و حجّته، و ورثة أنبيائه فى الخلافة و الحكم.

ص: ١٥٢

و حاولت الزهراء (عليها السلام) أن تنبّه المسلمين إلى غفلتهم و سوء اختيارهم المرتجل و المتسرّع و ان قلوبهم على أعقابهم بعد هداهم، و ورودهم غير شربهم الصافي الذي كان يروى ظمأهم، و إسنادهم أمرهم إلى غير أهله، و الفتنة التي سقطوا فيها، و الدوافع التي دفعتهم إلى ترك كتاب الله و مخالفته فيما يحكم به في مسألة الخلافة و الإمامة.

فالمسألة إذن ليست مسألة تقسيم م يرث أو قبض نحلة إلا بالمقدار الذي يتصل بموضوع الهدف الأعلى، و ليست مطالبة بعقار أو دار، بل هي في نظر الزهراء قضية إسلام و كفر، و قضية إيمان و نفاق، و مسألة نصّ و شورى.

كذلك نجد هذا النفس السياسى الرفيع و الواضح فى حديثها مع نساء المهاجرين و الأنصار حين زيارتهن لها، فقد أوضحت لهنّ أنّ أمر الخلافة انحرف عن مساره الشرعى بإقرار الحزب الحاكم على مسند الحكم، و لم تكن ردّة فعل عاطفية و أحقاد مكنونة وجدت لها متنفساً، و لو أنّهم وضعوا الأمر حيث أمر الله و رسوله و أعطوا زمام القيادة للإمام (عليه السلام)؛ لبلغوا رضا الله و سعادة الدنيا و الآخرة.

و أكبر الظنّ أنّ الصديقة الزهراء (عليها السلام) كانت تجد فى شيعة الإمام (عليه السلام) و صفوة أصحابه الذين لم يكونوا يشكّون فى صدقها أبداً من يؤيّد بشهادته على شهادة الإمام علىّ (عليه السلام) و تكتمل البيّنة التى طالب بها الخليفة لإثبات أنّ فدك للزهراء (عليها السلام).

إنّ هذا خير دليل على أنّ الهدف الأعلى للزهراء الذى كانوا يعرفونه جيداً ليس هو إثبات النحلة أو الميراث، بل القضاء على نتائج السقيفة، و هذا لا يحصل بإقامة البيّنة فى موضوع فدك، لأنّ الأمر سينحصر عند ذاك بقضى ة محدودة، بل بأن تقدّم البيّنة لدى الناس جميعاً على أنّهم ضلّوا و انحرفوا عن

ص: ١٥٣

سواء السبيل، عسى أن يرتدّ إليهم رشدهم و يحسن اختيارهم و يصحّحوا مسيرتهم.

و نعلم أيضاً مقدار تخوّف السلطة الحاكمة و إصرارها على موقفها و محاولتها الاستمرار فى تضليل الحجّ ماهير حين نسمع ردّ الخليفة بعد أن انتهت الزهراء (عليها السلام) من خطبتها و خرجت من المسجد، و هذا يلقي الضوء على أساس منازعة الزهراء له، فإنّه فهم أنّ احتجاج الزهراء لم يكن حول الميراث أو النحلة، و إنّما كان حرباً سياسية و تطلّماً لحقّ الإمام علىّ (عليه السلام) و إظهاراً لدوره العظيم فى وجوده فى الامّة، و الذى شاء الخليفة و أصحابه أن يبعده عن المقام الطبيعى له فى دنيا الإسلام.

فنجده أنّ الخليفة هجم فى ردّه على الإمام علىّ (عليه السلام) فوصفه بأنّه ثعاله و أنّه مربّ لكلّ فتنة و أنّ فاطمة ذنبه التابع له، و لم يتطرّق فى ردّه على موضوع الميراث أو النحلة قليلاً أو كثيراً.

و إذا عرفنا أنّ الزهراء نازعت الخليفة فى أمر الميراث بعد اغتصابه لفدك، لأنّ الناس لم يعتادوا أن يستأذنوا الخليفة فى قبض مواريتهم أو فى تسليم المواريت إلى أهلها، فكانت تجرى معاملاتهم بينهم بيسر دون تكلف، فلم تكن فاطمة (عليها السلام) فى حاجة إلى مراجعة الخليفة، و لم تكن لتأخذ رأيه و هو الظالم المنتزى على الحكم فى رأيها، فالمطالبة بالميراث لا بدّ أنّها كانت ذات صدق لما قام به الخليفة من تعدّى على حقّ الزهراء فى التركة و الاستيلاء عليها.

و إذا عرفنا أَيْضاً أَنَّ الزَّهْرَاءَ لَمْ تَطَالِبْ بِحَقُوقِهَا قَبْلَ أَنْ تَغْتَصِبَ مِنْهَا تَجَلَّى بوضوح لدينا أَنَّ ظروفَ المطالبة كانت مشجعة كل التشجيع للمعارضين على أَنْ يَغْتَنِمُوا مسألة الميراث مادة خصبة للانطلاق منها

ص: ١٥٤

لمقاومة الخليفة غير الشرعي بأسلوب سلمى كانت تفرضه المصالح العليا للإسلام يومئذ، و من الممكن إتهامه بالغصب و التلاعب بقواعد الشريعة و الاستخفاف بكرامة القانون.

٧- خيارات الإمام عليّ (عليه السلام) تجاه الوضع الجديد:

إنَّ الأحداث المتسارعة و المواقف المنحرفة و ظهور أطراف عديدة تعدّ للإسلام المكائد و تطرق أبواب الفتن و غياب الوعي الرسالي و الحرص على سلامة العقيدة أملت على الإمام عليّ (عليه السلام) أَنْ يقف عند مفترق طرق ثلاثة، كل منها حرج:

الأول: أَنْ يبايع أبا بكر دون ممانعة، و يكون حاله مثل بقية المسلمين، بل يحظى بمكانة مرموقة لدى السلطة الجديدة و يحافظ على وجوده و كيانه و منفعه من دون إهتمام بمسيرة الدعوة الإسلامية، و هذا غير ممكن، لأنَّه يعني إمضاءه لبيعة مخالفة لأوامر رسول الله (صلى الله عليه و اله).

الثاني: أَنْ يسكت و فى العين قذى و فى الحلق شجى، و يحاول أَنْ يجد مسلكاً معتدلاً وسط التناقضات التى ستحصل من جراء حكومة غير مؤهلة، ليحافظ على كيان الإسلام و يصون العقيدة الإسلامية من الإنهيار التام.

الثالث: أَنْ يعبئ الجماهير و يعدّهم لإعلان الثورة المسلحة على خلافة أبي بكر.

قرار المواجهة السلمية و دور الزهراء (عليها السلام):

انتهى الإمام إلى قرار حاسم و هو ترك الثورة و عدم التسلّح بالنصوص فى وجه الحاكمين جهاراً و علانية إلّا إذا اطمأن إلى قدرته على تجنيد الرأى العام

ص: ١٥٥

ضدّ أبي بكر و صاحبيه، و هذا ما أخذ يحاوله عليّ فى محتته آنذاك، فبدأ يطوف^{٢٨٣} سرّاً على زعماء المسلمين و رجالات المدينة، يعظهم و يذكرهم ببراهين الحقّ و آياته، و إلى جانبه قرينته تعزّز موقفه و تشاركه فى جهاده السرى، و لم يكن يقصد بذلك التطواف إنشاء حزب يتهيأ له القتال به، لأنّنا نعرف أنّ عليّاً كان له حزب من الأنصار هتف باسمه، و حاول الالتفاف حوله، و إنّما أراد أَنْ يمهد بتلك المقابلات لإجماع الناس عليه.

^{٢٨٣} (1) راجع شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد: 6/ 13، الطبعة المحققة، أخرج عن أبي جعفر محمد بن عليّ (عليهما السلام) أنّ عليّاً حمل فاطمة على حمار و سار بها ليلاً إلى بيوت الأنصار، يسألهم النصرة، و تسألهم فاطمة الانتصار له

و هنا تجيء مسألة فذك لتحتلّ الصدارة في السياسة العلوية الجديدة، فإن الدور الفاطمي الذي رسم هارون النبوة خطوطه بإتقان كان متّفقا مع ذلك التطواف الليلي في فلسفته و جديرا بأن يقلب الموقف على الخليفة و ينهى خلافة الصديق كما تنهى القصة التمثيلية، لا كما يقوِّض حكم مركز على القوة و العدة.

و كان الدور الفاطمي يتلخّص في أن تطالب الصديقة الزهراء (عليها السلام) أبا بكر بما انتزعه منها من أموال، و تجعل هذه المطالبة وسيلة للمناقشة في المسألة الأساسية و هي مسألة الخلافة، و إفهام الناس بأن اللحظة التي عدلوا فيها عن عليّ (عليه السلام) إلى أبي بكر كانت لحظة هوس و شذوذ^{٢٨٤}، و أنّهم بذلك أخطأوا و خالفوا كتاب ربهم و وردوا غير شريهم^{٢٨٥}.

و لما اختمرت الفكرة في ذهن فاطمة، اندفعت لتصحّح أوضاع الساعة،

ص: ١٥٦

و تمسح عن الحكم الإسلامي - الذي وضعت قاعدته الاولى في السقيفة - الوحل الذي تلتخّ به، عن طريق اتّهام الخليفة الحاكم بالخيانة السافرة و العبث بكرامة القانون، و اتّهام نتائج المعركة الانتخابية التي خرج منها أبو بكر خليفة بمخالفة الكتاب و الصواب^{٢٨٦}.

و قد توفّرت في المقابلة الفاطمية ناحيتان لا تنهيّتان للإمام فيما لو وقف موقف قرينته:

إحداهما: إنّ الزهراء أقدر منه بطروف فجيعتها الخاصة و مكائنها من أبيها، على استشارة العواطف، و إيصال المسلمين بسلك من كهرباء الروح بأبيها العظيم صلوات الله عليه و أيّامه الغراء، و تجنيد مشاعرهم لقضايا أهل البيت.

و الاخرى: إنّها مهما تتخذ لمنازعتها من أشكال فلن تكتسب لون الحرب المسلّحة التي تتطلّب زعيما يهيمن عليها ما دامت امرأة، و ما دام هارون النبوة في بيته محتفظا بالهدنة التي أعلنها حتّى تجتمع الناس عليه، و مراقبا للموقف ليتدخل فيه متى شاء، متزعا للثورة إذا بلغت حدّها الأعلى أو مهدئ للفتنة إذا لم يتهيأ له الظرف الذي يريده، فالحوراء فاطمة (عليها السلام) بمقاومتها إنّما أن تحقّق انتقاضا إجماعيا على الخليفة، و إنّما أن لا تخرج عن دائرة الجدال و النزاع و لا تجرّ إلى فتنة و انشقاق.

إذن فقد أراد الإمام صلوات الله عليه أن يسمع الناس يومئذ صوته من فم الزهراء، و يبقى هو بعيدا عن ميدان المعركة ينتظر اللحظة المناسبة للاستفادة منها، و الفرصة التي تجعل منه رجل الموقف، و أراد أيضا أن يقدّم لامّة القرآن كلّها في المقابلة الفاطمية برهانا على بطلان الخلافة القائمة، و قد تمّ

^{٢٨٤} (2) راجع بلاغات النساء: 23، قالت في هذا المعنى من خطبة لها (عليها السلام): «و أطلع الشيطان رأسه من مغرزه، فوجدكم لدعائه مستجيبين، و للغرة فيه ملاحظين، فاستهضكم فوجدكم خفافا... فوسمتم غير إيلكم».

^{٢٨٥} (3) جاء في شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: 6/ 12: قال علي (عليه السلام) في محاوراة مع القوم: «يا معشر المهاجرين الله الله، لا تخرجوا سلطان محمد عن داره و بيته إلى بيوتكم و دوركم، و لا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس و حقّه، فوالله يا معشر المهاجرين ل نحن أهل البيت أحقّ بهذا الأمر منكم...».

^{٢٨٦} (1) راجع الصواعق المحرقة: 36، طبعة مكتبة القاهرة، قال الخليفة الثاني: «كانت بيعة أبي بكر فلتة وقي الله شرّها فمن عاد لمثلها فاقتلوه...» و راجع أيضا تاريخ الخلفاء: 67.

للإمام ما أراد حيث عبّرت الزهراء صلوات الله عليها عن الحقّ العلويّ تعبيرا واضحا فيه ألوان من الجمال و النضال.

و تتلخّص المعارضة الفاطمية في عدّة مظاهر:

الأوّل: إرسالها من ينازع أبا بكر في مسائل الميراث و يطالب بحقوقها^{٢٨٧} و هذه الخطوة الاولى التي انتهجتها الزهراء صلوات الله عليها تمهيدا لمباشرتها للعمل بنفسها.

الثاني: مواجهتها بنفسها له في اجتماع خاص^{٢٨٨} و قد أرادت بتلك المقابلة أن تشتت في طلب حقوقها من الخمس و فدك و غيرهما، لتعرف مدى استعداد الخليفة للمقاومة.

الثالث: خطبتها في المسجد بعد عشرة أيام من وفاة النبي (صلى الله عليه و اله) كما في شرح النهج^{٢٨٩}.

الرابع: حديثها مع أبي بكر و عمر حينما زاراها بقصد الاعتذار منها، و إعلانها غضبها عليهما، و أنّهما أغضبا الله و رسوله (صلى الله عليه و اله) بذلك^{٢٩٠}.

الخامس: خطابها الذي ألقته على نساء المهاجرين و الأنصار حين

اجتماعهنّ عندها^{٢٩١}.

السادس: وصيّتها بأن لا يحضر تجهيزها و دفنها أحد من خصومها^{٢٩٢} و كانت هذه الوصية الإعلان الأخير من الزهراء عن تقمّتها على الخلافة القائمة.

و قد انحسرت الحركة الفاطمية بمعنى و نجحت بمعنى آخر، انحسرت لأنّها لم تطح بحكومة الخليفة في زحفه الأخير الخطير الذي قامت به في اليوم العاشر من وفاة النبي (صلى الله عليه و اله).

و لا نستطيع أن نتبيّن الأمور التي جعلت الزهراء تخسر المعركة، غير أن الأمر الذي لا ريب فيه أن شخصيّة الخليفة من أهمّ الأسباب التي أدّت إلى فشلها، لأنّه من أصحاب المواهب ا لسياسية، و قد عالج الموقف بلباقة ملحوظة نجد لها مثالا، فيما أجاب به الزهراء من كلام وجّهه إلى الأنصار في خطاب بعد انتهائها من خطبتها في المسجد.

^{٢٨٧} (1) شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد: 218 / 16 - 219 عن أبي الطفيل قال: «أرسلت فاطمة إلى أبي بكر: أنت ورثت رسول الله (صلى الله عليه و اله) أم أهله؟ قال: بل أهله...».

^{٢٨٨} (2) المصدر نفسه: 230 / 16.

^{٢٨٩} (3) المصدر نفسه: 211 / 16 أخرج عن جماعة قال: «قالوا: لما بلغ فاطمة (عليها السلام) إجماع أبي بكر على منعها فدك لاثنت خمراها و أقيلت في لمة من حفدتها و نساء قومها... حتى دخلت على أبي بكر و قد حشد الناس من المهاجرين و الأنصار...».

^{٢٩٠} (4) راجع: الإمامة و السياسة/ ابن قتيبة: 31 و شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد: 281 / 16، 264. و قد قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): «فاطمة بضعة منّي من أغضبها أغضبني»، أعلام النساء: 4 / 123 و كنز العمال: 12 / الحديث 34222.

^{٢٩١} (1) شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد: 233 / 16.

^{٢٩٢} (2) المصدر نفسه: 281 / 6.

فبينما هو يذوب رقّة في جوابه للزهاء و إذا به يطوى نفسه على نار متأجّجة تندلع بعد خروج فاطمة من المسجد، في أكبر الظنّ، فيقول: ما هذه الرّعة إلى كلّ قاله إنّما هو ثعالبه شهيدته ذنبه ^{٢٩٣} - وقد نقلنا الخطاب كاملا فيما سبق - فإنّ هذا الانقلاب من اللين والهدوء إلى الغضب الفائز يدلّنا على مقدار ما أوتى من سيطرة على مشاعره وقدرته على مسايرة الظرف و تمثيل الدور المناسب في كلّ حين.

و نجحت معارضة الزهاء لأنّها جهّزت الحقّ بقوة القاهرة، و أضافت إلى

ص: ١٥٩

طاقته على الخلود في ميدان النضال المذهبي طاقة جديدة، و قد سجّلت هذا النجاح في حركتها كلّها و في محاورتها مع الصديق و الفاروق عند زيارتهما لها بصورة خاصّة، إذ قالت لهما : أرايتكما إن حدّثتكما حديثا عن رسول الله (صلى الله عليه و اله) تعرفانه و تفعلان به؟ فقالا: نعم، فقالت: «نشدتكما الله، ألم تسمعا من رسول الله (صلى الله عليه و اله) يقول: «رضا فاطمة من رضى، و سخط فاطمة من سخطى، فمن أحبّ فاطمة فقد أحبّنى، و من أَرْضى فاطمة فقد أَرْضانى، و من أسخط فاطمة فقد أسخطنى» ^{٢٩٤} قالوا: نعم سمعناه من رسول الله (صلى الله عليه و اله)، قالت: «فإنّى أشهد الله و ملائكته أنّكما أسخطتماني و ما أرضيتماني و لئن لقيت النبيّ (صلى الله عليه و اله) لأشكوّنكما عنده» ^{٢٩٥}.

و يصرّ لنا هذا الحديث مدى اهتمامها بتركيز الاعتراض على خصميتها و مجاهرتهما بغضبها و تقمّتها، لتخرج من المنازعة بنتيجة هي الفوز المؤكّد في حساب العقيدة و الدين، و أعنى بها أنّ الصديق قد استحقّ غضب الله و رسوله (صلى الله عليه و اله) بإغضاها، و آذاها بأذاها لأنّها يغضبان لغضبها و يس خطان لسخطها بنصّ الحديث النبويّ الصحيح، فلا يجوز أن يكون خليفة لله و رسوله ^{٢٩٦}، و قد قال الله تبارك و تعالى:

ص: ١٦٠

... وَ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَ لَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِزُّ اللَّهِ عَظِيمًا ^{٢٩٧}.

إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ^{٢٩٨}.

وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ^{٢٩٩}.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ^{٣٠٠}.

^{٢٩٣} (3) راجع الخطبة في شرح نهج البلاغة 16/ 214 - 215.
^{٢٩٤} (1) صحّت عن رسول الله (صلى الله عليه و اله و سلم) عبارة متعدّدة بهذا المعنى فقد جاء عنه في الصحيح أنّه قال لفاطمة (رضي الله عنها): «إنّ الله يغضب لغضبك، و يرضى لرضاك...» و قال: «فاطمة بضعة منّي يربيني ما رابها و يؤذيني ما آذاها».
 راجع: صحيح مسلم: 4/ 1902 حديث رقم: 2449/ 93 طبعة دار إحياء التراث، مستدرك الحاكم
 3/ 158، ذخائر العقبى: 47، مسند الإمام أحمد بن حنبل: 4/ 323 و 332، جامع الترمذي: 5/ 699، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الصواعق المحرقة/ ابن حجر: 190 - طبعة القاهرة، كفاية الطالب: 365، دار إحياء تراث أهل البيت طهران.
^{٢٩٥} (2) تجد غضب فاطمة (عليها السلام) على أبي بكر في صحيح البخاري: 5/ 5 و صحيح مسلم: 2/ 72 و مسند الإمام أحمد: 1/ 6، تاريخ الطبري: 4/ 27، كفاية الطالب: 266، سنن البيهقي: 6/ 300.
^{٢٩٦} (3) راجع فلك في التاريخ: 112 - 119.
^{٢٩٧} (1) الأحزاب (33): 53.
^{٢٩٨} (2) الأحزاب (33): 57.
^{٢٩٩} (3) التوبة (9): 61.

وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ^{٣٠١}.

٨- الهجوم على دار الزهراء (عليها السلام):

رفض الإمام عليّ (عليه السلام) البيعة لأبي بكر، وأعلن سخطه على النظام الحاكم، ليتّضح للعالم أنّ هذه الحكومة التي أعرض عنها الرجل الأول في الإسلام بعد رسول الله (صلى الله عليه و اله) لا تمثّل الخلافة الواقعية لرسول الله (صلى الله عليه و اله)، وكذلك فعلت الزهراء فاطمة (عليها السلام) ليعلم الناس أنّ ابنه نبيّهم ساخطٌ عليهم و هي تدينها فلا شرعية لهذا الحكم.

و بدأ الإمام عليّ (عليه السلام) من جانب آخر جهادا سلبيا ضد الغاصبين للحقّ الشرعي، و وقف مع الإمام عليّ (عليه السلام) عدد من أجلاء الصحابة من المهاجرين و الأنصار و خيارهم و ممن أشاد النبيّ (صلى الله عليه و اله) بفضلهم مع إدراكهم لحقائق الامور مثل: العباس بن عبد المطلب، و عمار بن ياسر، و أبي ذر الغفاري، و سلمان

ص: ١٦١

الفارسي، و المقداد بن الأسود، و خزيمه ذى الشهادتين، و عبادة بن الصامت، و حذيفة بن اليمان، و سهل بن حنيف، و عثمان بن حنيف، و أبي أيوب الأنصاري و غيرهم، من الذين لم تستطع أن تسيطر عليهم الغوغائية، و لم ترهبهم تهديدات الجماعة التي مسكت بزمام الخلافة و في مقدمتهم عمر ابن الخطاب.

و قد قام عدد من الصحابة المعارضين لبيعة أبي بكر بالاحتجاج عليه، و جرت عدّة محاورات عليه في مسجد النبيّ (صلى الله عليه و اله) و في أماكن عديدة، و لم يهابوا من إرهاب السلطة مما ألهب مشاعر الكثيرين الذين أنجرفوا مع التيار، فعاد إلى بعضهم رشده و ندموا على ما ظهر منهم من تسرّعهم و اندفاعهم لعقد البيعة بصورة ارتجالية لأبي بكر، بالإضافة إلى ما ظهر منهم من العداء السافر تجاه أهل بيت النبوة.

و كانت هناك بعض العشائر المؤمنة المحيطة بالمدينة مثل: أسد، و فزارة، و بنى حنيفة و غيرهم، ممن شاهدوا بيعة يوم الغدير «غدير خم» التي عقدها النبيّ (صلى الله عليه و اله) لعليّ (عليه السلام) بإمرة المؤمنين من بعده، و لم يطل بهم المقام حتى سمعوا بالتحاق النبيّ (صلى الله عليه و اله) إلى الرفيق الأعلى و البيعة لأبي بكر و تربّعه على منصّة الخلافة، فاندھشوا لهذا الحادث و رفضوا البيعة لأبي بكر^{٣٠٢} جملة و تفصيلا، و امتنعوا عن أداء الزكاة للحكومة الجديدة باعتبارها غير شرعية، حتى ينجلي ضباب الموقف، و كانوا على إسلامهم يقيمون الصلاة و يؤدّون جميع الشعائر.

و لكنّ السلطة الحاكمة رأت أنّ من مصلحتها أن تجعل حداً لمثل هؤلاء

ص: ١٦٢

^{٣٠٠} (4) الممتحنة (60): 13.

^{٣٠١} (5) طه (20): 81.

^{٣٠٢} (1) تاريخ الامم و الملوك، للطبري: 4/ 61 ط. دار الفكر.

الذين يشكّلون خطراً للحكم القائم، ما دامت معارضة الإمام علىّ (عليه السلام) و صحابته تمثّل خطراً داخلياً للدولة الإسلامية، عند ذلك أحسّ أبو بكر و أنصاره بالخطر المحيط بهم و بحكمهم من خلال تصاعد المعارضة إن لم يبادروا فوراً إلى إيقاف هذا التيار المعارض، و ذلك بإجبار رأس المعارضة (علىّ بن أبي طالب (عليه السلام)) على بيعه أبي بكر.

ذكر بعض المؤرخين^{٣٠٣}: أن عمر بن الخطّاب أتى أبا بكر فقال له : ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة؟ يا هذا لم تصنع شيئاً ما لم يبايعك على ! فابعث إليه حتى يبايعك، فبعث أبو بكر قنفاً، فقال قنفذ لأُمير المؤمنين (عليه السلام): أجب خليفة رسول الله (صلى الله عليه و اله). قال علىّ (عليه السلام): «لسريع ما كذبتُم على رسول الله (صلى الله عليه و اله)» فرجع فأبلغ الرسالة فبكى أبو بكر طويلاً، فقال عمر ثانية: لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة، فقال أبو بكر لقنفذ : عد إليه فقل له:

خليفة رسول الله (صلى الله عليه و اله) يدعوك لتبايع، فجاءه قنفذ، فأدّى ما أمر به، فرفع علىّ (عليه السلام) صوته و قال: «سبحان الله! لقد إدعى ما ليس له» فرجع قنفذ فأبلغ الرسالة، فبكى أبو بكر طويلاً، فقال عمر: قم إلى الرجل، فقام أبو بكر و عمر و عثمان و خالد بن الوليد و المغيرة بن شعبة و أبو عبيدة بن الجراح و سالم مولى أبي حذيفة.

و ظنّت فاطمة (عليها السلام) أنّه لا يدخل بيتها أحد إلّا بإذنها، فلمّا أتوا باب فاطمة (عليها السلام) و دقّوا الباب و سمعت أصواتهم نادى بأعلى صوتها : «يا أبت يا رسول الله (صلى الله عليه و اله) ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب و ابن أبي قحافة، لا عهد لى بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله (صلى الله عليه و اله) جنازة بأيدينا و قطعتم أمركم بينكم، لم

ص: ١٦٣

تستأمرّونا، و لم تردّوا لنا حقاً».

فلما سمع القوم صوتها و بكاءها انصرفوا باكين، و كادت قلوبهم تتصدّع و أكبادهم تنفطر و بقى عمر و معه قوم، و دعا عمر بالحطب و نادى بأعلى صوته : و الذى نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيه ا، فقليل له : يا أبا حفص إن فيها فاطمة، فقال: و إن^{٣٠٤}.

فوقفت فاطمة (عليها السلام) خلف الباب و خاطبت القوم : «و يحك يا عمر ما هذه الجراءة على الله و على رسوله؟ تريد أن تقطع نسله من الدنيا و تفنيه و تطغى نور الله؟ و الله متمّ نوره». فركل عمر الباب برجله فاخبتأت فاطمة (عليها السلام) بين الباب و الحائط رعاية للحجاب، فدخل القوم إلى داخل الدار مما سبّب عصرها سلام الله عليها، و كان ذلك سبباً فى إسقاط جنيتها.

و توثبوا على أمير المؤمنين و هو جالس على فراشه، و اجتمعوا عليه حتى أخرجوه ملتبّين بثوبه يجرّونه إلى السقيف ة، فحالت فاطمة (عليها السلام) بينهم و بين بعلها و قالت : «و الله لا أدعكم تجرّون ابن عمّى ظلماً، و ليكم ما أسرع ما خنتم

^{٣٠٣} (١) الإمامة و السياسة لابن قتيبة 29-30.

^{٣٠٤} (١) الإمامة و السياسة لابن قتيبة 29-30.

اللّه و رسوله، فينا أهل البيت، و قد أوصاكم رسول الله (صلى الله عليه و اله) باتباعنا و مودّتنا و التمسك بنا»، فأمر عمر قنّذا بضربها فضربها قنّذا بالسوط فصار بعضدها مثل الدمليج^{٣٠٥}.

فأخرجوا الإمام (عليه السلام) يسحبونه إلى السقيفة حيث مجلس أبي بكر، و هو ينظر يمينا و شمالا و ينادى «و احمزته و لا حمزة لى اليوم، و اجعفره و لا جعفر لى اليوم»!! و قد مروا به على قبر أخيه و ابن عمّه رسول الله (صلى الله عليه و اله) فنادى «يا ابن ام إنّ القوم استضعفوني و كادوا يقتلوننى».

و روى عن عدى بن حاتم أنّه قال: و الله ما رحمت أحدا قطّ رحمتى

ص: ١٦٤

على بن أبى طالب (عليه السلام) حين أتى به ملبّا بثوبه، يقودونه إلى أبى بكر و قالوا له : بايع! قال: «فإن لم أفعل فمه؟» قال له عمر: إذن و الله أضرب عنقك، قال على: «إذن و الله تقتلون عبد الله و أخا رسوله» فقال عمر: أمّا عبد الله فنعم، و أمّا أخو رسول الله فلا، فقال: «أتجحدون أنّ رسول الله (صلى الله عليه و اله) أخى بينى و بينه؟!» و جرى حوار شديد بين الإمام (عليه السلام) و بين الحزب الحاكم.

و عند ذلك وصلت السيّدة فاطمة (عليها السلام) و قد أخذت بيد ولديها الحسن و الحسين (عليهما السلام) و ما بقيت هاشمية إلّا و خرجت معها، يصحن و يولولن فقالت فاطمة (عليها السلام): «خلوا عن ابن عمّى!! خلوا عن بعلى!! و الله لأكشفن رأسى و لأضعن قميص أبى على رأسى و لأدعون عليكم، فما ناقة صالح بأكرم على الله منى، و لا فصيلها بأكرم على الله من ولدى»^{٣٠٦}.

و جاء فى رواية العياشى أنّها قالت: يا أبا بكر، أتريد أن ترملى عن زوجى و تبيّم أولادى؟ و الله لئن لم تكفّ عنه لأنشرنّ شعرى و لأشقنّ جيبى و لآتينّ قبر أبى و لأصرخنّ إلى ربّى « فأخذت بيد الحسن و الحسين تريد قبر أبيها، عند ذلك تصايح الناس من هنا و هناك بأبى بكر: ما تريد إلى هذا؟ أتريد أن تنزل العذاب على هذه الامة؟

و راحت الزهراء و هى تستقبل المثنوى الطاهر لرسول الله (صلى الله عليه و اله) تستنجد بهذا الغائب الحاضر: «يا أبت يا رسول الله! (صلى الله عليه و اله) ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب و ابن أبى قحافة؟ فما تركت كلمتها إلّا قلوبا صدعها الحزن و عيوننا جرت دمعا»^{٣٠٧}.

ص: ١٦٥

٩- المواجهة مع الزهراء (عليها السلام):

^{٣٠٥} (٢) مرآة العقول: 320 / 5.
^{٣٠٦} (١) الاحتجاج للطبرسي: 222 / 1.
^{٣٠٧} (٢) الغدير: 104 / 3. راجع الإمامة و السياسة: 13 / 1، و تأريخ الطبري: 198 / 3، و العقد الفريد: 257 / 2، و تأريخ أبى الفداء: 165 / 1، و تأريخ ابن شحنة في حوادث سنة 11، و شرح ابن أبى الحديد: 19 / 2.

ما كانت السيِّدة فاطمة الزهراء تنتظر أن ترى في حياتها يوما كذلك اليوم و مأساة كنتلك المأساء و إن كان أبوها (صلى الله عليه و اله) قد أخبرها بذلك، و لكنّ السماع شىء و الرؤية شىء آخر، و تأثير المصيبة يختلف سماعا و رؤية، إن كانت (عليها السلام) سمعت من أبيها أنّ الامور تنقلب عليها و أنّ الأحقاد سوف تظهر بعد وفاته (صلى الله عليه و اله) فإنّها قد شاهدت تلك الأحداث، فقد هجم القوم على عرينها ليخرجوا زوجها من ذلك البيت الذى ما كان رسول الله (صلى الله عليه و اله) يدخله إلّا بعد الاستئذان من فاطمة (عليها السلام).

كانت الزهراء تتذكر كيف أنّ زينب بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله) تجهّزت للحوق بأبيها، و خرجت من مكة على بعير لها و هى فى الهودج، فخرج فى طلبها هبار بن الأسود فروّعها بالرمح - و هى فى الهودج - و كانت حاملا، فلما رجعت طرحت ما فى بطنها، فلذلك أباح رسول الله (صلى الله عليه و اله) يوم فتح مكة دم هبار بن الأسود.

ترى ماذا سيقول رسول الله (صلى الله عليه و اله) حين يرى القوم لا يرعون حرمة و لا كرامة لدار حبيبته الزهراء؟ بل و لا هيبه و لا احتراماً لبضعته حين يتجرّأ القوم فيضربونها و يروّعونها فيكون ذلك علّة لسقوط جنينها و مرضها ثم وفاتها؟.

بالرغم من أنّ المواجهة التى حصلت فى دار الزهراء (عليها السلام) كانت لفترة قصيرة و وقعت فى مكان محدود غير أنّ صداها بقي لأجيال و أجيال إلى يومنا هذا تشعر المرء بمرارة التعدّى و الظلم الذى لحق بآل رسول الله (صلى الله عليه و اله) و لمّا تنقضى أيام معدودات على غياب الرسول الكريم (صلى الله عليه و اله).

من هذه المواجهة نستطيع أن نلاحظ بعض الجوانب التى تدلّ على

ص:١٦٦

شخصية الزهراء:

١- أنّ الزهراء (عليها السلام) هبّت للدفاع عن الوصى، و وقفت خلف الباب بصلابة متناهية، و خاطبت القوم بالحجّة البالغة عسى أن يرتدع الظالمون، و لم تلتزم الصمت لأنّها صاحبة حقّ و المهاجمين غاصبون لحقّ الخلافة الشرعية.

٢- حينما أخرجوا عليا (عليه السلام) راحت الزهراء (عليها السلام) تدافع فى موقع آخر، فلحقت به لعلّها تمنعهم عنه رغم كلّ الآلام التى تعرّضت لها عند هجومهم على الدار، لأنّه أصبح لديها حقّان : حقّ الدفاع عن الوصى و المطالبة بالخلافة، و حقّ الظلامة التى جرت عليها من تعدّى القوم على حرمتها و هى ابنة رسول الله (صلى الله عليه و اله)^{٣٠٨}.

و حين أعيتها الحبل و السبل؛ انصرفت للدعاء عليهم صار خة مستغيثة باللّٰه و رسوله (صلى الله عليه و اله) على رؤوس الأشهاد. إنّ موقف الزهراء (عليها السلام) سجّل اعتراضا صارخا واضحا لكلّ متتبّع للحقّ بأنّ الخلافة انحرفت عن مسارها الصحيح و أصحابها الشرعيين، و قد أدّت دورها العظيم فى محاولة إعادة حقّ الخلافة إلى صاحبها الشرعى الإمام على (عليه السلام) أو على أقلّ تقدير أعادت التجربة الإسلامية إلى مجراها الحقيقى عبر استنهاض الامة و بثّ الوعى فيها و فضح المغتصبين للخلافة، مع التأكيد على عدم أهليّتهم لتحملّ أعباء مسؤوليّة زعامة المسلمين و لم تزل الرسالة حديثه عهد بهم.

^{٣٠٨} (١) فاطمة الزهراء، ابراهيم الأميني 123.

كلامها في حق الإمامة و ظلامه أهل البيت (عليهم السلام):

عن محمود بن لبيد قال: لما قبض رسول الله (صلى الله عليه و اله) كانت فاطمة (عليها السلام)

ص: ١٦٧

تأتى قبور الشهداء و تأتى قبر حمزة و تبكى هناك، فلما كان فى بعض الأيام أتيت قبر حمزة فوجدتها (عليها السلام) تبكى هناك، فأمهلتها حتى سكنت، فأتيته و سلمت عليها و قلت : يا سيّدة النسوان قد و الله قطعت أنيأط قلبى من بكائك، فقالت: «يا أبا عمر! لحق لى البكاء، فلقد أصبت بخير الآباء رسول الله (صلى الله عليه و اله) و اشوقاه إلى رسول الله (صلى الله عليه و اله)»! ثم أنشأت تقول:

«إذا مات ميّت قلّ ذكره و ذكر أبى مذ مات و الله أكثر»

قلت: يا سيّدتى إننى سائلك عن مسألة تتلجلج فى صدرى، قالت:

«سل». قلت: هل نصّ رسول الله (صلى الله عليه و اله) قبل وفاته على على (عليه السلام) بالإمامة؟

قالت: «و اعجابه! أنسيتم يوم غدیر خم؟» قلت: قد كان ذلك و لكن أخبرينى بما أسرّ اليك، قالت : «أشهد الله تعالى لقد سمعته يقول: على خير من أخلفه فيكم، و هو الإمام و الخليفة بعدى و سبطاى و تسعة من صلب الحسين أئمة أبرار، لئن اتبعتموهم وجدتموهم هادين مهديّين، و لئن خالفتموهم ليكون الاختلاف فيكم إلى يوم القيامة».

قلت: يا سيّدتى فما باله قعد عن حقّه؟ قالت: «يا أبا عمر، لقد قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): مثل الإمام مثل الكعبة إذ تؤتى و لا تأتى - أو قالت مثل على - ثم قالت: أما و الله لو تركوا الحقّ على أهله و اتبعوا عتره نبيّه لما اختلف فى الله اثنان، و لورثها سلف عن سلف و خلف عن خلف حتى يقوم قائمنا التاسع من ولد الحسين، و لكن قدّموا من آخره الله و أخرّوا من قدّمه الله، حتى إذا ألحدوا المبعوث و أودعوه الجذث المجدوث اختاروا بشهوتهم، و عملوا بآرائهم، نبا لهم، أو لم يسمعوا الله يقول: **وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ يَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ** بل سمعوا و لكنهم كما قال الله سبحانه: **فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ** هيّات بسطوا فى الدنيا آمالهم، و نسوا آجالهم،

ص: ١٦٨

فتعسا لهم و أضلّ أعمالهم، أعوذ بك يا ربّ من الحور بعد الكور»^{٣٠٩}.

و قالت (عليها السلام) فى جواب عائشة بنت طلحة:

^{٣٠٩} (1) عوالم المعارف: 444 / 11.

«تسأليني عن هنة حلق بها الطائر، و حفى بها السائر، رفعت إلى السماء أثرا، ورزئت في الأرض خبرا؟ إن قحيف تيم، و احيول عدى جاريا أبا الحسن في السباق، حتى إذا تفرّيا في الخناق فأسرّا له الشنآن، و طوياه الإعلان، فلما خبا نور الدين و قبض النبيّ الأمين نطقا بفورهما، نفثا بسورهما، و أدالا فدكا، فيالهاكم من ملك ملك، إنّها عطية الربّ الأعلى للنجىّ الأوفى، و لقد نحلينها للصبيّة السواغب من نجله و نسلى، و إنّها لبعلم الله و شهادة أمينه، فإن انتزعا منى البلغة و منعانى اللمظة فأحتسبها يوم الحشر، و ليجدن آكلها ساعرة حميم فى لظى جحيم»^{٣١٠}.

١٠- السيّدة فاطمة (عليها السّلام) فى أيامها الأخيرة

لم تبق الزهراء (عليها السّلام) بعد أبيها سوى شهور معدودة قضتها بالبكاء و النحيب و الأنين حتى عدّت من البكّائين، و لم تر ضاحكة قط^{٣١١}.

و كان لبكائها أسباب و دوافع كثيرة، أهمّها انحراف المسلمين عن الطريق المستقيم و إنزلاقهم فى مهاو تؤدى إلى الاختلاف و الفرقة و انهيار الأمّة الاسلاميّة بالتدرّج.

و الزهراء (عليها السّلام) التى عاشت انتشار الدعوة الإسلامية أيام أبيها (صلّى الله عليه و اله) وضحت من أجلها بكل نفيس كانت تتوقّع انتصار الإسلام و تشييد صرح

ص: ١٦٩

العدل فى ربوع الدنيا كلّها، و لكن غصب الخلافة و الأحداث التى تلتها هدم صرح آمالها و أدخل الحزن على قلبها و روحها الطاهرة، فقد تحمّلت همّا ثقيلا فوق همّها و حزنها على أبيها النبيّ الأكرم (صلّى الله عليه و اله).

و ذات يوم دخلت امّ سلمة على فاطمة (عليها السّلام) فقالت لها: كيف أصبحت عن ليلتك يا بنت رسول الله (صلّى الله عليه و اله)؟ قالت (عليها السّلام): «أصبحت بين كمد و كرب، فقد النبىّ (صلّى الله عليه و اله) و ظلم الوصىّ (عليه السّلام)، هتك و الله حجاب من أصبحت إمامته مقبضة على غير ما شرع الله فى التنزيل أو سنّها النبىّ (صلّى الله عليه و اله) فى التأويل، و لكنّها أحقاد بدرية و ترات احديّة»^{٣١٢}.

و عن علىّ (عليه السّلام) قال: «غسلت النبىّ (صلّى الله عليه و اله) فى قميصه، فكانت فاطمة تقول:

أرنى القميص، فإذا شمّته غشى عليها، فلما رأيت ذلك غيّبته»^{٣١٣}.

و روى أنّه لما قبض النبيّ (صلّى الله عليه و اله) امتنع بلال من الأذان قال: لا أؤدّن لأحد بعد رسول الله (صلّى الله عليه و اله)، و إنّ فاطمة (عليها السّلام) قالت ذات يوم: «إنّى أشتهى أن أسمع صوت مؤذن أبى (صلّى الله عليه و اله) بلال» فبلغ ذلك بلالا فأخذ فى الأذان، فلما قال : الله أكبر الله أكبر، ذكرت أباه و أيامه فلم تتمالك من البكاء، فلما بلغ إلى قوله :

^{٣١٠} (2) رباحين الشريعة: 41/2، و أمالي الطوسي: 204 مجلس 7 حديث 350.

^{٣١١} (3) طبقات ابن سعد ج 2/ القسم 2: 84 حلية الأولياء: 43/2.

^{٣١٢} (1) بحار الأنوار: 156/43.

^{٣١٣} (2) المصدر: 157.

أشهد أنّ محمداً رسول الله (صلى الله عليه و اله) شهقت فاطمة (عليها السلام) و سقطت لوجهها و غشى عليها، فقال الناس لبلال: امسك يا بلال، فقد فارقت ابنة رسول الله (صلى الله عليه و اله) الدنيا، و ظنّوا أنّها قد ماتت، فقطع أذانه و لم يتمه، فأفاقت فاطمة (عليها السلام) و سألته أن يتم الأذان فلم يفعل، و قال لها: يا سيّدة النسوان، إنّي أخشى عليك ممّا

ص: ١٧٠

تنزليه بنفسك إذا سمعت صوتي بالأذان، فأعفته عن ذلك^{٣١٤}.

و أخذت فاطمة (عليها السلام) بالبكاء و العويل ليلها و نهارها، و لم ترقأ لها دمعاً حتى جزع لذلك جيرانها، فاجتمع شيوخ أهل المدينة و أقبلوا إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) و قالوا: يا أبا الحسن! إنّ فاطمة تبكي الليل و النهار فلا أحد ممّا يتهنأ بالنوم في الليل على فراشنا و لا بالنهار لنا قرار على أشغالنا و طلب معاشنا، و إنّنا نخبرك أن تسألها إمّا أن تبكي ليلاً أو نهاراً.

فأقبل أمير المؤمنين (عليه السلام) حتّى دخل على فاطمة (عليها السلام) فقال لها: «يا بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله) إنّ شيوخ المدينة يسألونني أن أسألك إمّا أن تبكي أبداً ليلاً أو نهاراً»، فقالت: «يا أبا الحسن، ما أقلّ مكثي بينهم، و ما أقرب مغيبى من بين أظهرهم»، فاضطرّ أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى بناء بيت خلف البقيع خارج المدينة و سمّاه «بيت الأحرار» و كانت إذا أصبحت قدّمت الحسن و الحسين (عليهما السلام) أمامها و خرجت إليه و هى تمرّ على البقيع باكياً، فإذا جاء الليل أقبل أمير المؤمنين (عليه السلام) إليها و رافقها إلى منزلها^{٣١٥}.

و عن أنس، قال: لمّا فرغنا من دفن النبيّ (صلى الله عليه و اله) أتيت إلى فاطمة (عليها السلام) فقالت: «كيف طاوعتكم أنفسكم على أن تهيلوا التراب على وجه رسول الله (صلى الله عليه و اله)؟» ثم بكّت^{٣١٦}.

و قال الصادق (عليه السلام): «و حزنّت فاطمة (عليها السلام) حزناً شديداً أثر على صحتها، و المرّة الوحيدة التى ابتسمت فيها بعد وفاة أبيها (صلى الله عليه و اله) عندما نظرت إلى أسماء بنت عميس

ص: ١٧١

و هى على فراش الموت و بعد أن لبست ملابس الموت، فابتسمت و نظرت إلى نعشها الذى عمل لها قبل وفاتها و قالت: سترتموني ستركم الله»^{٣١٧}.

ص: ١٧٣

الفصل الثّانى مرض الزهراء (عليها السلام) و استشهادها

١- فاطمة (عليها السلام) على فراش المرض:

^{٣١٤} (1) بحار الأنوار: 43 / 157.

^{٣١٥} (2) بحار الأنوار: 43 / 177.

^{٣١٦} (3) اسد الغاية، لابن الاثير: 5 / 524، و طبقات ابن سعد: ج 2 / القسم 2: 83.

^{٣١٧} (1) أهل البيت لتوفيق أبو علم: 165.

إنّشّر خبر مرض السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) في المدينة، و سمع الناس به، و لم تكن تشكو السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) من داء عضال غير ما حدث لها بين الحائط و الباب من عصرها و كسر ضلعها و سقوط جنينها و لطمها على خدها.

كلّ هذه الامور ساهمت في انحراف صحتها و قعودها عن ممارسة أعمالها، و كان زوجها العطوف هو الذي يتولّى ترميضها، و تعينه على ذلك أسماء بنت عميس^{٣١٨}، جاءت نسوة من أهل المدينة لعيادتها، و خطبت فيهنّ تلك الخطبة - التي ستمرّ عليك - و أعادت النسوة كلامها على رجالهنّ، فجاء الرجال يعتذرون، فما قبلت اعتذارهم فقالت (عليها السّلام): «إليكم عنّي لا عذر بعد تعذير و لا أمر بعد تقصير».

لقد انتشر خبر استيلاء السيّدة فاطمة (عليها السّلام) من السلطة و نقيمتها على الذين آزرُوا الحزب الحاكم بسكوتهم و صمتهم، و تناسوا كلّ النصوص التي نزلت في آل الرسول، و أعرضوا عن كلّ حديث سمعوه من شفّتي الرسول (صلّى الله عليه و اله) في

ص: ١٧٤

حقّ الزهراء (عليها السّلام) و زوجها و ولديها، و أخيرا تولّد شيء من الوعي عند الناس، و عرفوا أنّهم مخطئون في دعم السلطة الحاكمة التي لم تعترف بشرعية الزعامة لآل رسول الله (صلّى الله عليه و اله)، و لا تغير للحقّ اهتماما و لا للمنطق موقعا سوى القوّة و حدّ السيف.

٢- عيادة الرّياء للسيّدة فاطمة (عليها السّلام):

لا نعلم بالضبط السبب الحقيقي و الدافع الأصلي الذي دعا بنساء المهاجرين و الأنصار لعيادة السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام)، فهل كان ذلك بإيعاز من رجالهنّ؟ و ما الذي دعا أولئك الرجال لإرسال نساءهم إلى دار السيّدة فاطمة (عليها السّلام)؟ و هل حصل الوعي عند النساء و شعرن بالتقصير بل الخذلان لبنت رسول الله (صلّى الله عليه و اله)، فانتشر هذا الشعور بين النساء فحضرن للعيادة و المجاملة أو إرضاء لضمائرهن المتألّمة ممّا حدث و جرى على سيّدة النساء؟

أو كانت هناك أسباب سياسية فرضت علىهنّ ذلك، فحضرن لتلطيف الجوّ و تخفيف التوتر للعلاقات بين بنت رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و بين السلطة الحاكمة في ذلك اليوم؟ خاصّة و إنّ الموقف الاعتزالي الذي اختارته السيّدة فاطمة (عليها السّلام) لنفسها و انسحابها عن ذلك المجتمع لم يكن خاليا عن التأتّير، بل كان عاملا مساعدا لانتباه الناس، و بالأخص حين حمل الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) السيّدة فاطمة (عليها السّلام) يطوف بها على بيوت الأنصار تستنجد بهم و تستنهضهم فلم تجد منهم الإسعاف بل وجدت منهم التخاذل^{٣١٩}.

ص: ١٧٥

^{٣١٨} (١) بحار الأنوار: 185 / 43.
^{٣١٩} (١) الإمامة و السياسة لابن قتيبة: 29.

و على كلّ تقدير فلا يعلم أيضاً عدد النساء اللّاتى حضرن عند الزهراء (عليها السّلام) و هى طريحة الفراش، و لكن يبدو أنّ العدد لم يكن قليلا بل كان مما يعبأ به.

٣- خطبتها الثانية:

قال سويد بن غفلة : لمّا مرضت سيّدتنا فاطمة (عليها السّلام) المرضة التى توفيت فيها؛ اجتمعت إليها نساء المهاجرين و الأنصار ليعدها، فقلن لها: يا بنت رسول الله كيف أصبحت من علّتك؟ فحمدت الله و صلّت على أبيها (صلى الله عليه و اله) ثم قالت:

«أصبحت و الله عائفة^{٣٢٠} لديناكم، قالية^{٣٢١} لرجالكم، لفظتهم^{٣٢٢} بعد أن عجمتهم^{٣٢٣} و شنأتهم^{٣٢٤} بعد أن سبرتهم^{٣٢٥}، فقبحا^{٣٢٦} لفلول الحد^{٣٢٧} [و اللّعب بعد الجد^{٣٢٨}، و قرع الصّفاء^{٣٢٩}]،^{٣٣٠} و خور

ص: ١٧٦

القناة^{٣٣١}، و خطل الرأى^{٣٣٢} [و زلل الأهواء^{٣٣٣}].

و بس ما قدّمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم و فى العذاب هم خالدون.

لا جرم^{٣٣٤} [و الله^{٣٣٥}] لقد قدّتهم ربقته^{٣٣٦} [و حمّلتهم أوقتها^{٣٣٧} و شنت عليهم غارتها^{٣٣٨}، فجدعا^{٣٣٩} و عقرا^{٣٤٠} و سحقا^{٣٤١} للقوم الظالمين.

-
- ٣٢٠ (1) عائفة: أي كارهة.
 ٣٢١ (2) القالية: المبغضة.
 ٣٢٢ (3) لفظت الشيء من فمي: أي رميته و طرحته.
 ٣٢٣ (4) عجمتهم: جرّبتهم.
 ٣٢٤ (5) شنأتهم: أبغضتهم.
 ٣٢٥ (6) سبرتهم: اختبرتهم، فعلى ما فى أكثر الروايات المعنى طرحتهم و أبغضتهم بعد امتحانهم و مشاهدة سيرتهم و أطوارهم
 ٣٢٦ (7) قبحا- بالضّم- مصدر حذف فعله، إمّا من قولهم: قبحه الله قبحاً، أو من قبح بالضّم قباحة، فحرف الجرّ على الأوّل داخل على المفعول، و على الثّاني على الفاعل، و الفلّول بالضّم: جمع فلّ بالفتح، و هو الثّلمة و الكسر فى حدّ السيف، و حكى الخليل فى العين أنّه يكون مصدراً، و لعلّه أنسب بالمقام.
 ٣٢٧ (8) و فى الأمالي: «فقبحا لأفون الرأى». قال الجزريّ: فى حديث عليّ (عليه السّلام): إياك و مشاورة النساء فإنّ رأيهنّ إلى أفنّ، الأفنّ: النقص، و رجل أفنّ و مأفون أي ناقص العقل النّهاية: 57/ 51].
 ٣٢٨ (9) اللّعب بعد الجدّ: أي أخذتم دينكم باللّعب و الباطل بعد أن كنتم مجدين فيه آخذين بالحجّة
 ٣٢٩ (10) و قرع الصّفاء، الصّفاء الحجر الأملس أي جعلتم أنفسكم مقرّعا لخصامكم حتّى قرعوا صفاتكم أيضا
 ٣٣٠ (11) من الاحتجاج.
 ٣٣١ (1) الخور- بالفتح و بالتحريك: الضعف«و فى الاحتجاج: صدع: أي شقّ» و القناة: الرّمح.
 ٣٣٢ (2) و الخطل- بالتحريك: المنطق الفاسد المضطرب، و خطل الرأى فساده و اضطرابه. و فى الأمالي:
 «القول» و فى الاحتجاج: «الأراء».
 ٣٣٣ (3) من الاحتجاج.
 ٣٣٤ (4) لا جرم: كلمة تورد لتحقيق الشيء. يعنى: حقّا.
 ٣٣٥ (5) من الأمالي.
 ٣٣٦ (6) ربقته: الرّبة فى الأصل: عروة فى حبل تجعل فى عنق البهيمة أو يدها تمسكها، و يقال للحبل الذي تكون فيه الرّبة، ربق، و تجمع على ربق و رباق و أرباق، و الضمير فى ربقته راجع إلى الخلافة المدلول عليها بالمقام، أو إلى فدك، أو حقوق أهل البيت (عليهم السّلام) أي جعلت إثمها لازمة لرقابهم كالفلاند.
 ٣٣٧ (7) من الاحتجاج و حمّلتهم أوقتها: قال الجوهرى: الأوق: النّقل، يقال: ألقي عليه أوقه، و قد أوقته تأويقاً أي حمّلتها المشقّة و المكروه
 ٣٣٨ (8) قولها: و شنت عليهم غارها، الشّ: رشّ الماء رشّاً متفرّقا، و السنّ - بالمهملة: الصبّ المتّصل، و منه قولهم: سنّت عليهم الغارة إذا فرّقت عليهم من كلّ وجه.
 ٣٣٩ (9) الدجد: قطع الأنف أو الأذن أو الشّفة، و هو بالأنف أخصّ، و يكون بمعنى الحبس

ويجهم^{٣٤٢} أنى زحزحوها^{٣٤٣} عن رواسى^{٣٤٤} الرّسالة، وقواعد^{٣٤٥} النبوة والدلالة و مهبط الوحى الأمين، والطّبين^{٣٤٦} بأمر الدّنيا والدّين، ألا ذلك

ص: ١٧٧

هو الخسران المبين، و ما نعموا^{٣٤٧} من أبى الحسن؟! تقموا و الله من نكير^{٣٤٨} سيفه، [و قلّة مبالاة به يحتفه] و شدّة وطأته^{٣٤٩} و و نكال^{٣٥٠} وقعته^{٣٥١} و تنمره^{٣٥٢} فى ذات الله عزّ و جلّ.

و الله لو تكافّوا^{٣٥٣} عن زمان^{٣٥٤} نبذه^{٣٥٥} رسول الله (صلّى الله عليه و اله) لأعتلقه^{٣٥٦} و لساربههم سيرا سجحا^{٣٥٧}، لا يكلم^{٣٥٩} خشاشه^{٣٦٠} [و لا يكلّ سائرته] و لا يتتبع^{٣٦١} راكبه، و لأوردهم منهلا نميرا^{٣٦٢} فضفاضا^{٣٦٣} تطفح ضفّته^{٣٦٤} [و لا يترنّق

ص: ١٧٨

جانباه]^{٣٦٥} و لا صدرهم بطانا^{٣٦٦} [و نصح لهم سرّاً و إعلاناً] قد تحيّر بهم الرّى^{٣٦٧} غير متحلّ منه بطائل^{٣٦٨}. [و لا يحظى من الدنيا بنائل]^{٣٦٩} إلّا بغمر^{٣٧٠} الماء وردعه^{٣٧١} شرر الساغب^{٣٧٢} [و لبان لهم الزّاهد من الرّاغب و الصّادق من الكاذب]^{٣٧٣} و لفتحت عليهم بركات من السماء و الأرض، و سيأخذهم الله بما كانوا يكسبون^{٣٧٤}.

-
- ٣٤٠ (10) و العقر بالفتح: الجرح، و يقال في الدّعاء على الإنسان : عقرا له و حلّقا. أي عقر الله جسده و أصابه بوجع في حلّقه، واصل العقر : ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف، ثمّ اتّسع فيه فاستعمل في القتل و الهلاك
- ٣٤١ (11) و في الاحتجاج: بعدا.
- ٣٤٢ (12) و بـ: كلمة تستعمل في الترحّم و التوجّع و التعجّب
- ٣٤٣ (13) الزّحزحة: التّحذية و التّبعيد. و في الاحتجاج: زعزعوها. و الزّزععة: التحريك.
- ٣٤٤ (14) الرواسي من الجبال: الثّوابت الرّواسخ
- ٣٤٥ (15) قواعد البيت: أساسه.
- ٣٤٦ (16) الطّبين- هو بالطاء المهملة و الباء الموحّدة: الفطن الحاذق.
- ٣٤٧ (1) يقال: نعمت على الرّجل: أي عتبت عليه و كرهت شيئا منه.
- ٣٤٨ (2) و النكير: إنكار سيفه فإنّه (عليه السلام) كان لا يسلّ سيفه إلّا لتغيير المنكرات
- ٣٤٩ (3) الوطأة: الأخذة الشديدة و الضغطة.
- ٣٥٠ (4) النكال: العقوبة التي تنكل الناس
- ٣٥١ (5) الوقعة: صدمة الحرب.
- ٣٥٢ (6) تنمر فلان: أي تغيّر و تنكّر و أوعد، لأنّ النمر لا تلقاه أبدا إلّا منتكّرا غضبان
- ٣٥٣ (7) التكاف: تفاعل من الكفّ: و هو الدّفع و الصّرف
- ٣٥٤ (8) في الأمالي: زمام. و الزّمام ككتاب الخيط الذي يشدّ في البرقو الخشاش ثمّ يشدّ في طرفه المقود، و قد يسمّى المقود زماما
- ٣٥٥ (9) نبذه: أي طرحه.
- ٣٥٦ (10) اعتلقه: أحبه.
- ٣٥٧ (11) السّجج- بضمّتين:- اللّين السّهل.
- ٣٥٨ (12) و في الاحتجاج بدل « و الله لو تكافّوا - إلى قولها- لا اعتلقه» و تالّله لو مالوا عن المحجّة اللائحة، و زالوا عن قبول الحجّة الواضحة لردّهم، و حملهم عليها.
- ٣٥٩ (13) الكلم: الجرح.
- ٣٦٠ (14) الخشاش- بكسر الخاء المعجمة: ما يجعل في أنف البعير من خشب و يشدّ به الزّمام ليكون أسرع لانقياده
- ٣٦١ (15) و تعتعت الرّجل: أي أفلّقتّه و أزعتّه.
- ٣٦٢ (16) المنهل: المورد، و هو عين ماء ترده الإبل في المراعي، ماء قاله الجوهريّ، و قال : ماء نمير: أي ناجع، عذبا كان أو غيره، و قال الصّدوق نقلا عن الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري: النمير: الماء النامي في الجسد، و ذكر في الأمالي بدل كلمة نمير! رويّا، و الروي: سحابة عظيمة القطر، شديدة الوقع
- ٣٦٣ (17) الفضفاض: الواسع، يقال: ثوب فضفاض، و عيش فضفاض، و درع فضفاضة
- ٣٦٤ (18) ضفّتا النهر- بالكسر و قيل و بالفتح أيضا: جانباه، و تطفح: أي تمتلئ حتّى تفيض.
- ٣٦٥ (1) ترنّق: كدر، و صار الماء رونقة: غلب الطين على الماء و الترنوق: الطين الذي في الأنهار و المسيل، و المراد أنّه لا ينقص الماء حتّى يظهر الطين و الحمأ من جانبي النهر و يتكدّر الماء بذلك

ألا هلمّ فاسمع^{٣٧٥}، و ما عشت أراك الدهر العجب، و إن تعجب فقد أعجبتك الحادث [ليت شعري]^{٣٧٦} إلى أيّ سناد^{٣٧٧} استندوا [و على أيّ عماد اعتمدوا] و بأيّة عروة تمسّكوا، [و على أيّة ذريّة أقدموا و احتنكوا]^{٣٧٨} [لبس المولى و لبس العشير، و بس للظالمين بدلا]^{٣٧٩}.

استبدلوا الذنابي^{٣٨٠} و الله بالقوادم و العجز بالكاهل، فرغما لمعاطس قوم يحسبون أنّهم يحسنون صنعا، ألا إنّهم هم المفسدون و لكن لا يشعرون.

[ويحهم] أفمن يهدى إلى الحقّ أحقّ أن يتبع أمّن لا يهدى^{٣٨١} إلّا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون^{٣٨٢}.

أما لعمري لقد لقحت فنظرة ريثما تنتج^{٣٨٣} ثمّ احتلبوا طلاع القعب^{٣٨٤} دما عبيطا^{٣٨٥}، و دعاها مقمرا^{٣٨٦}، هنالك يخسر المبطلون، و يعرف التالون غب^{٣٨٧} ماسن^{٣٨٨} الأوّلون.

^{٣٦٦} (2) بطن كعلم: عظم بطنه من الشّبع، و منه الحديث: «تغدو خماسا و تروح بطانا»، و المراد عظم بطنهم من الشّرب
^{٣٦٧} (3) تحير الماء: أي اجتمع و دار كالمتحير، يرجع أقصاه إلى أدناه، و يقال: تحيرت الأرض بالماء إذا امتلأت، و لعلّ الباء بمعنى «في» أي تحير فيهم الرّي، أو للتعدية: أي صاروا حيارى لكثرة الرّي، و الرّي- بالكسر و الفتح- ضدّ العطش. و في رواية الشيخ بدل قولها «قد تحير» قد خثر بالخاء المعجمة و النّاء المثناة، أي أثقلهم من قولك: أصبح فلان خائر النفس، أي ثقل النفس غير طيب و لا نشيط، و حلي منه بخير كرضي: أي أصاب خيرا.

^{٣٦٨} (4) غير متحلّ منه بطائل: قال الجوهريّ: قولهم: لم يحلّ منها بطائل أي لم يستفد منها كثير فائدة
و التحلّي: التزيّن، و الطائل: الغنى و المزيّة و السّعة و الفضل
^{٣٦٩} (5) النائل: العطية.

^{٣٧٠} (6) التغمّر: هو الشّرب دون الرّي، مأخوذ من الغمر - بضمّ الغين المعجمة و فتح الميم -: و هو القدر الصغير، و في الاحتجاج: غير ريّ الناهل. و النّاهل: العطشان.
^{٣٧١} (7) الرّدع: الكفّ و الدّفع، و الرّدعة الدّفعة.

^{٣٧٢} (8) و في الأمالي: سورة سغب و سورة الشّيء - بالفتح-: حدّته و شدّته، و السّغب: الجوع. و في الاحتجاج بدل قولها «و رده شرر السّاغب» و شعبة الكافل» قال الفيروز آباديّ: الكافل: العائل، و الذي لا يأكل أو يصل الصّيام، و الضامن، انتهى. أقول: يمكن أن يكون هنا بكلّ من المعنيين الأوّلين، و يحتمل أن يكون بمعنى كافل اليتيم، فإنّه لا يحلّ له الأكل إلّا بقدر البلغة، و حاصل المعنى أنّه لو منع كلّ منهم الآخرين عن الرّمام الذي نبذه رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و هو تولّى أمر الامّة، لتعلّق به أمير المؤمنين (عليه السلام) أو أخذ محبّا له و يسلك بهم طريق الحقّ من غير أن يترك شيئا من أوامر الله أو يتعدّى حدّا من حدوده، و من غير أن يشقّ على الامّة، و يكلفهم فوق طاقتهم و وسعهم، و لفازوا بالعيش الرّغيد في الدنيا و الآخرة، و لم يكن ينتفع من دنياهم و ما يتولّى من أمرهم إلّا بقدر البلغة و سدّ الخلّة.
^{٣٧٣} (9) من الاحتجاج.

^{٣٧٤} (10) و في الاحتجاج أضاف قوله تعالى: «و الذين ظلموا من هؤلاء سيّصيبهم سيّئات ما كسبوا» و ما هم بمُعْجِزِينَ الزمر (39): 51.

^{٣٧٥} (1) و في رواية ابن أبي الحديد: ألا هلمّ فاسمعن، و ما عشتنّ أراكنّ الدهر عجبا. قولها: و ما عشتنّ: أي أراكنّ الدهر شيئا عجيبا لا يذهب عجبه و غرابته مدة حياتكّن، أو يتجدّد لكنّ كلّ يوم أمر عجيب متفرّع على هذا الحادث الغريب.

^{٣٧٦} (2) ليت شعري: أي ليتني علمت.

^{٣٧٧} (3) السناد: ما يستند إليه.

^{٣٧٨} (4) قال الجوهريّ: احتنك الجراد الأرض: أي أكل ما عليها و أتى على نبتها و قوله تعالى حاكيا عن إبليس

«لَأُحْثِثَنَّ ذُرِّيَّتَهُ» [E] [الاسراء (17): 64] قال الفراء: يريد: لأستولينّ عليهم، و المراد بالذّريّة ذريّة الرّسول (صلّى الله عليه و اله).

^{٣٧٩} (5) المولى: الناصر و المحبّ، و العشير: الصاحب المخالط المعاشر، و بس للظالمين بدلا: أي بس البذل من اختاروه على إمام العدل و هو أمير المؤمنين (عليه السلام).

^{٣٨٠} (6) الذّنابي بالضمّ: ذنب الطائر و منبت الذّناب، و الذّنابي في الطائر أربع ذنابي بعد الخوافي و هي مادون الرّيشات العشر من مقدّم الجناح التي تسمّى قوادم، الذّنابي من الناس السّفلة و الأتباع و العجز كالعضد:

مؤخر الشّيء، يؤنث و يذكر، و هو للرّجل و المرأة جميعا، و الكاهل: الحارك، و هو ما بين الكتفين، و كاهل القوم: عمدتهم في المهمّات، و عدتهم للشّدائد و الملمات، و رغما، مصدر رغم أنفأ أي لصق بالرّغام بالفتح، و هو التّراب، و رغم الأنف يستعمل في الدّل، و العجز عن الانتصار، و الانقياد على كره، و المعاطس جمع معطس بالكسر و الفتح- و هو الأنف.

^{٣٨١} (7) قرئ في الآية «يهدي» بفتح الهاء و كسر ها و تسديد الدّال فاصله يهتدي، و بتخفيف الدال و سكون للهاء.

^{٣٨٢} (8) يونس (10): 35.

ثم طيبوا [بعد ذلك] عن أنفسكم^{٣٨٩} أنفساً^{٣٩٠}، و طأمنوا للفتنة جأشاً^{٣٩١}، و ابشروا بسيف صارم^{٣٩٢} [و سطوة معتد غاشم]^{٣٩٣} و هرج شامل^{٣٩٤}، و استبداد^{٣٩٥} من الظالمين، يدع فينكم زهيدا^{٣٩٦}، و زرعكم حصيدا^{٣٩٧}، فيا حسرتي لكم،

ص: ١٨١

و أنى^{٣٩٨} بكم و قد عيّيت^{٣٩٩} عليكم أنلزمكموها و أنتم لها كارهون».

قال سويد بن غفلة : فأعادت النساء قولها (عليها السلام) على رجالهن فجاء إليها قوم من وجوه المهاجرين و الأنصار معتذرين، و قالوا: يا سيّدة النساء لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر من قبل أن نبرم العهد و نحكم العقد؛ لما عدلنا إلى غيره، فقالت: «إليكم عنى! فلا عذر بعد تعذيركم و لا أمر بعد تقصيركم»^{٤٠٠}.

٤- عيادة أبي بكر و عمر بن الخطاب للزهاء (عليها السلام):

كان الصحابة رجالا و نساء يعودون فاطمة (عليها السلام) بين الحين و الحين إلّا عمر و أبا بكر لم يعوداها لأنّها قاطعتهم و رفضتهما و لم تأذن لهما بعيادتها، و لمّا ثقل عليها المرض و قاربته الوفاة لم يجدا بداً من عيادتها لئلا تموت بضعة المصطفى (صلى الله عليه و اله) و هى ساخطة عليهما على رؤوس الأشهاد، فتبقى و صمّة عار تلاحق الخليفة و جهازه الحاكم إلى يوم الدين، و أر ادوا تغطية انحرافهم باسترضاء الزهاء (عليها السلام) و عند ذلك ينتهى كلّ شىء، و تكون مأساة فعلتهم منسوبة بالتدريج.

^{٣٨٣} (1) و في بعض نسخ ابن أبي الحديد : أما لعمر الله، و في بعضها : أما لعمر الهكّن، و العمر - بالفتح و الضمّ - بمعنى العيش الطويل، و لا يستعمل في القسم إلّا العمر - بالفتح، و معنى عمر الله بقاؤه و دوامه، و لقحت كعلمت أي حملت، والفاعل فعالتهم، أو فعالهم، أو الفتنة، أو الأزمنة، و النظرة - بفتح النون و كسر الطاء -

التأخير، و اسم يقوم مقام الانظار، أي انتظروا [أو انظروا] نظرة قليلة، و ريثما تنتج أي قدر ما تنتج، يقال:

نتجت الناقة على ما لم يسمّ فاعله تنتج نتاجا و قد نتجها أهلها نتج و أنتجت الفرس إذا حان نتاجها.

^{٣٨٤} (2) القعب: قدح من خشب يروي الرجل، أو قدح ضخّم، و احتلاب طلاع القعب هو أن يمتلئ من اللبن حتى يطلع عنه و يسيل في الاحتجاج: ملء القعب.

^{٣٨٥} (3) العبيط: الطريّ.

^{٣٨٦} (4) الذعاف، كغراب السّم، و المقر - بكسر القاف - الصبر - و ربّما يسكّن -، و أقر أي صار مرّاً في الأمالي: ذعافاً ممضاً. و في الاحتجاج: ذعافاً مبيداً. و المبيد: المهلك، و أمضه الجرح أوجعه.

^{٣٨٧} (5) غب كلّ شيء: عاقبته.

^{٣٨٨} (6) في الأمالي: ما أسكن، و في الاحتجاج: ما أسس.

^{٣٨٩} (7) في الاحتجاج: عن دنياكم.

^{٣٩٠} (8) في الأمالي: لنتنها. و طاب نفس فلان بكذا: أي رضي به من دون أن يكرهه عليه أحد، و طابت نفسه عن كذا أي رضي ببذله.

^{٣٩١} (9) في الأمالي: ثم اطمئنّوا و في الاحتجاج و اطمئنّوا. و في كتاب ناظر عين الغريبين: طأمنته: سكنته فاطمناً، و الجأش - مهموزاً -: النفس و القلب أي اجعلوا قلوبكم مطمئنة لنزول الفتنة.

^{٣٩٢} (10) السيف الصارم: القاطع.

^{٣٩٣} (11) الغشم: الظلم.

^{٣٩٤} (12) الهرج: الفتنة و الاختلاط. و في الأمالي: هرج دائم شامل. و في رواية ابن أبي الحديد: و قرح شامل، فالمراد بشمول القرح، إمّا للأفراد أو للأعضاء.

^{٣٩٥} (13) الاستبداد بالشىء: التقرّد به.

^{٣٩٦} (14) و الفيء: الغنيمة و الخراج و ما حصل للمسلمين من أموال الكفّار من غير حرب، و الزهيد القليل.

^{٣٩٧} (15) و الحصيد: المحصود، و على رواية: زرعكم، كناية عن أخذ أموالهم بغير حق، و على رواية، جمعكم يحتمل ذلك، و أن يكون كناية عن قتلهم و استئصالهم. و في الأمالي و الاحتجاج جمعكم حصيدا.

^{٣٩٨} (1 و 2) و أتى بكم: أي و أتى تلحق الهداية بكم، و عميت عليكم بالتخفيف: أي خفيت و التبتت، و بالتشديد على صيغة المجهول أي لبست

^{٣٩٩} (1 و 2) و أتى بكم: أي و أتى تلحق الهداية بكم، و عميت عليكم بالتخفيف: أي خفيت و التبتت، و بالتشديد على صيغة المجهول أي لبست

^{٤٠٠} (3) مصادر الخطبة: معاني الأخبار لابن بابويه، و الاحتجاج للطبرسي، و الأمالي للشيخ الطوسي، و دلائل الإمامة للطبري، و بلاغات النساء لأبي الفضل بن أبي طاهر، و كشف الغمّة للأربلي، و شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.

و روى أن عمر قال لأبي بكر : إنطلق بنا إلى فاطمة فإننا قد أغضبناها، فانطلقا فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما، فأتيا عليا فكلّماه فأدخلهما عليها، فلما قعدا عندها حولت وجهها إلى الحائط فسلما عليها، فلم تردّ عليهما

ص: ١٨٢

٤٠١

السّلام، فتكلّم أبو بكر فقال : يا حبيبة رسول الله (صلى الله عليه و اله) و الله إنّ قرابة رسول الله أحبّ إليّ من قرابتي و إنك لأحبّ إليّ من عائشة ابنتي، و لوددت ي و م مات أبوك أنّي متّ و لا أبقى بعده، أفتراني أعرفك و أعرف فضلك و شرفك، و أمتعك حقّك و ميراثك من رسول الله (صلى الله عليه و اله)؟ إلّا أنّي سمعت أباك رسول الله (صلى الله عليه و اله) يقول: «لا نورث، ما تركناه صدقه».

فقالت (عليها السّلام): «أرايتكما إن حدّثتكما حديثا عن رسول الله (صلى الله عليه و اله) تعرفانه و تفعلان به؟» فقالا: نعم، فقالت: «نشدتكما الله، ألم تسمعا رسول الله (صلى الله عليه و اله) يقول:

رضا فاطمة من رضاي، و سخط فاطمة من سخطي، فمن أحبّ فاطمة ابنتي فقد أحبّني و من أرضى فاطمة فقد أرضاني، و من أسخط فاطمة فقد أسخطني؟».

قالا: نعم، و سمعناه من رسول الله (صلى الله عليه و اله).

قالت: «فإنّي اشهد الله و ملائكته أنّكما أسخطتماني و ما أرضيتماني و لئن لقيت النبي (صلى الله عليه و اله) لأشكوّنكما إليه»، فقال أبو بكر: أنا عائد بالله تعالى من سخطه و من سخطك يا فاطمة، ثم انتحب أبو بكر يبكي، حتى كادت نفسه أن تزهق و فاطمة تقول: «و الله لأدعونّ عليكما في كلّ صلاة أصليها، ثم خرج باكيا « فاجتمع الناس إليه فقال لهم: يبيت كلّ رجل معانقا لحيلته مسرورا بأهله، و تركتموني و ما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم، أقيلوني بيعتي^{٤٠٢}.

٥- الساعات الأخيرة قبل الرحيل:

كانت السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) في ذلك اليوم الذي توفيت فيه طريحة الفراش، و قد أخذ منها الهزال كلّ مأخذ، و ما بقي منها سوى الهيكل

ص: ١٨٣

^{٤٠١} گروه مؤلفان، اعلام الهداية- قم، چاپ: دوم، 1425 ه.ق.

^{٤٠٢} (1) الإمامة و السياسة: 31/ 1.

العظمى فقط، لقد رأت أباهما في المنام وهو يقول لها: «هلمى إلى يا بنية فإننى اليك مشتاق» ثم قال لها: «أنت الليلة عندي».

انتبهت من غفوتها واستعدت للرحيل إلى الآخرة، فقد سمعت من أبيها الصادق المصدق الذى قال: «من رآنى فقد رآنى». سمعت منه نبأ ارتحالها فلا مجال للشك والتردد فى صدق الخبر.

فتحت عينها واستعادت نشاطها ولعلها كانت فى صحو الموت وقامت لاتخاذ التدابير اللازمة، واغتنمت تلك السويقات الأخيرة من حياتها، أقبلت الزهراء تزحف أو تمشى متكئة على الجدار نحو الموضع الذى فيه الماء من بيتها، و شرعت تغسل ثياب أطفالها بيديها المرتعشتين، ثم دعت أطفالها و طففت تغسل رؤوسهم، ودخل الإمام على (عليه السلام) البيت وإذا به يرى عزيزته قد غادرت فراش العلة وهى تمارس أعمالها المنزلية.

رق لها قلب الإمام حين نظر إليها وقد عادت إلى أعمالها المتعبة التى كانت تجدها أيام صحتها، فلا عجب إذا سألها عن سرب قيامها بتلك الأعمال بالرغم من انحراف صحتها، أجابته بكل صراحة لأن هذا اليوم هو آخر يوم من أيام حياتى، قمت لأغسل رؤوس أطفالى و ثيابهم لأنهم سيصبحون يتامى بلا أم، سألها الإمام عن مصدر هذا النبأ فأخبرته بالرؤيا، فهى بذلك قد نعت نفسها إلى زوجها بما لا يقلل الشك.

٦- وصية الزهراء (عليها السلام) للإمام على (عليه السلام):

و فى الساعات الأخيرة من حياتها حان لها أن تكشف زوجها بما أضمرته فى صدرها (طيلة هذه المدة) من الوصايا التى يجب تنفيذها.

فقالت (عليها السلام) لعلى (عليه السلام): «يا بن عم إنه قد نعت إلى نفسى وإننى لا أرى ما بى إلّا

ص: ١٨٤

أننى لا حقّة بأبى ساعة بعد ساعة، وأنا اوصيك بأشياء فى قلبى» قال لها على (عليه السلام):

«أوصينى بما أحببت يا بنت رسول الله (صلّى الله عليه و اله)». فجلس عند رأسها، وأخرج من كان فى البيت ثم قالت: «يا بن عم ما عهدتنى كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني»؟

فقال على (عليه السلام): «معاذ الله أنت أعلم بالله، وأبرّ وأتقى وأكرم وأشدّ خوفا من الله من أن أويحك بمخالفتى و قد عزّ على مفارقتك وفقدك إلّا أنّه أمر لا بد منه، والله لقد جددت على مصيب رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و قد عظمت وفاتك وفقدك فإنّا لله وإنا اليه راجعون من مصيبة ما أفجعها وآلمها وأمّضا وأحزنها !! هذه مصيبة لا عزاء منها، و رزية لا خلف لها».

ثم بكيا جميعا ساعة، وأخذ الإمام رأسها و ضمها إلى صدره ثم قال:

«أوصينى بما شئت فإنك تجدينى وفيما أمضى كلّما أمرتنى به، وأختار أمرى على أمرى».

فَقَالَتْ (عَلَيْهَا السَّلَامُ): «جَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي خَيْرَ الْجَزَاءِ، يَا بِنَ عَمَّ أَوْصِيكَ أَوَّلًا:

أَنْ تَتَزَوَّجَ بَعْدِي ... فَإِنَّ الرِّجَالَ لَا يَدَّ لَهُمْ مِنَ النِّسَاءِ» ثُمَّ قَالَتْ (عَلَيْهَا السَّلَامُ): «أَوْصِيكَ أَنْ لَا يَشْهَدَ أَحَدٌ جَنَازَتِي مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ظَلَمُونِي فَإِنَّهُمْ عَدَوِّي وَعَدُوُّ رَسُولِ اللَّهِ، وَلَا تَتْرَكَ أَنْ يَصَلِّيَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَلَا مِنْ أَتْبَاعِهِمْ، وَادْفَنِي فِي اللَّيْلِ إِذَا هَدَّاتِ الْعَيُونَ وَنَامَتِ الْأَبْصَارُ»^{٤٠٣}.

ثُمَّ قَالَتْ (عَلَيْهَا السَّلَامُ): «يَا بِنَ الْعَمَّ إِذَا قُضِيَتْ نَحْبِي فَاغْسَلْنِي وَلَا تَكْشِفْ عَنِّي، فَإِنِّي طَاهِرَةٌ مُطَهَّرَةٌ، وَحَنَظْنِي بِفَاضِلِ حَنُوطِ أَبِي رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، وَصَلِّ عَلَيَّ، وَلَا يَصِلْ مَعَكَ الْأَدْنَى فَالْأَدْنَى مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، وَادْفَنِي لَيْلًا لَا نَهَارًا، وَسِرًّا لَا جَهَارًا، وَعَفِّ مَوْضِعَ قَبْرِي، وَلَا تَشْهَدْ جَنَازَتِي أَحَدًا مِمَّنْ ظَلَمْنِي، يَا بِنَ الْعَمَّ أَنَا أَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تَقْدِرُ عَلَى عَدَمِ التَّزْوِيجِ مِنْ بَعْدِي فَإِنَّ أَنْتَ تَزَوَّجْتَ امْرَأَةً جَعَلَ لَهَا يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَاجْعَلْ لَأَوْلَادِي يَوْمًا وَلَيْلَةً، يَا أَبَا الْحَسَنِ! وَلَا تَصْحَ فِي وَجْهِهِمَا فَيُصْبِحَا يَتِيمَيْنِ غَرِيبَيْنِ مُنْكَسِرَيْنِ، فَإِنَّهُمَا بِالْأَمْسِ فَقَدْ جَدَّاهُمَا وَالْيَوْمَ

ص: ١٨٥

يَفْقِدَانِ امْهَمَّا»^{٤٠٤}.

وَرَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ وَصِيَّةً مَكْتُوبَةً لَهَا (عَلَيْهَا السَّلَامُ) جَاءَ فِيهَا:

«هَذَا مَا أَوْصَتْ بِهِ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَوْصَتْ وَهِيَ تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ، يَا عَلِيُّ أَنَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، زَوَّجَنِي اللَّهُ مِنْكَ لِأَكُونَ لَكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَنْتَ أَوْلَى بِي مِنْ غَيْرِي، حَنَظِي وَغَسَلْنِي وَكَفَّنِي بِاللَّيْلِ، وَصَلِّ عَلَيَّ وَادْفَنِي بِاللَّيْلِ، وَلَا تَعْلَمْ أَحَدًا، وَاسْتَوْدِعْكَ اللَّهُ، وَأَقْرَأْ عَلَيَّ وَلَدِي السَّلَامَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^{٤٠٥}.

٧- أول نعش أحدث في الإسلام:

رَوَى عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عَمِيْسٍ أَنَّ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) قَالَتْ لِأَسْمَاءَ:

إِنِّي قَدْ اسْتَقْبَحْتُ مَا يَصْنَعُ بِالنِّسَاءِ، إِنَّهُ يَطْرَحُ عَلَى الْمَرْأَةِ الثَّوْبَ فَيَصْفُهَا لِمَنْ رَأَى، فَقَالَتْ أَسْمَاءُ : يَا بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ أَنَا أَرِيكَ شَيْئًا رَأَيْتَهُ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَدَعْتَ بِجَرِيدَةٍ رَطْبَةً فَحَسَنْتَهَا، ثُمَّ طَرَحْتَ عَلَيْهَا ثَوْبًا، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ (عَلَيْهَا السَّلَامُ):

«مَا أَحْسَنَ هَذَا وَأَجْمَلَ، لَا تَعْرِفُ بِهِ الْمَرْأَةَ مِنَ الرَّجُلِ»^{٤٠٦}.

وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «أَوَّلُ نَعَشٍ أَحْدَثَ فِي الْإِسْلَامِ نَعَشُ فَاطِمَةَ، إِنَّهَا اشْتَكَتْ شَكَاتَهَا الَّتِي قَبَضَتْ فِيهَا، وَقَالَتْ لِأَسْمَاءَ : إِنِّي نَحَلْتُ فَذَهَبَ لِحْمِي، أَلَا تَجْعَلِينَ لِي شَيْئًا يَسْتَرْنِي؟ فَقَالَتْ أَسْمَاءُ : إِنِّي إِذْ كُنْتُ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ

^{٤٠٣} (1) روضة الواعظين: 151 / 1، وفي رواية: إِذَا هَدَّاتِ الْأَصْوَاتَ وَنَامَتِ الْعَيُونَ

^{٤٠٤} (1) بحار الأنوار: 178 / 43 و 192.

^{٤٠٥} (2) بحار الأنوار: 214 / 43.

^{٤٠٦} (3) كشف الغمة: 503 / 1، و بحار الأنوار: 213 / 43، و تهذيب الأحكام: 469 / 1.

رأيتهم يصنعون شيئا أفلا أصنع لك مثله؟ فإن أعجبك صنعت لك، قالت (عليها السلام): نعم، فدعت بسرير، فأكبته لوجهه، ثم دعت بجرائد - نخل - فشدّته على قوائمه، ثم جلّته ثوبا فقالت أسماء: هكذا رأيتهم

ص: ١٨٦

يصنعون، فقالت (عليها السلام): اصنعى لى مثله، استرني سترك الله من النار».

٨- لحظات عمرها الأخيرة:

انتقلت السيّدّة فاطمة الزهراء (عليها السلام) إلى فراشها المفروش وسط البيت، واضطجعت مستقبلة القبلة.

وقيل: إنّها أرسلت بنتها زينب و أمّ كلثوم إلى بيوت بعض الهاشميات لئلا تشاهدا موت امهما، كلّ ذلك من باب الشفقة و الرأفة و التحفّظ عليهما من صدمة مشاهدة المصيبة.

كان الإمام عليّ و الحسن و الحسين (عليهم السلام) خارج البيت في تلك الساعة و لعلّ خروجهم كان لأسباب قاهرة و ظروف معينة.

و جاء عن أسماء أنّ فاطمة الزهراء (عليها السلام) لما حضرته الوفاة قالت لأسماء: «إنّ جبرئيل أتى النبيّ - لما حضرته الوفاة - بكافور من الجنّة فقسّمه أثلاثا، ثلثا لنفسه، و ثلثا لعلی، و ثلثا لى و كان أربعين درهما فقالت: يا أسماء اتّنى ببقية حنوط والدى من موضع كذا و كذا، وضعيه عند رأسى، فوضعتة ثم قالت لأسماء حين توضّأت وضوءها للصلاة: هاتى طبيى الذى أتطّيب به، و هاتى ثيابى التى اصرى فيها فتوضّأت» ثم تسجّت بثوبها ثم قالت: «انتظرينى هنيئة و ادعيني فإن أجبتك و إلّا فاعلمى أنّى قدمت على أبى فأرسلنى إلى على».

و حين حانت ساعة الاحتضار و انكشف الغطاء نظرت السيّدّة فاطمة (عليها السلام) نظرة حادة ثم قالت: «السلام على جبرئيل، السلام على رسول الله، اللهمّ مع رسولك، اللهمّ فى رضوانك و جوارك و دارك دار السلام، ثم قالت: هذه مواكب أهل السماوات و هذا جبرئيل و هذا رسول الله يقول: يا بنية أقدمى فما أمامك خير لك» و فتحت عينيها ثم قالت: «و عليك السلام يا قابض الأرواح عجل بى و لا تعذبنى» ثم

ص: ١٨٧

قالت: «إليك ربّى لا إلى النار» ثم غمضت عينيها و مدّت يديها و رجليها.

فنادتها أسماء فلم تجبها، فكشفت الثوب عن وجهها فإذا بها قد فارقت الحياة، فوقعت عليها تقبّلها و هى تقول: يا فاطمة إذا قدمت على أيبك رسول الله فاقريه عن أسماء بنت عميس السلام، و دخل الحسن و الحسين فوجدا امهما مسجاء فقالا: يا أسماء ما ينيم امنا فى هذه الساعة؟ قالت: يا ابنى رسول الله ليست امكما نائمة، قد فارقت الدنيا.

فألقي الحسن نفسه عليها يقبّلها مرة و يقول: «يا اماه كلّمنى قبل أن تفارق روحى بدنّى»، و أقبل الحسين يقبّل رجليها و يقول: «أنا ابنك الحسين كلّمنى قبل أن يتصدّع قلبى فأموت».

فقال لهما أسماء: يا ابني رسول الله، إنطلقا إلى أبيكما عليّ فأخبراه بموت أمكما، فخرجا حتى إذا كانا قرب المسجد رفعا أصواتهما بالبكاء فابتدر إليهما جمع من الصحابة و سألوهما عن سبب بكائهما فقالا: «قد ماتت أمنا فاطمة (عليها السلام)». فوقع الإمام عليّ (عليه السلام) على وجهه يقول: «بمن العزاء يا بنت محمد»^{٤٠٧}؟

٩- مراسم التشيع و الدفن:

و ارتفعت أصوات البكاء من بيت عليّ (عليه السلام) فارتجت المدينة بالبكاء من الرجال و النساء، و دهش الناس كيوم قبض فيه رسول الله (صلى الله عليه و اله)، و اجتمعت نساء بنى هاشم في دار فاطمة (عليها السلام) فصرخن و بكين، و أقبل الناس إلى عليّ (عليه السلام) و هو جالس و الحسن و الحسين بين يديه يبكيان، و خرجت أمّ كلثوم و هى تقول : يا أبتاه يا رسول الله! الآن حقا فقدناك فقدنا

ص: ١٨٨

لا لقاء بعده أبدا^{٤٠٨}.

و اجتمع الناس فجلسوا و هم يضحّون، و ينتظرون خروج الجنازة ليصلّوا عليها، و خرج أبو ذر و قال : انصرفوا فإن ابنة رسول الله قد اخر إخراجها فى العشيّة، و أقبل أبو بكر و عمر يعزيان عليا (عليه السلام) و يقولان له : يا أبا الحسن لا تسبقنا بالصلاة على ابنة رسول الله (صلى الله عليه و اله)^{٤٠٩}.

و هكذا تفرّق الناس، و هم يظنون أنّ الجنازة تشيع صباح غد (و روى أنّ وفاتها كانت بعد صلاة العصر أو أوائل الليل).

و لكن الإمام عليّا (عليه السلام) غسلها و كفّنها هو و أسماء فى تلك الليلة، ثم نادى : يا حسن يا حسين يا زينب يا أمّ كلثوم هلمّوا فتزودوا من أمكم فهذا الفراق و اللقاء الجنّة، و بعد قليل نحاهم أمير المؤمنين (عليه السلام) عنها^{٤١٠}.

ثم صلّى عليّ على الجنازة و رفع يديه إلى السماء فنادى «اللهم هذه بنت نبيك فاطمة أخرجتها من الظلمات إلى النور، فأضاءت ميلا فى ميل».

فلما هدأت الأصوات و نامت العيون و مضى شطر من الليل تقدّم أمير المؤمنين و العباس و الفضل بن العباس و رابع يحملون ذلك الجسد النحيف، و شيّعها الحسن و الحسين و عقيل و سلمان و أبو ذر و المقداد و بريدة و عمار^{٤١١}.

و نزل عليّ (عليه السلام) إلى القبر، و استلم بضعة رسول الله (صلى الله عليه و اله) و أضجعها فى لحدها و قال: «يا أرض أستودعك وديعتى، هذه بنت رسول الله، بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله و بالله و على ملّة رسول الله محمد بن عبد الله (صلى الله عليه و اله)، سلمت أيتها الصديقة إلى من هو أولى بك منى، و رضيت لك بما رضى الله تعالى لك»، ثم قرأ منها خلقناكم

^{٤٠٧} (1) بحار الأنوار: 43/ 186.

^{٤٠٨} (1) بحار الأنوار: 43/ 192.

^{٤٠٩} (2) المصدر نفسه: 199.

^{٤١٠} (3) المصدر نفسه: 179.

^{٤١١} (4) المصدر نفسه: 193.

وَفِيهَا نُفِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى، ثم خرج من القبر، و تقدّم الحاضرون و أهالوا التراب على تلك الدرّة النبويّة، و سوّى على (عليه السّلام) قبرها.

١٠- تأييد الإمام عليّ (عليه السّلام) للزهراء (عليها السّلام):

انتهت مراسم الدفن بسرعة خوفاً من انكشاف أمرهم و هجوم القوم عليهم، فلمّا نفّض الإمام يده من تراب القبر هاج به الحزن لفقد بضعة الرسول و زوجته الودود ال تي عاشت معه الصفاء و الطهارة و التضحية و الإيثار، و تحمّلت من أجله الأهوال و الصعاب، فأرسل دموعه على خديّه، و حول وجهه إلى قبر رسول الله (صلّى الله عليه و اله) ثم قال:

«السلام عليك يا رسول الله عني، و السلام عليك عن ابنتك و حبيبتك و قرّة عينك و زائرتك و البائنة في الثرى بيقعتك، و المختار الله لها سرعة اللحاق بك، قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبري، و عفى عن سيده نساء العالمين تجلّدي، إلّا أنّ في التأسى لى بسنتك في فرقتك موضع تعزى، فلقد وسدتك في ملحودة قبرك بعد أن فاضت نفسك بين نحري و صدري، و غمضتك بيدي، و توليت أمرك بنفسى.

بلى، و في كتاب الله لى أنعم القبول، إنّنا لله و إنّنا اليه راجعون، قد استرجعت الوديعة، و أخذت الرهينة، و اختلست الزهراء، فما أقبح الخضراء و الغبراء يا رسول الله!

أمّا حزني فسرمد، و أمّا ليلي فمسهد، لا يبرح الحزن من قلبي أو يختار الله دارك التى أنت فيها مقيم، كمد مقبّح، و هم مهيج، سرعان ما فرق الله بيننا و إلى الله أشكو، و سنتيّك ابنتك بتضاfer امتك على، و على هضمها حقّها فأحفها السؤال، و استخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثه سبيلا، و ستقول و يحكم الله و هو خير ا لحاكمين، و السلام عليكم يا رسول الله سلام مودّع لاسم و لا قال، فإن أنصرف فلا عن ملالة، و إنّ أقم فلا عن سوء ظنّ بما وعد الله الصابرين، و الصبر أيمن و أجمل.

و لو لا غلبة المستولين علينا لجعلت المقام عند قبرك لزاما، و التلبّث عنده عكوفاً،

و لأعولت إعوالم التكلّى على جليل الرزية، فبعين الله تدفن ابنتك سرّاً، و يهتضم حقّها قهراً، و يمنع إرثها جهراً و لم يطل منك العهد، و لم يخلق منك الذكر، فإلى الله - يا رسول الله - المشتكى، و فيك - يا رسول الله - أجمل العزاء، فصلوات الله عليها و عليك و رحمة الله و بركاته»^{٤١٢}.

١١- محاولة نبش القبر:

أصبح الصباح من تلك الليلة فأقبل الناس ليشيّعوا جنازة الزهراء (عليها السلام) فبلغهم الخبر أن عزيزة رسول الله (صلى الله عليه و اله) قد دفنت ليلا و سرا.

و كان الإمام عليّ (عليه السلام) قد سوّى في البقيع صور قبور سبعة أو أكثر، و حيث إن البقيع كان في ذلك اليوم و إلى يومنا هذا مقبرة أهل المدينة و لهذا أقبل الناس إلى البقيع يبحثون عن قبر فاطمة (عليها السلام) فاشكل عليهم الأمر و لم يعرفوا القبر الحقيقي لسيدة نساء العالمين، فضجّ الناس، و لام بعضهم بعضا و قالوا : لن يخلف نبيكم إلّا بنتا واحدة، تموت و تدفن و لم تحضروا وفاتها و الصلاة عليها و لا تعرفون قبرها، فقال بعضهم : هاتوا من نساء المسلمين من ينبش هذه القبور حتى نخرجها فنصلي عليها.

و روى أن أبا بكر و عمر أقبلا و الناس يريدون الصلاة على فاطمة (عليها السلام).

فقال المقداد: قد دفنّا فاطمة (عليها السلام) البارحة، فالتفت عمر إلى أبي بكر فقال : ألم أقل لك إنّهم سيفعلون؟ قال العباس: إنّها أوصت أن لا تصلّيّا عليها، فقال عمر: لا تتركون - يا بني هاشم - حسدكم القديم لنا أبدا، إنّ هذه الضغائن

ص: ١٩١

التي في صدوركم لن تذهب، و الله لقد هممت أن أنبش قبرها فاصلي عليها^{٤١٣}.

وصل خبر محاولات القوم لنبش القبر إلى الإمام عليّ (عليه السلام) فلبس القباء الأصفر الذي كان يلبسه في الحروب، و حمل سيفه ذا الفقار و قد احمرّت عيناه و درّت أوداجه من شدة الغضب، و قصد نحو البقيع.

سبقت الأخبار عليّا إلى البقيع، و نادى مناديهم : هذا عليّ بن أبي طالب قد أقبل كما ترونه، يقسم بالله لئن حوّل من هذه القبور حجر ليطعن السيف في رقاب الآمرين، فقال رجل : ما لك يا أبا الحسن و الله لننبش قبرها و لنصلّيّا عليها؟ فضرب عليّ (عليه السلام) بيده إلى جوامع ثوب الرجل و هزّه ثم ضرب به الأرض، و قال له : «يا بن السوداء أمّا حقى فقد تركته مخافة أن يرتدّ الناس عن دينهم، و أمّا قبر فاطمة فو الذي نفس عليّ بيده لئن رمت و أصحابك شيئا من ذلك لأسقين الأرض من دمائكم».

فقال أبو بكر: يا أبا الحسن بحقّ رسول الله و بحقّ فاطمة إلّا خلّيت عنه، فإنّا غير فاعلين شيئا تكرهه. فخلّى عنه و تفرّق الناس^{٤١٤}.

١٢- تأريخ شهادتها (عليها السلام):

لا شك أن وفاة الزهراء (عليها السلام) كانت في السنة الحادية عشرة من الهجرة، لأنّ النبيّ (صلى الله عليه و اله) حجّ حجة الوداع في السنة العاشرة، و توفّي في أوائل ال سنة الحادية عشرة، و اتّفق المؤرّخون على أن السيدة فاطمة (عليها السلام) قد عاشت بعد أبيها أقلّ من سنة، علما بأنّها كانت في ريعان شبابها كما كانت في أتمّ الصحة

^{٤١٣} (1) بحار الأنوار: 43/ 199.

^{٤١٤} (2) دلائل الإمامة للطبري: 46- 47.

فى حياة أبيها، نعم اختلفوا فى يوم و شهر وفاتها اختلفا شديدا.

فقد روى أنها عاشت بعد النبى (صلى الله عليه و اله) ستة أشهر. و قيل: خمسة و تسعين يوما. و قيل: خمسة و سبعين يوما أو أقل من ذلك.

فعن الإمام الصادق (عليه السلام): «أنها قبضت فى جمادى الآخرة يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه، سنة إحدى عشرة من الهجرة»^{٤١٥}.

و عن الإمام الباقر (عليه السلام): «و توفيت و لها ثمانى عشرة سنة و خمسة و سبعون يوما».

و عن جابر بن عبد الله الأنصارى: و قبض النبى و لها يومئذ ثمانى عشرة سنة و سبعة أشهر^{٤١٦}.

قال أبو الفرج الإصفهاني: و كانت وفاة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بعد وفاة النبى (صلى الله عليه و اله) بمدّة يختلف فى مبلغها، فالمكثر يقول ستة أشهر، و المقلّ يقول أربعين يوما، إلّا أنّ الثابت فى ذلك ما روى عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنّها توفيت بعد النبى بثلاثة أشهر^{٤١٧}.

و هكذا انتهت حياتها الزاخرة بالفضائل و المناقب و المواقف المبدئية المشرفة، فالسلام عليها يوم ولدت و يوم استشهدت و يوم تبعث حية و رحمة الله و بركاته.

الفصل الثالث تراث الزهراء (عليها السلام)

«لقد أحصى المسلمون الأوائل على الرسول جميع أقواله و أفعاله و من هؤلاء انتقلت سنة الرسول (صلى الله عليه و اله) إلى الطبقة الثانية و غيرها من الطبقات»^{٤١٨}.

و لا شك «أن أكثرهم وعيا لأقواله و أفعاله من الطبقة الاولى اولئك الذين كانوا على صلة به فى أكثر الأوقات و فى مختلف المناسبات»^{٤١٩}.

و على هذا الأساس لا بدّ و أن يكون للصحابة الأوائل دور فى هذه الناحية أبرز من اولئك الذين دخلوا الإسلام فى السنين الأخيرة من حياته كأبى هريرة و غيره ممّن امتلأت مجاميع الحديث بمروياتهم و أصبحوا من أوسع المصادر لها فى حين أنّ صلاتهم بالرسول (صلى الله عليه و اله) كانت محدودة للغاية ...

^{٤١٥} (1) دلائل الامامة، للطبري: ص 45 و كشف الغمة: 1/ 53.

^{٤١٦} (2) مناقب آل أبي طالب: 2/ 357.

^{٤١٧} (3) راجع كشف الغمة: 128.

^{٤١٨} (1 و 2 و 3) سيرة الأئمة الاثني عشر: 1/ 96.

^{٤١٩} (1 و 2 و 3) سيرة الأئمة الاثني عشر: 1/ 96.

لذلك كان موقف الباحثين من مروياتهم مشوبا بالحذر، و في الوقت ذاته لا يستبعد أحد على الذين لازموه منذ بعثته إلى أن اختاره الله إليه أن يرووا عنه آلاف الروايات و بخاصة إذا كانوا من المقرّبين إليه كعليّ (عليه السّلام) و غيره من الصحابة الأبرار في حين أن مجاميع السنّة لم ترو عنهم إلّا القليل القليل بالقياس لما روته عن غيرهم في السنن الثلاث الأخيرة من حياته^{٢٢٠}.

ص: ١٩٤

«كما يجب أن لا نستبعد ما ترويه المصادر الشيعية عن مصحف فاطمة، ذلك الكتاب الذي ورد ذكره على لسان الأئمة من أهل البيت (عليهم السّلام)^{٢٢١}؛ لأنّ الزهراء لم تفارق أباه طيلة حياتها، وكانت ترعاه و تتولّى خدمته و تسمع أحاديثه و أخباره و خطبه بنحو لم يتوفّر لغيرها من الناس إذا استثنينا ابن عمّها عليّا (عليه السّلام)^{٢٢٢}».

و بعد هذا ألا تستغرب حينما تسمع ما يقوله الحافظ السيوطي من أن جميع ما روته فاطمة رضي الله عنها من الحديث لا يبلغ عشرة أحاديث، و ما يقوله الحافظ البدخشاني من أن كلّ ما روى عنها ثمانية عشر حديثا^{٢٢٣}؟!.

مع أنّنا نعلم أن المروى عن عائشة ما يفوق الألفين و هي لم تعاشر رسول الله (صلّى الله عليه و اله) إلّا بعد الهجرة بما يقلّ عن عشر سنوات، بينما عاشت الزهراء مع أبيها على أقلّ الروايات ثمانية عشر عاما و على أكثرها ثمانية عشر عاما!.

و قال الاستاذ توفيق أبو علم عن هذه النقطة بالذات : «أخذت الزهراء عن أبيها الكثير من الأحاديث بما تسمعه منه أو ما كان يأمر بكتابتها لها، و قد أخذ عنها ابنها الحسن و الحسين و أبوهما عليّ و حفيدتها فاطمة بنت الحسين مرسلا و عائشة و ام سلمة و أنس بن مالك و سلمى ام رافع رضي الله عنهم، و قد ساعدها على ذلك أنّها ألّمت بكثير من علوم القرآن و إحاطتها بأمور من الشرائع السابقة، و كانت تعرف القراءة و الكتابة، و لقد فطمها الله بالعلم، و كان أبوها رسول الله (صلّى الله عليه و اله) يستكتب لها الصحف التي تسترشد بها في أمر دينها و تبصّرها بأمور دنياها، فالسيّدة فاطمة من أهل بيت اتّقوا الله و علّمهم الله^{٢٢٤}».

ص: ١٩٥

مصحف فاطمة (عليها السّلام)

لقد كانت الزهراء ربيبة العلم و التقى و كان حظّها منهما وفيرا، و يدلّنا على شىء من ذلك بعض ما اثر عنها من الأحاديث التي روتها عن رسول الله (صلّى الله عليه و اله) بالمباشرة في الأحكام و الآداب و الأخلاق و فضائل أهل البيت (عليهم السّلام) و قد جمع في ما سمى بـ «مسند فاطمة الزهراء» لعدّة مؤلفين، أولهم السيوطي المتوفى عام (٩١١ هـ)، و الثاني للسيّد حسين شيخ الإسلامى التويسركانى، و قد جمع فيه (٢٦٠) حديثا مما نقل عن الزهراء عن رسول الله (صلّى الله

^{٢٢٠} (1 و 2 و 3) سيرة الأئمة الاثني عشر: 96 / 1.

^{٢٢١} (1) و هم أدري بما في البيت.

^{٢٢٢} (2) سيرة الأئمة الاثني عشر: 96 / 1.

^{٢٢٣} (3) عن الثغور الباسمة في حياة سيّدتنا فاطمة، للسيوطي: 52.

^{٢٢٤} (4) و لنعم هذا الاقتباس من قوله تعالى: \ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ يَعْلَمَكُمُ اللَّهُ راجع(أهل البيت) لتوفيق أبو علم:

عليه و اله) أو ممّا يرتبط بها صلوات الله عليها مع رسول الله (صلّى الله عليه و اله)، و الثالث للشيخ عزيز الله العطاردي، و الرابع للشيخ أحمد الرحمانى الهمدانى حيث جمع فى كتابه «فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى» حوالى (٨٤) حديثا ممّا نقل عنها فى كتب الخاصة و العامة.

و من هنا نعود إلى ما كتبه السيّد هاشم معروف الحسنى عن مصحف فاطمة الذى تشير الروايات اليه و تفصح فيها عن سعة علوم الزهراء و فضلها عند الله و رسوله و أهل بيته، قال رضوان الله عليه : «فليس بغريب - و الحال هذه- أن تكون السيّدّة فاطمة (عليها السّلام) قد جمعت قسما ممّا سمعته منه و من زوجها فى التشريع و الأخلاق و الآداب و ما سيحدث فى مستقبل الزمان من الأحداث و التقلبات، و قد ورث الأئمة من أبنائها فى جملة ما ورثوه عنها هذا الكتاب واحدا بعد واحد»^{٤٢٥}.

ص: ١٩٦

نماذج مختارة من مسند فاطمة (عليها السّلام)

١- اهتمامها بالعلم و تدوين السنة:

١- قال أبو محمّد العسكريّ (عليه السّلام): حضرت امرأة عند الصديقة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) فقالت: إن لى والدّة ضعيفة و قد لبس عليها فى أمر صلاتها شىء، و قد بعثتنى إليك أسألك، فأجابتها فاطمة (عليها السّلام) عن ذلك فتنت فأجابت، ثمّ ثلثت إلى أن عشت، فأجابت، ثمّ خجلت من الكثرة فقالت لا أشقّ عليك يا ابنه رسول الله، قالت فاطمة : هاتى و سلى عمّا بدالك، أرايت من اكرتري يوما يصعد إلى سطح بحمل ثقيل و كراه مائة ألف دينار، يتقل عليه؟ فقالت : لا، فقالت: اكرتريت أنا لكلّ مسألة بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤا، فأحرى أن لا يتقل علىّ، سمعت أبى (صلّى الله عليه و اله) يقول:

إنّ علماء شيعتنا يحشرون فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم و جدّهم فى إرشاد عباد الله حتّى يخلع على الواحد منهم ألف ألف حلّة من نور، ثمّ ينادى منادى ربّنا عزّ و جلّ : أيّها الكافلون لأيتام آل محمّد (صلّى الله عليه و اله) الناعشون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم الذين هم أئمّتهم، هؤلاء تلامذتكم و الأيتام الذين كفلتهمو هم و نعشتهموهم، فاخلعوا عليهم خلع العلوم فى الدنيا، فيخلعون على كلّ واحد من اولئك الأيتام على قدر ما أخذوا عنهم من العلوم حتّى إنّ فيهم - يعنى فى الأيتام - من يخلع عليه مائة ألف خلعة، و كذلك يخلع هؤلاء الأيتام على من تعلّم منهم، ثمّ إنّ الله تعالى يقول: أعيدوا على هؤلاء العلماء الكافلين لأيتام حتّى تتّموا لهم خلعتهم و تضعّفوها لهم، فيتّم لهم ما كان لهم قبل أن يخلعوا عليهم، و يضاعف لهم، و كذلك يخلع هؤلاء الأيتام على من تعلّم منهم، ثمّ إنّ الله تعالى يقول : أعيدوا على هؤلاء العلماء الكافلين لأيتام حتّى تتّموا لهم خلعتهم و تضعّفوها لهم، فيتّم لهم ما كان لهم قبل أن يخلعوا عليهم، و يضاعف لهم، و كذلك من يليهم ممّن خلع

ص: ١٩٧

على من يليهم.

^{٤٢٥} (١) سيرة الأئمة الإثني عشر: ٩٦- ٩٧.

و قالت فاطمة (عليها السلام): يا أمة الله إن سلكة من تلك الخلع لأفضل مما طلعت عليه الشمس ألف مرة و ما فضل فإنه مشوب بالتنغيص و الكدر^{٤٢٦}.

٢- عن ابن مسعود قال : جاء رجل إلى فاطمة (عليها السلام) فقال: يا ابنه رسول الله هل ترك رسول الله عندك شيئا تطرفينه؟ فقالت: «يا جارية هات تلك الحريرة»، فطلبتها فلم تجدها، فقالت: «ويحك اطلبيها فإنها تعدل عندي حسنا و حسينا»، فطلبتها فإذا هي قد قممتها في قمامتها^{٤٢٧}، فإذا فيها: قال محمد النبي: «ليس من المؤمنين من لم يأمن جاره بوائقه، و من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فلا يؤذى جاره، و من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليقل خيرا أو يسكت، إن الله يحب الخير الحليم المتعفف، و يبغض الفاحش الضنين السئال الملحف، إن الحياء من الإيمان، و الإيمان في الجنة، و إن الفحش من البذاء، و البذاء في النار»^{٤٢٨}.

٢- التعريف بأهل البيت (عليهم السلام):

١- و عنها سلام الله عليها: أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) قال لها: أما ترضين أني زوجتك أول المسلمين إسلاما، و أعظمهم علما؟ فإنك سيّدة نساء العالمين كما سادت مريم نساء قومها^{٤٢٩}.

٢- عن يزيد عن عبد الملك النفلي، عن أبيه، عن جدّه قال : دخلت على فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله)، قال: فبدأتني بالسلام، قال: و قالت: قال

ص: ١٩٨

أبى و هو ذاحي: من سلم علىّ و عليك ثلاثة أيام فله الجنة. قلت لها: ذا في حياته و حياتك أو بعد موته و موتك؟ قالت: في حياتنا و بعد وفاتنا^{٤٣٠}.

٣- إن فاطمة رضی الله عنها قالت: أتيت النبي (صلى الله عليه و اله) فقلت: السلام عليك يا أبة، فقال: و عليك السلام يا نبيه، فقلت: و الله ما أصبح يا نبي الله في بيت على حبة طعام، و لا دخل بين شفتيه طعام منذ خمس، و لا أصبحت له ناغية و لا راغية، و لا أصبح في بيته سفة و لا هفة^{٤٣١}.

فقال النبي (صلى الله عليه و اله): ادني مني، فدنوت، فقال: أدخلني يدك بين ظهري و ثوبي، فإذا حجر بين كتفي النبي (صلى الله عليه و اله) مربوط إلى صدره، فصاحت فاطمة صيحة شديدة، فقال لها: ما اوقدت في بيوت آل محمد نار منذ شهر.

ثم قال (صلى الله عليه و اله) و رفع باب خبير و هو ابن تيف و عشرين، و كان لا يرفعه خمسون رجلا.

^{٤٢٦} (1) بحار الأنوار: 3/2. و نعشه: رفعه.

^{٤٢٧} (2) القمامة بالضم: الكناسة.

^{٤٢٨} (3) دلائل الإمامة: 1.

^{٤٢٩} (4) «أسنى المطالب» للعلامة الوصافي البمني، مخطوط.

^{٤٣٠} (1) «المناقب» لابن المغازلي الشافعي: ص 364، و مثله في «المناقب» لابن شهر آشوب: 3/365.

^{٤٣١} (2) الناغية: الشاة. و الراغية: البعير. و السفة: المأكول. و الهفة: المشروب.

فأشرق وجه فاطمة، ثم أتت عليًا فإذا البيت قد أثار بنور وجهها، فقال لها : يا ابنة محمد! لقد خرجت من عندي ووجهك على غير هذا الحال؟ فقالت: إن النبي (صلى الله عليه و اله) حدثني بفضلك، فما تماكنت حتى جئتكم^{٤٣٢}.

٤- عن أسماء بنت عميس، عن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله) قالت: إن رسول الله (صلى الله عليه و اله) أتاه يومًا فقال: أين ابنائى - يعنى حسنا و حسينا - ؟ قالت: قلت: أصبحنا و ليس فى بيتنا شىء يذوقه ذائق، و إنا لنحمد الله تعالى، فقال على: أذهب بهما فإننى أتخوف أن ييكيا عليك و ليس عندك شىء، فذهب بهما إلى اليهودى. فتوجه إليه

ص: ١٩٩

رسول الله (صلى الله عليه و اله) فوجدهما يلعبان فى مشربة بين أيديهما فضل من تمر، فقال : يا على ألا تقلب ابنى - أى ترجعهما - قبل أن يشتد الحرّ عليهما؟ قال : فقال على: قد أصبحنا فليس فى بيتنا شىء، فلو جلست يا رسول الله حتى أجمع لفاطمة تمرات، فجلس رسول الله (صلى الله عليه و اله) و هو ينزع لليهودى كل دلو بتمرّة، حتى اجتمع له شىء من تمر، و حمله رسول الله و على^{٤٣٣}.

أخذت السيّدّة الزهراء عن أبيها الكثير من الأحاديث بما تسمعه منه، أو ما كان يأمر بكتابته لها، و قد أخذ عنها ابنا الحسن و الحسين، و أبوهما على، و حفيدتها فاطمة بنت الحسين مرسلًا، و عائشة و أم سلمة و أنس بن مالك و سلمى أم رافع رضى الله عنهم^{٤٣٤}.

٥- و عنها سلام الله عليها فى حديث طويل، قالت: يا رسول الله! إن سلمان تعجّب من لباسى، فوالذى بعثك بالحق مالى و لعلّى منذ خمس سنين إلّا مسك كبش نعلف عليها بالنهار بعيرنا، فإذا كان الليل افترشناه، و إن مرفقتنا لمن آدم حشوها ليف، فقال النبي (صلى الله عليه و اله): يا سلمان إن ابنتى لفى الخيل السوابق^{٤٣٥}.

٦- عن زينب ابنة على، عن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله) قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه و اله) لعلّى (عليه السلام): أما إنك يا على و شيعتك فى الجنة^{٤٣٦}.

٧- عن فاطمة بنت رسول الله أنّها دخلت على رسول الله (صلى الله عليه و اله) فبسط ثوبا و قال لها: اجلسى عليه، ثمّ دخل الحسن فقال له: اجلس معها، ثمّ دخل الحسين فقال له: اجلس معهما، ثمّ دخل على فقال له: اجلس معهم، ثمّ أخذ بمجامع الثوب فضمّه علينا

ص: ٢٠٠

ثمّ قال: اللهمّ هم منى و أنا منهم، اللهمّ ارض عنهم كما أنى عنهم راض^{٤٣٧}.

^{٤٣٢} (3) أهل البيت (عليهم السلام) لتوفيق أبو علم: 130.

^{٤٣٣} (1) أهل البيت لتوفيق أبو علم: 135.

^{٤٣٤} (2) المصدر السابق: 128.

^{٤٣٥} (3) عوالم المعارف: 130 / 11. و المسك بالفتح فالسكون: الجلد، الأدم أيضا: الجلد. و المرفقة: المثناة و المخدّة.

^{٤٣٦} (4) دلائل الإمامة: 2 و 3، و مثله فى احقاق الحق: 7 / 307، و ينابيع المودة: 257.

^{٤٣٧} (1 و 2) دلائل الإمامة: 2 و 3، و ح 34 قد تقدّم فى الفصل السابق تحت الرقم 16 من طريق العامة.

٨- عن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله) قالت: قال لي رسول الله (صلى الله عليه و اله): ألا أبشرك؟ إذا أراد الله أن يتحف زوجة وليه في الجنة بعث إليك تبعين إليها من حليكِ^{٤٣٨}.

٩- عن علي بن موسى الرضا، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين، عن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله): أن النبي (صلى الله عليه و اله) قال: من كنت وليه فعلي وليه، و من كنت إمامه فعلي إمامه^{٤٣٩}.

١٠- روى السيد محمد الغماري الشافعي في كتابه: عن فاطمة بنت الحسين الرضوي، عن فاطمة بنت محمد الرضوي، عن فاطمة بنت إبراهيم الرضوي، عن فاطمة بنت الحسن الرضوي، عن فاطمة بنت محمد الموسوي، عن فاطمة بنت عبد الله العلوي، عن فاطمة بنت الحسن الحسيني، عن فاطمة بنت أبي هاشم الحسيني، عن فاطمة بنت محمد بن أحمد بن موسى المبرقع، عن فاطمة بنت أحمد بن موسى المبرقع، عن فاطمة بنت موسى المبرقع، عن فاطمة بنت الإمام أبي الحسن الرضا (عليه السلام)، عن فاطمة بنت موسى بن جعفر (عليهما السلام)، عن فاطمة بنت الصادق جعفر بن محمد (عليهما السلام)، عن فاطمة بنت الباقر محمد بن علي (عليهما السلام)، عن فاطمة بنت السجاد علي بن الحسين (عليه السلام)، عن زين العابدين (عليهما السلام)، عن فاطمة بنت أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)، عن زينب بنت أمير المؤمنين (عليه السلام)، عن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله)، قالت:

ص: ٢٠١

قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): «ألا من مات على حب آل محمد مات شهيدا»^{٤٤٠}.

١١- عن حارثة بن قدامة قال: حدثني سلمان قال: حدثني عمار و قال:

اخبرك عجا؟ قلت: حدثني يا عمار، قال: نعم: شهدت علي بن أبي طالب (عليه السلام) و قد ولج علي فاطمة (عليها السلام)، فلما أبصرت به نادت: ادن لاحتك بما كان و بما هو كائن و بما لم يكن إلى يوم القيامة حين تقوم الساعة. قال عمار: فرأيت أمير المؤمنين (عليه السلام) يرجع التهقري فرجعت برجوعه إذ دخل على النبي (صلى الله عليه و اله)، فقال له: ادن يا أبا الحسن، فدنا فلما اطمأن به المجلس قال له:

تحدثني أم احديثك؟ قال: الحديث منك أحسن يا رسول الله، فقال: كأنني بك و قد دخلت علي فاطمة و قالت لك كيت و كيت، فرجعت، فقال علي (عليه السلام): نور فاطمة من نورنا؟

فقال (عليه السلام): أو لا تعلم؟ فسجد علي شكرا لله تعالى.

قال عمار: فخرج أمير المؤمنين (عليه السلام) و خرجت بخروجه، فولج علي فاطمة (عليها السلام) و ولجت معه، فقالت: كأنك رجعت إلى أبي (صلى الله عليه و اله) فأخبرته بما قلته لك؟

^{٤٣٨} (١ و ٢) دلائل الإمامة: ٢ و ٣، و ح ٣٤ قد تقدم في الفصل السابق تحت الرقم ١٦ من طريق العامة.

^{٤٣٩} (٣) مسند الإمام الرضا: ١/ ١٣٣.

^{٤٤٠} (١) عوالم المعارف و مستدركاتهما: ٢١/ ٣٥٤- ٣٥٥، نقلا عن «الولوة المثنوية» للشيخ محمد بن محمد بن أحمد الجنتي الداغستاني: ٢١٧، طبع مصر، سنة ١٣٠٦.

قال: كان كذلك يا فاطمة، فقالت : أعلم يا أبا الحسن أن الله تعالى خلق نوري، وكان يسبح الله جلّ جلاله، ثم أودعه شجرة من شجرة الجنة فأضاءت فلما دخل أبي الجنة أوحى الله تعالى إليه إلهاما أن اقتطف الثمرة من تلك الشجرة و أدرها في لهواتك؛ ففعل، فأودعني الله سبحانه صلب أبي (صلى الله عليه و اله)، ثم أودعني خديجة بنت خويلد فوضعتني، و أنا من ذلك النور، أعلم ما كان و ما يكون و ما لم يكن. يا أبا الحسن المؤمن ينظر بنور الله تعالى^{٤٤١}.

١٢- عن أبي الطفيل، عن أبي ذرّ (رضي الله عنه)، قال: سمعت فاطمة (عليها السلام)

ص: ٢٠٢

تقول: «سألت أبي (صلى الله عليه و اله) عن قول الله تبارك و تعالى **وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ**^{٤٤٢} قال: هم الأئمة بعدى: عليّ و سبطاى و تسعة من صلب الحسين، هم رجال الأعراف، لا يدخل الجنة إلّا من يعرفهم و يعرفونه، و لا يدخل النار إلّا من أنكرهم و ينكرونه، لا يعرف الله إلّا بسبيل معرفتهم».

١٣- عن سعد الساعديّ، عن أبيه قال : سألت فاطمة صلوات الله عليها عن الأئمة فقالت: سمعت رسول الله (صلى الله عليه و اله) يقول: الأئمة بعدى عدد نقباء بنى إسرائيل^{٤٤٣}.

١٤- عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال أبي (عليه السلام) لجابر بن عبد الله الأنصاري: إن لى إليك حاجة فمتى يخفّ عليك أن أخلو بك فاسألک عنها؟

فقال له جابر: فى أىّ الأوقات شئت، فخلا به أبو جعفر (عليه السلام)، قال له: يا جابر أخبرنى عن اللّوح الذى رأيته فى يد أمى فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله) و ما أخبرتك به أنّه فى ذلك اللّوح مكتوبا . فقال جابر: أشهد بالله أنّى دخلت على أمك فاطمة (عليها السلام) فى حياة رسول الله (صلى الله عليه و اله) اهتّها بولادة الحسين (عليه السلام) فرأيت فى يدها لوحا أخضر ظننت أنّه من زمرد، و رأيت فيه كتابة بيضاء شبيهة بنور الشمس، فقلت لها : بأبى أنت و أمى يا بنت رسول الله ما هذا اللّوح؟ فقالت : هذا اللّوح أهداه الله عزّ و جلّ إلى رسوله (صلى الله عليه و اله) فيه اسم أبى و اسم بعلّى و اسم ابنىّ و أسماء الأوصياء من ولدى، فأعطانيه أبى ليسرّنى بذلك.

قال جابر: فأعطتني أمك فاطمة (عليها السلام) فقرأته و انتسخته. فقال له أبى (صلى الله عليه و اله): فهل لك يا جابر أن تعرضه علىّ؟ فقال: نعم، فمشى معه أبى (صلى الله عليه و اله)

ص: ٢٠٣

حتّى انتهى إلى منزل جابر فأخرج إلى أبى صحيفة من رقّ، فقال: يا جابر انظر أنت فى كتابك لأقرأه أنا عليك، فنظر جابر فى نسخته^{٤٤٤} فقرأه عليه أبى (صلى الله عليه و اله) فو الله ما خالف حرف حرفا، قال جابر : فإنّى أشهد بالله أنّى هكذا رأيته فى اللّوح مكتوبا:

^{٤٤١} (2) عوالم المعارف: 706 / 11.

^{٤٤٢} (1) الأعراف (7): 46.

^{٤٤٣} (2) كفاية الأثر: 193 - 200.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لمحمد نوره و سفيره و حجابيه و دليله، نزل به الروح الأمين من عند رب العالمين؛ عظم يا محمد أسمائي و اشكر نعمائي، و لا تجحد آلائي، إني أنا الله لا إله إلا أنا، قاصم الجبارين [و مبير المتكبرين] و مذلّ الظالمين و ديان يوم الدين، إني أنا الله لا إله إلا أنا، فمن رجا غير فضلي، أو خاف غير عدلي؛ عذّبه عذابا لا اعدّ به أحدا من العالمين، فإياي فاعبد و على فتوكل.

إني لم أبعث نبيا فأكملت أيامه و انقضت مدّته إلا جعلت له وصيا، و إني فضلتك على الأنبياء و فضلت وصيك على الأوصياء، و أكرمتك بشيلىك بعده و بسبيلك الحسن و الحسين، و جعلت حسنا معدن علمي بعد انقضاء مدّة أبي هـ، و جعلت حسينا خازن وحيي، و أكرمته بالشهادة، و ختمت له بالسعادة، فهو أفضل من استشهد و أرفع الشهداء درجة، جعلت كلمتي التامة معه، و الحجّة البالغة عنده، بعترته أتيب و اعاقب، أولهم على سيّد العابدين، و زين أوليائي الماضين؛ و ابنه سمى جدّه المحمود، محمد الباقر لعلمي و المعدن

ص: ٢٠٤

لحكمتي؛ سيهلك المرتابون في جعفر، الرادّ عليه كالرادّ على، حقّ القول مني لأكرم من مثنوى جعفر، و لاسرّنه في أوليائه و أشياعه و أنصاره؛ و انتحبت بعد موسى فتنة عمياء حندس^{٤٤٥}، لأنّ خيط فرضي لا ينقطع، و حجّتي لا تخفى، و أنّ أوليائي لا يشقون أبدا؛ ألا و من جحد واحدا منهم فقد جحد نعمتي، و من غير آية من كتابي فقد افترى على.

و ويل للمفترين الجاحدين عند انقضاء مدّة عبدى موسى و حبيبي و خيرتي، [ألا] إنّ المكذب بالثامن مكذب بكلّ أوليائي، و على وليي و ناصري، و من أضع عليه أعباء النبوة و أمتحنه بالاضطلاع، يقتله عفريت مستكبر، يدفن بالمدينة التي بناها العبد الصالح ذو القرنين إلى جنب شرّ خلقى، حقّ القول مني لاقرن عينه بمحمد ابنه و خليفته من بعده، فهو وارث علمي و معدن حكمتي و موضع سرّي و حجّتي على خلقى جعلت الجنة مثواه، شفّعه في سبعين من أهل بيته كلّهم قد استوجبوا النار، و أختم بالسعادة لابنه على وليي و ناصري و الشاهد في خلقى و أمني على وحيي أخرج منه الداعي إلى سبيلي و الخازن لعلمي الحسن ...^{٤٤٦}.

١٥- قالت (عليها السلام): أبوا هذه الامة محمد و على يقيمان أودهم و ينقذانهم من العذاب الدائم إن أطاعوهما و يبيحانهم النعيم الدائم إن وافقوهما^{٤٤٧}.

١٦- عن فاطمة، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهما قال : قال رسول الله (صلّى الله عليه و اله): أيّما رجل صنع إلى رجل من ولدى صنيعة فلم يكافئه عليها، فأنا المكافئ له عليها^{٤٤٨}.

^{٤٤٤} (1) إنّما كانت ملاقاته جابر مع أبي جعفر (عليه السلام) بعد زيارة الأربعين في المدينة قطعا و قد قيل إنّّه في زيارة الأربعين مكثف البصر فكيف يمكن معه قراءة النسخة؟ و يمكن أن نقول: إنّما يكون عماء في آخر أيام حياته فاشتبّه على بعض من ترجمه فتوهم عماء في الأربعين، سنة 61، و هو خلاف ما نصّوا عليه من أنّه كفّ بصره آخر عمره و ما في «بشارة المصطفى» في خبر زيارته في الأربعين من قول عطية «قال: فالمسني، فالمسني فخرّ على القبر» لا يدلّ على العمى، و لعلّ من شدة الحزن و كثرة البكاء ابيضّت عيناه، أو غمرتهما العبرة في ذلك اليوم يؤيّد ما في هذا الخبر «ثمّ جال ببصره حول القبر و قال: السلام عليكم ...».

^{٤٤٥} (1) انتحب: تنفس شديدا. و الحندس: الشديدي الظلمة.

^{٤٤٦} (2) كمال الدين و تمام النعمة 308- 311 ط. طهران- الآخوندي.

^{٤٤٧} (3) بحار الأنوار: 225/96.

١٧- حدثنا أحمد بن يحيى الأودى، حدثنا أبو نعيم ضرار بن سرد،

ص: ٢٠٥

حدثنا عبد الكريم أبو يعفور، حدثنا جابر، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة، قالت : حدثتني فاطمة، قالت: قال لى رسول الله (صلى الله عليه و اله): زوجك أعلم الناس علما و أولهم سلما، و أفضلهم حلما.

١٨- قالت (عليها السلام): «و احمدا الذى لعظمته و نوره يبتغى من فى السماوات و الأرض إليه الوسيلة، و نحن وسيلته فى خلقه، و نحن خاصته و محل قدسه، و نحن حجته فى غيبه، و نحن ورثة أنبيائه»^{٤٤٩}.

١٩- عن محمد بن عمر الكناسى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن على ابن الحسين عن فاطمة الصغرى عن الحسين بن على عن فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه و اله) قالت: «خرج علينا رسول الله (صلى الله عليه و اله) فقال: إن الله عز و جل باهى بكم، فغفر لكم عامة، و غفر لعلى خاصة، و إننى رسول الله إليكم غير هائب لقومى و محاب لقرابتى، هذا جبرئيل (عليه السلام) يخبرنى: ان السعيد كل السعيد حق السعيد من أحب عليا فى حياتى و بعد وفاتى»^{٤٥٠}.

٢٠- عن زينب بنت أبى رافع عن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله) أنها أتت رسول الله بالحسن و الحسين فى مرضه الذى توفى فيه، فقالت : «يا رسول الله إن هذين لم تورثهما شيئا » فقال: «أما الحسن فله هيبتى و سؤددى، و أما الحسين فله جرأتى و جودى»^{٤٥١}.

٢١- عن على عن فاطمة (عليهما السلام) قالت: «قال لى رسول الله (صلى الله عليه و اله): يا فاطمة من صلى عليك غفر الله له و ألحقه بى حيث كنت من الجنة»^{٤٥٢}.

ص: ٢٠٦

٢٢- عن زيد بن على بن الحسين عن عمته زينب بنت على (عليه السلام) عن فاطمة (عليها السلام) قالت: «كان دخل إلى رسول الله (صلى الله عليه و اله) عند ولادتى الحسين (عليه السلام)، فناولته إياه فى خرقة صفراء، فرمى بها و أخذ خرقة بيضاء و لقه فيها ثم قال: خذيه يا فاطمة، فإنه إمام ابن إمام أبو الأئمة التسعة، من صلبه أئمة أبرار، و التاسع قائمهم».

٢٣- عن سهل بن سعد الأنصارى قال: سألت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله) عن الأئمة فقالت: «كان رسول الله (صلى الله عليه و اله) يقول لعلى (عليه السلام): يا على! أنت الإمام و الخليفة بعدى، و أنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى فابنك الحسن فابنك الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسين فابنك على بن الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى على فابنه محمد أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى محمد فابنه جعفر أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى جعفر فابنه موسى أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى موسى فابنه على أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى على فابنه محمد أولى بالمؤمنين من أنفسهم».

^{٤٤٨} (4) المصدر نفسه.

^{٤٤٩} (1) شرح نهج البلاغة: 211 / 16.

^{٤٥٠} (2) «أسنى المطالب» لشمس الدين الجزري: 70.

^{٤٥١} (3) اسد الغلبة: 467 / 5، و مناقب ابن شهر آشوب: 396 / 3.

^{٤٥٢} (4) كشف الغمّة: 472 / 1.

فإذا مضى محمد فابنه على أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى على فابنه الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسن فالقائم المهدي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، يفتح الله تعالى به مشارق الأرض ومغاربها، فهم أئمة الحق والسنة الصادق، منصور من نصرهم، مخذول من خذلهم»^{٤٥٣}.

٣- مصادر التشريع الإسلامي وفلسفته وأصوله:

١- جاء في الخطبة المعروفة عنها قولها للصحابه حين اعت رضى على أبى بكر بعد حادث السقيفة المرّ : «أتمّ عباد الله نصب أمره ونهيه، وحملة دينه

ص: ٢٠٧

ووحيه، وامناء الله على أنفسكم، وبلغاؤه إلى الامم، زعيم حق له فيكم، وعهد قدمه إليكم، وبقية استخلفها عليكم، كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع، بينة بصائر، منكشفة سرائره، منجلية ظواهره، مغتبطة به أشياعه، قائدا إلى الرضوان أتباعه، مؤد إلى النجاة استماعه، به تنال حجج الله المنورة، وعزائم المفسرة، ومحارمه المحذرة، وبيناته الجالية، وبراهينه الكافية، وفوائده المندوبة، ورخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة.

٢- وقالت عن فلسفة التشريع في نفس الخطبة: «جعل الله الإيمان تطهيرا لكم من الشرك، والصلاة تنزيها لكم عن الكبر، والزكاة تزكية للنفس، ونماء في الرزق، والصيام تثبيتا للإخلاص، والحج تشبيدا للدين، والعدل : تنسيقا للقلوب، وطاعتنا نظاما للملة، وإمامتنا أمانا من الفرقة، والجهاد عزّا للإسلام، والصبر معونة على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحة للعامة، وبرّ الوالدين وقاية من السخط، وصلة الأرحام منسأة في العمر و منماء للعدد، والقصاص حقنا للدماء، والوفاء بالنذر تعريضا للمغفرة، وتوفية المكائيل والموازن تغييرا للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيها عن الرجس، واجتناب القذف حجابا عن اللعنة، وترك السرقة إيجابا للعفة، وحرم الله الشرك إخلاصا له بالربوبية».

٣- وقالت عن بعض اصول التشريع: حدثنا أحمد بن يحيى الصوفى، حدثنا عبد الرحمن بن ديس الملايى، حدثنا بشير بن زياد الجزرى، عن عبد الله بن حسن، عن امه فاطمة بنت الحسين، عن فاطمة الكبرى قالت:

قال النبى (صلى الله عليه و اله): إذا مرض العبد أوحى الله إلى ملائكته أن ارفعوا عن عبدى القلم ما دام فى وثاقى، فإني أنا حبسته، حتى أقبضه أو اخلّى سبيله.

قال: فذكرت لبعض ولده فقال: كان أبى يقول: أوحى الله إلى ملائكته: اكتبوا لعبدى أجر ما كان يعمل فى صحته.

ص: ٢٠٨

٤- عن على عن فاطمة رضى الله عنهما قالت: «قال لى رسول الله (صلى الله عليه و اله): يا حبيبة أبيها كل مسكر حرام، وكل مسكر خمر»^{٤٥٤}.

^{٤٥٣} (1) راجع كفاية الأثر: 193-200.

^{٤٥٤} (1) دلائل الإمامة: 3.

٥- عن سليمان بن أبي سليمان عن أمّ سليمان قالت: دخلت على عائشة زوج النبي (صلى الله عليه و اله) فسألته عن لحوم الأضاحي، فقالت: قد كان رسول الله (صلى الله عليه و اله) نهى عنها، ثم رخص فيها.

قدم عليّ بن أبي طالب من سفر فأتته فاطمة بلحم من ضحاياها، فقال:

«أو لم ينها رسول الله (صلى الله عليه و اله)؟» فقالت: «إنّه قد رخص فيها». قالت: «فدخل عليّ رسول الله (صلى الله عليه و اله) فسأله عن ذلك، فقال له: كلها من ذى الحجة إلى ذى الحجة»^{٤٥٥}.

٦- عن سيّدة النساء فاطمة ابنة سيّد الأنبياء صلوات الله عليهم أنّها سألت أباهم محمّدا (صلى الله عليه و اله) فقالت: «يا أبتاه! ما لمن تهاون بصلاته من الرجال و النساء؟» قال: «يا فاطمة من تهاون بصلاته من الرجال و النساء ابتلاه الله بخمس عشرة خصلة: ستّ منها في دار الدنيا، و ثلاث عند موته، و ثلاث في قبره، و ثلاث في القيامة إذا خرج من قبره .

أما اللواتي تصيبه في دار الدنيا : فالأولى يرفع الله البركة من عمره، و يرفع الله البركة من رزقه، و يمحو الله عزّ و جلّ سيئات الصالحين من وجهه، و كلّ عمل يعمل لا يؤجر عليه، و لا يرتفع دعاؤه إلى السماء، و السادسة ليس له حظّ في دعاء الصالحين.

و أمّا اللواتي تصيبه عند موته : فأولهنّ أنّه يموت ذليلاً، و الثانية يموت جائعاً، و الثالثة يموت عطشاً، فلو سقى من أنهار الدنيا لم يرو عطشه.

و أمّا اللواتي تصيبه في قبره : فأولهنّ يوكل الله به ملكاً يزعه في قبره، و الثانية يضيق عليه قبره، و الثالثة تكون الظلمة في قبره.

ص: ٢٠٩

و أمّا اللواتي تصيبه يوم القيامة إذا خرج من قبره : فأولهنّ أن يوكل الله به ملكاً يسحبه على وجهه و الخلائق ينظرون إليه، و الثانية يحاسب حساباً شديداً، و الثالثة لا ينظر إلّا إليه و لا يزكّيه و له عذاب أليم»^{٤٥٦}.

٤- الاخلاق و الآداب و السلوك:

١- عن الحسين (رضي الله عنه)، عن أمّ فاطمة رضي الله عنها، قالت: قال لي رسول الله (صلى الله عليه و اله): إياك و البخل، فإنّه عاهة لا تكون في كريم. إياك و البخل فإنه شجرة في النار، و أغصانها في الدنيا، فمن تعلّق بغصن من أغصانها أدخله النار. و عليك بالسخاء، فإنّ السخاء شجرة من شجر الجنة، أغصانها متدلّية إلى الأرض، فمن أخذ منها غصناً قاده ذلك الغصن إلى الجنة»^{٤٥٧}.

٢- عن فاطمة البتول بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله) قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه و اله):

^{٤٥٥} (2) «أهل البيت» لتوفيق أبو علم: 129، و مسند أحمد: 6/ 283.

^{٤٥٦} (1) سفينة البحار: 43/ 2.

^{٤٥٧} (2) «أهل البيت» لتوفيق أبو علم: 130 - 131.

شرار امتي الذين غدّوا بالنعيم، الذين يأكلون ألوان الطعام، و يلبسون ألوان الثياب، و يتشدّقون في الكلام^{٤٥٨}.

٣- عن فاطمة بنت الحسين، عن جدّتها فاطمة الزهراء (عليها السلام) قالت:

كان رسول الله (صلى الله عليه و اله) إذا دخل المسجد صلى على محمد و سلّم، و قال: «اللهم اغفر لي ذنوبي، و افتح لي أبواب رحمتك». و إذا خرج صلى على محمد و سلّم ثم قال: «اللهم اغفر لي ذنوبي، و افتح لي أبواب فضلك»^{٤٥٩}.

٤- قالت (عليها السلام): البشر في وجه المؤمن يوجب لصاحبه الجنة، و البشر في وجه

ص: ٢١٠

المعاند المعادي يقى صاحبه عذاب النار^{٤٦٠}.

٥- عن زيد بن عليّ، عن آبائه، عن فاطمة ابنة النبي (صلى الله عليه و اله) قالت:

سمعت النبي (صلى الله عليه و اله) يقول: إنّ في الجمعة لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله عزّ و جلّ فيها خيرا إلّا أعطاه. قالت: فقلت: يا رسول الله أيّ ساعة هي؟ قال: إذا تدلّى نصف عين الشمس للغروب. قال: و كانت فاطمة تقول لغلّامها: اسعد على السطح، فإن رأيت نصف عين الشمس قد تدلّى للغروب فأعلمني حتّى أدعو^{٤٦١}.

٦- قال ابن حمّاد الأنصاريّ الدولابيّ المتوفى ٣١٠: حدّثنا أبو جعفر محمد بن عوف بن سفيان الطائفيّ الحمصيّ، حدّثنا موسى بن أيوب النصيبيّ، حدّثنا محمد بن شعيب، عن صدقة مولى عبد الرحمن بن الوليد، عن محمد بن عليّ بن حسين، قال: خرجت أمشي مع جدّي حسين بن عليّ إلى أرضه، فأدركنا النعمان بن بشير على بغلة له فنزل عنها، و قال لحسين: أركب أبا عبد الله، فأبى، فلم يزل يقسم عليه حتّى قال: أما إنّك قد كلّفتني ما أكره، و لكن أحدثك حديثا حدّثنيّه أمّي فاطمة: إنّ رسول الله (صلى الله عليه و اله) قال: «الرجل أحقّ بصدر دابّته و فراشه و الصلاة في بيته، إلّا إماما يجمع الناس». فأركب أنت على صدر الدابّة و [أردفني خلفك].

فقال النعمان: صدقت فاطمة، حدّثني أبي - و ها هو ذا حيّ بالمدينة عن النبي (صلى الله عليه و اله) قال: إلّا أن يأذن، فلمّا حدّثه النعمان بهذا الحديث ركب حسين السرج، و ركب النعمان خلفه^{٤٦٢}

ص: ٢١١

٧- حدّثنا أحمد بن يحيى الأوديّ، حدّثنا جبارة بن مغلس، حدّثنا عبيد بن الوسيم، عن حسين بن الحسن، عن أمّه فاطمة بن حسن، عن أبيها، عن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله)، قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): لا يلو من إلّا نفسه من بات و في يده غمر^{٤٦٣}.

^{٤٥٨} (3) المصدر السابق: 131، و تشدّق في الكلام: اتّسع فيه من غير احتياط و احتراز.

^{٤٥٩} (4) أهل البيت لتوفيق أبو علم: 129- 131. و عصابة الرجل: بنوه و قرابته لأبيه. و انتمى إليه فلان، إذا ارتفع إليه في النسب.

^{٤٦٠} (1) «تفسير الإمام»: 354، و المراد من الفقرة الثانية مداراة النواصب تقية منهم.

^{٤٦١} (2) دلائل الإمامة: 5.

^{٤٦٢} (3) فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى 301 رواه عن الدولابي.

٨- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الصَّوْفِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ دَبِيسٍ، حَدَّثَنَا بِشِيرُ بْنُ زِيَادٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ، عَنْ أُمِّهِ، عَنْ فَاطِمَةَ الْكُبْرَى (عَلَيْهَا السَّلَامُ)، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): مَا التَّقِيُّ جَنْدَانِ ظَالِمَانِ إِلَّا تَخَلَّى اللَّهُ مِنْهُمَا، فَلَمْ يَبَالِ أَيْهِمَا غَلَبَ، وَ مَا التَّقِيُّ جَنْدَانِ ظَالِمَانِ إِلَّا كَانَتْ الدَّائِرَةُ عَلَى أَعْتَاهُمَا.

٩- وَ قَالَتْ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) فِي وَصْفِ مَا هُوَ خَيْرٌ لِلنِّسَاءِ: «خَيْرٌ لَهُنَّ أَلَّا يَرِينَ الرِّجَالَ وَ لَا يَرُونَهُنَّ»^{٤٦٤}.

١٠- عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أُمِّهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قَالَتْ:

«لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا»^{٤٦٥}، قَالَتْ فَاطِمَةُ: «فَتَهَيَّيْتُ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَنْ أَقُولَ لَهُ: يَا أَبُهِ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ لِي: يَا بَنِيَّةُ لِمَ تَنْزِلُ فِيكَ وَ لَا أَهْلَكَ مِنْ قَبْلُ، أَنْتَ مَنِيَّ وَ أَنَا مِنْكَ، وَ إِنَّمَا نَزَلْتُ فِي أَهْلِ الْجَفَاءِ وَ الْبَذَخِ وَ الْكِبَرِ، قَوْلِي: يَا أَبُهِ، فَإِنَّهُ أَحَبُّ لِلْقَلْبِ وَ أَرْضَى لِلرَّبِّ ثُمَّ قَبِلَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) جَبْهَتِي، مَسَحَنِي بِرِيقِهِ، فَمَا احْتَجَجْتُ إِلَى طَيْبٍ بَعْدَهُ»^{٤٦٦}.

١١- وَ قَالَتْ فَاطِمَةُ (عَلَيْهَا السَّلَامُ): «مَنْ أَصْعَدَ إِلَى اللَّهِ خَالِصَ عِبَادَتِهِ؛ أَهْبَطَ اللَّهُ إِلَيْهِ

ص: ٢١٢

أَفْضَلُ مَصْلَحَتِهِ»^{٤٦٧}.

١٢- عَنْ لَيْثِ بْنِ أَبِي سَلِيمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ عَنْ أُمِّهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهَا عَنْ أُمِّهِ فَاطِمَةَ ابْنَةِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «خِيَارُكُمْ أَلَيْنُكُمْ مَنَاقِبَ، وَ أَكْرَمُهُمْ لِنِسَائِهِمْ»^{٤٦٨}.

١٣- سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَصْحَابَهُ عَنِ الْمَرْأَةِ مَا هِيَ؟ قَالُوا: عَوْرَةٌ، قَالَ:

فَمَتَى تَكُونُ أَدْنَى مِنْ رَبِّهَا؟ فَلَمْ يَدْرُوا، فَلَمَّا سَمِعَتْ فَاطِمَةُ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) ذَلِكَ قَالَتْ:

«أَدْنَى مَا تَكُونُ مِنْ رَبِّهَا أَنْ تَلْزِمَ قَعْرَ بَيْتِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «إِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي»^{٤٦٩}.

١٤- وَ عَنْهَا سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهَا فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ، قَالَتْ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ سَلْمَانَ تَعَجَّبَ مِنْ لِبَاسِي، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا لِي وَ لَعَلِّيْ مِنْذُ خَمْسِ سَنِينَ إِلَّا مَسَكَ كَبَشَ نَعْلِيَّ عَلَيْهِ بِالنَّهَارِ بَعِيرِنَا، فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ افْتَرَشْنَاهُ، وَ إِنِّ مَرَفَقَتَنَا لَمِنْ أَدَمِ حَشْوَاهَا لَيْفٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): يَا سَلْمَانُ إِنَّ ابْنَتِي لَفِي الْخَيْلِ السَّوَابِقِ»^{٤٧٠}.

^{٤٦٣} (١) الغمر: الدسم.

^{٤٦٤} (٢) حلية الأولياء: 40/2.

^{٤٦٥} (٣) النور (24): 63.

^{٤٦٦} (٤) المناقب لابن شهر آشوب: 320/3.

^{٤٦٧} (١) بحار الأنوار: 184/71.

^{٤٦٨} (٢) فاطمة الزهراء عليها السلام بهجة قلب المصطفى 1/ 273، إِلَّا أَنَّ فِي بَعْضِ الْمَصَادِرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

^{٤٦٩} (٣) بحار الأنوار: 92/43.

^{٤٧٠} (٤) عوالم المعارف: 130/11، المسك بالفتح فالسكون: الجلد، الأدم أيضاً: الجلد، و المرفقة: المثلثة و المخدّة.

١٥- عن عليّ بن الحسين بن عليّ (عليهما السلام): «أنّ فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله) استأذن عليها أعمى فحجبته، فقال لها النبيّ (صلى الله عليه و اله): لم حجبته و هو لا يراك؟ فقالت: يا رسول الله إن لم يكن يرانى فأنا أراه، و هو يشمّ الريح، فقال النبيّ (صلى الله عليه و اله): أشهد أنّك بضعة مني»^{٤٧١}.

ص: ٢١٣

١٦- حدّثنا يزيد بن سنان، حدّثنا الحسن بن عليّ الواسطيّ، حدّثنا بشير ابن ميمون الواسطيّ، حدّثنا عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، قال: حدّثني أمي فاطمة بنت الحسين عن فاطمة الكبرى بنت محمّد: إنّ رسول الله (صلى الله عليه و اله) كان يعوّذ الحسن و الحسين و يعلمهما هؤلاء الكلمات كما يعلمهما السورة من القرآن، يقول: «أعوذ بكلمات الله التامة من شرّ كلّ شيطان و هامة، و من كلّ عين لامة»^{٤٧٢}.

١٧- عن الزهراء صلوات الله عليها قالت: «دخل عليّ رسول الله (صلى الله عليه و اله) و قد افترشت فراشي للنوم، فقال: يا فاطمة لا تنامي إلّا و قد عملت أربعة: ختمت القرآن، و جعلت الأنبياء شفعاك، و أرضيت المؤمنين عن نفسك، و حجبت و اعتمرت. قال هذا و أخذ في الصلاة، فصبرت حتّى أتمّ صلاته، قلت: يا رسول الله إنّك أمرت بأربعة لا أقدر عليها في هذا الحال! فتبسّم (صلى الله عليه و اله) [و قال]: إذا قرأت قلّ هو الله أحد ثلاث مرّات فكأنّك ختمت القرآن، و إذا صليت عليّ و على الأنبياء قبلي كنّا شفعاك يوم القيامة، و إذا استغفرت للمؤمنين رضوا كلّهم عنك، و إذا قلت: سبحان الله و الحمد لله و لا اله إلّا الله و الله أكبر، فقد حجبت و اعتمرت»^{٤٧٣}.

١٨- في حديث طويل قالت (عليها السلام): «يا أبت فديتك ما الذي أبكاك؟» فذكر لها ما نزل به جبرئيل من الآيتين المتقدّمتين **وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ** * **لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ**^{٤٧٤} فسقطت فاطمة (عليها السلام) على وجهها و هي تقول: «الويل ثمّ الويل لمن دخل النار»^{٤٧٥}.

ص: ٢١٤

٥- الحكم و السياسة و التاريخ:

١- و الخطبتان اللتان نقلناهما عنها تفصحان عن بعد نظرها وسعة أفقها فيما يخصّ: الثورة النبويّة المباركة، و مستقبلها، و الجاهليّة التي سبقت البعثة المباركة، و ما سبترتب على انحراف القيادة الإسلاميّة عن مسارها الصحيح.

فراجعهما و لاحظهما مرة أخرى بإمعان.

٢- إخبارات غيبية: عن فاطمة الصغرى بنت الحسين رضى الله عنهما، عن أبيها، عن جدّتها فاطمة الكبرى بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله) قالت: قال لي رسول الله (صلى الله عليه و اله): يدفن من ولدي سبعة بشاطئ الفرات، لم يبلغهم الأوتون، و لم يدركهم الآخرون^{٤٧٦}.

^{٤٧١} (5) ملحقات إحقاق الحق: 258 / 10.

^{٤٧٢} (1) الذرية الطاهرة، لابن حماد الأنصاريّ الدولابيّ 149، ط. جامعة المدرسين بقم.

^{٤٧٣} (2) خلاصة الأذكار: 70.

^{٤٧٤} (3) الحجر (15): 43- 44.

^{٤٧٥} (4) بحار الأنوار: 303 / 8.

٣- إسرار النبي لها صلوات الله عليهما عن عائشة قالت : أقبلت فاطمة تمشي، كأن مشيتها مشية رسول الله (صلى الله عليه و اله) فقال: مرحبا بابتني؛ ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم إنه أسر إليها حديثا، فبكت، فقلت لها : استخصك رسول الله (صلى الله عليه و اله) حديثه ثم تبكين؟ ثم إنه أسر إليها حديثا فضحكت، فقلت:

ما رأيت كالיום فرحا أقرب من حزن! فسألتهما عما قال، فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله (صلى الله عليه و اله)؛ حتى إذا قبض النبي (صلى الله عليه و اله) سألتها، فقالت: إنه أسر إلي فقال: إن جبرئيل (عليه السلام) كان يعارضني بالقرآن في كل عام مرة، وإنه عارضني به العام مرتين، ولا أراه إلّا قد حضر أجلى، وإنك أول أهل بيتي لحوقا بي، و نعم السلف أنا لك، فبكيت لذلك، ثم قال: ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء هذه الامة - أو نساء المؤمنين-؟^{٤٧٧} قالت:

ص: ٢١٥

فضحكت لذلك^{٤٧٨}.

١٩- عن عروة بن الزبير، عن عائشة قالت : لما مرض رسول الله (صلى الله عليه و اله)؛ دعا ابنته فاطمة فسارها، فبكت، ثم سارها فضحكت، فسألته عن ذلك، فقالت : أمّا حين بكيت فإنه أخبرني أنه ميّت. فبكيت، ثم أخبرني أنّي أول أهله لحوقا به فضحكت^{٤٧٩}.

ص: ٢١٦

نماذج من أدعيّتها

كانت (عليها السلام) إذا جنّ الليل تقوم في محرابها صافّة قدميها منقطعة إلى ربّها مصلية مناجية متهجدة تدعو الله سبحانه بلسان الخائف الذليل المنقطع، و تقول في دعائها : «اللهمّ إنّني أسألك قوة في عبادتك، و تبصرا في كتابك، و فهما في حكمك، اللهمّ صلّ على محمّد و آل محمّد، و لا تجعل القرآن بنا ماحلا، و الصراط زائلا و محمّدا (صلى الله عليه و اله) عنا موليّا».

و من دعائها أيضا:

١- «اللهمّ اجعل أول يومى هذا فلاحا، و أوسطه صلاحا، و آخره نجاحا، اللهمّ صلّ على محمّد و آل محمّد، و اجعلنا ممن أناب إليك فقبلته، و توكلّ عليك فكففته، و تضرّع إليك فرحمته».

٢- «اللهمّ إنّني أسألك الهدى و التقى و العفاف و الغنى، و العمل بما تحبّ و ترضى، اللهمّ إنّني أسألك من قوتك لضعفنا، و من غناك لفقرنا و فافتنا، و من حلمك و علمك لجهlnا، اللهمّ صلّ على محمّد و آل محمّد، و أعنا على شكرك و ذكرك و طاعتك و عبادتك يا أرحم الراحمين».

^{٤٧٦} (١) بحار الأنوار: 131/ 8.

^{٤٧٧} (٢) الظاهر أن التردد من عائشة.

^{٤٧٨} (١) مسند أحمد: 282/ 6.

^{٤٧٩} (٢) المصدر السابق: 283.

٣- دعاء النور المعروف عنها:

«بسم الله النور، بسم الله نور النور، بسم الله على نور، بسم الله الذي هو مدبر الامور، بسم الله الذي خلق النور من النور، الحمد لله الذي خلق النور من النور، وأنزل النور على الطور، في كتاب مسطور، في رق منشور، بقدر مقدور، على نبي محبوب، الحمد لله الذي هو بالعز مذكور، وبالفخر مشهور، وعلى السراء والضراء مشكور، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين»^{٤٨٠}.

ص: ٢١٧

أدب السيِّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)

بالرغم من أن فاطمة (عليها السلام) توفيت ولها ثمانى عشرة سنة فإن النصوص المؤرخة تشير إلى أنها - مثل سائر المعصومين (عليهم السلام) - توفرت على إلقاء و تدوين ما يرتبط بمبادئ الشريعة الإسلامية، وأنها (عليها السلام) في لقاءاتها مع العنصر النسوى كانت تتكفل بالإجابة على أسئلتهم، وأنها بعامه أثر عنها من النصوص ما يفصح عن شخصيتها العلمية والأدبية، ولعل النماذج التي نقلها المؤرخون بالنسبة إلى النصوص الخطابية التي ارتجلتها تفصح بوضوح عن الطابع الأدبي المحكم في خطاباتها، فهناك خطبتان مأثورتان عن فاطمة (عليها السلام) فيما ارتجلت أولاهما بمحضر من النساء «بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله)» والآخرى ارتجلتها بمحضر من شخصيات المهاجرين والأنصار...^{٤٨١}.

وقد ذكرنا نص الخطبتين بعد أحداث رحلة النبي (صلى الله عليه وآله)، وعلق الدكتور البستاني على هذا النص الفني قائلا: «لقد بدأت الخطبة بتمجيد الله تعالى وهو أسلوب قد اختطه النبي وفصله الإمام علي (عليه السلام) حيث يلاحظ أن فاطمة (عليها السلام) قد أفادت من جانب من النبي والإمام علي (عليه السلام) أسلوبيا، واختطت منحى فنيا خاصا من جانب آخر، إنها تسلسلت موضوعيا من الحمد، فالشكر، فالثناء على معطيات الله تعالى، ثم صفاته تعالى، ثم نبوة أبيها فمعطيات ذلك، ثم اتجهت إلى الموضوع الرئيس و سردت قائمة بالمعطيات النفسية والعبادية، وهكذا وصلت بين النبوة وبين معطياتها اجتماعيا، بين المقدمة وبين الموضوع، فجاءت الخطبة خاضعة عماريا لخطوط هندسية متواشجة فيما

ص: ٢١٨

بينها، وأما الأدوات الفنية التي توكأت عليها فتتمثل في حشد ملحوظ من العنصر (الصوري) وفي عناية ملحوظة بالعنصر الإيقاعي فضلا عن العنصر اللفظي، من تقابل و تماثل و تتابع و تكرار و قسم...»^{٤٨٢}.

هذا عن النشر، وأما أدبها المنظوم فنذكر نماذج منه:

١- لما دفن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أقبلت على أنس بن مالك فقالت: «يا أنس كيف طابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله) التراب؟» ثم بكّت ورثته قائلة:

^{٤٨٠} (1) بحار الانوار: 66 / 43.

^{٤٨١} (1) تاريخ الأدب العربي (في ضوء المنهج الإسلامي): 257.

^{٤٨٢} (1) راجع للتفصيل، تاريخ الأدب العربي: 257-262.

أَغْبَرَّ آفَاقَ السَّمَاءِ وَكَوَّرَتْ
شَمْسُ النَّهَارِ وَأَظْلَمَ الْعَصْرَانِ
فَالْأَرْضُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ كَتِيبَةٌ
أَسْفَا عَلَيْهِ كَثِيرُهُ الرِّجْفَانِ
فَلْيَبْكِهِ شَرْقُ الْبِلَادِ وَغَرْبُهَا
وَلتَبْكِهِ مَضْرُورٌ كُلُّ يَمَانٍ
يَا خَاتَمَ الرِّسْلِ الْمُبَارَكِ ضَوْؤُهُ
صَلَّى عَلَيْكَ مَنْزِلَ الْقُرْآنِ

ثُمَّ أَخَذَتْ قَبْضَةً مِنْ تَرَابِ الْقَبْرِ فَجَعَلَتْهَا عَلَى عَيْنَيْهَا وَوَجْهَهَا، ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ:

مَاذَا عَلَى مَنْ شَمَّ تَرَبُّهُ أَحْمَدُ
أَنْ لَا يَشُمَّ مَدَى الزَّمَانِ غَوَالِيَا
صَبَّتْ عَلَى مَصَائِبِ لَوْ أَنَّهَا
صَبَّتْ عَلَى الْأَيَّامِ عَدَنَ لِيَالِيَا^{٤٨٣}

٢- وَ قَالَتْ أَيْضًا فِي رِثَائِهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ):

قُلْ لِلْمَغِيبِ تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى
إِنْ كُنْتَ تَسْمَعُ صِرْخَتِي وَنَدَائِيَا
صَبَّتْ عَلَى الْأَيَّامِ صَرْنَ لِيَالِيَا
لَا أُخْتَشِي ضَيْمًا وَكَانَ جَمَالِيَا
فَالْيَوْمَ أَخْشَعُ لِلذَّلِيلِ وَآتَقَى
ضَيْمِي وَادْفَعْ ظَالِمِي بِرَدَائِيَا
فَإِذَا بَكَتْ قَمَرِيَّةٌ فِي لَيْلِهَا
شَجْنَا عَلَى غَضِّ بَكَيْتِ صَبَاحِيَا

ص: ٢١٩

فَلْأَجْعَلَنَّ الْحَزْنَ بَعْدَكَ مُونِسِي
وَلْأَجْعَلَنَّ الدَّمْعَ فِيكَ وَشَاحِيَا

ماذا على من شمّ تربة أحمد

أن لا يشمّ مدى الزمان غواليا^{٤٨٤}

٣- وعن محمد بن الفضل قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: جاءت فاطمة (عليها السلام) إلى سارية في المسجد و هي تقول و تخاطب النبي (صلى الله عليه و اله):

قد كان بعدك أنباء و هنبئة

لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها

و اختلّ قومك لَمّا غبت و انقلبوا

أبدت رجال لنا فحوى صدورهم

لما قضيت و حالت دونك الترب^{٤٨٥}

ص: ٢٢٠

الرواة و المحدثون عن فاطمة الزهراء (عليها السلام)

قلنا: إنّ الزهراء فاطمة (عليها السلام) كانت ربيبة العلم و التقى، و عرفنا أنّ لها كتابا يدعى «المصحف» اختص به أهل البيت (عليهم السلام) و قد كانت معنيّة بنشر العلم و إنفاقه بالإضافة إلى اهتمامها بتربية أبنائها و من خدمها في بيتها كام أيمن و فضة التي لم تكن تتكلم إلّا بالقرآن (بما يقرب من عشرين سنة).

و ممّا يدلنا على اهتمامها ببذل العلم كثرة الرواة عنها صلوات الله عليها و إليك قائمة بأسمائهم:

١- ابن أبي مليكة.

٢- أبو أيوب الأنصاري.

٣- أبو سعيد الخدري.

٤- أبو هريرة.

٥- أسماء بنت عميس.

٦- أم كلثوم.

^{٤٨٤} (1) أعيان الشيعة: 1/ 323، ط. بيروت.

^{٤٨٥} (2) كشف الغمة: 2/ 115، ط. بيروت، و أعيان الشيعة: 1/ 318، ط. بيروت.

٧- بشير بن زيد.

٨- جابر بن عبد الله الأنصاري.

٩- الحسن بن علي (عليه السلام).

١٠- الحسين بن علي (عليه السلام).

١١- الحكم بن أبي نعيم.

١٢- ربعي بن خراش.

١٣- زينب بنت أبي رافع.

ص: ٢٢١

١٤- زينب بنت علي (عليها السلام).

١٥- سلمان الفارسي.

١٦- سهل بن سعد الأنصاري.

١٧- شبيب بن أبي رافع.

١٨- العباس بن عبد المطلب.

١٩- عبد الله بن الحسن.

٢٠- عبد الله بن العباس.

٢١- عبد الله بن مسعود.

٢٢- علي بن أبي طالب (عليه السلام).

٢٣- علي بن الحسين (عليه السلام).

٢٤- عوانة بن الحكم.

٢٥- فاطمة بنت الحسين (عليه السلام).

٢٦- القاسم بن أبى سعيد الخدرى.

٢٧- هارون بن خارجة.

٢٨- هشام بن محمد.

٢٩- يزيد بن عبد الملك^{٤٨٦}.

ص: ٢٢٣

الفهرس التفصيلى

فهرس اجمالى ٥

مقدمة المجمع ٧

الباب الاول الفصل الأول: الزهراء (عليها السلام) فى سطور ١٧

الفصل الثانى: انطباعات عن شخصيّة الزهراء (عليها السلام) ٢١

الزهراء (عليها السلام) فى آيات الذكر الحكيم ٢١

١- الزهراء (عليها السلام) كوثر الرسالة ٢٢

٢- الزهراء (عليها السلام) فى سورة الدهر ٢٣

٣- الزهراء (عليها السلام) فى آية التطهير ٢٤

٤- مودة الزهراء (عليها السلام) أجر الرسالة ٢٥

٥- الزهراء (عليها السلام) فى آية المباهلة ٢٦

الزهراء (عليها السلام) عند سيد المرسلين ٢٨

الزهراء (عليها السلام) عند الأئمة و الصحابة و المؤرخين ٣٠

الفصل الثالث: مظاهر من شخصيّة الزهراء (عليها السلام) ٣٣

١- علمها و معرفتها ٣٥

^{٤٨٦} (١) راجع للتفصيل: مسند فاطمة الزهراء (عليها السلام) للشيخ عزيز الله العطاردي: 590- 602.

٢- مكارم أخلاقها ٣٦

٣- جودها و إيثارها ٣٨

٤- إيمانها و تعبدها لله ٤١

٥- حنوّها و شفقتها ٤٣

ص: ٢٢٤

٦- جهادها المتواصل ٤٤

الباب الثاني: ٤٧ الفصل الأول: نشأة الزهراء فاطمة (عليها السلام) ٤٩

١- شخصية السيّدة خديجة «أم فاطمة» (عليها السلام) ٤٩

نشاطها التجارى ٥٠

٢- زواج النبيّ (صلّى الله عليه و اله) بخديجة ٥٢

مكانة خديجة (ر ض) لدى النبيّ (صلّى الله عليه و اله) ٥٤

٣- الأمر الإلهي في خلق فاطمة (عليها السلام) ٥٦

٤- انس خديجة بفاطمة ٥٨

٥- فاطمة الوليدة ٥٩

٦- تأريخ الولادة ٦٠

الفصل الثاني: مراحل حياة الزهراء (عليها السلام) ٦٣

الفصل الثالث: الزهراء (عليها السلام) مع أبيها (صلّى الله عليه و اله) ٦٥

فاطمة في مرحلة الطفولة ٦٥

١- فاطمة (عليها السلام) في شعب أبي طالب ٦٦

٢- وفاة السيّدة خديجة و عام الحزن ٦٧

٣- فاطمة الممتحنة ٦٩

فاطمة (عليها السلام) مع أبيها حتى بيت الزوجية ٧٢

١- هجرتها الى المدينة ٧٢

٢- محاولات خطبتها ٧٦

٣- على (عليه السلام) يتقدم لخطبة فاطمة (عليها السلام) ٧٧

٤- أمر زواجها من السماء ٧٩

ص: ٢٢٥

٥- خطبة العقد ٨٠

٦- مهرها و جهازها ٨١

٧- مقدمات الزفاف و وليمة العرس ٨٢

٨- مراسم ليلة الزفاف ٨٥

٩- زيارة النبي للزهاء في صبيحة عرسها ٨٧

١٠- تأريخ الزواج ٨٩

مميزات زواج الزهاء (عليها السلام) بعلى (عليه السلام) ٩٠

فاطمة (عليها السلام) من الزواج الى وفاة الرسول (صلى الله عليه و اله) ٩١

١- الزهاء (عليها السلام) في بيت الزوجية ٩١

أ- إدارة شؤون البيت و الحياة الشاقة ٩٣

ب- طيب معاشرتها للإمام على (عليه السلام) ٩٧

ج- فاطمة (عليها السلام) في دور الام ٩٩

٢- الزهاء (عليها السلام) مع النبي (صلى الله عليه و اله) في تثبيت دعائم الدولة ١٠١

أ- الزهراء (عليها السلام) قبل فتح مكة ١٠١

ب- الزهراء (عليها السلام) في فتح مكة ١٠٣

٣- حجة الوداع و الأيام الاخيرة ١٠٥

٤- وصايا الرسول (صلى الله عليه و اله) في ساعة الوداع ١٠٧

الباب الثالث:

الفصل الأول: الزهراء (عليها السلام) بعد أبيها (صلى الله عليه و اله) ١١٣

١- حدث السقيفة ١١٣

٢- نتائج السقيفة ١٢٣

خيارات السلطة الحاكمة ١٢٧

ص: ٢٢٤

انتزاع القوة المالية للإمام على (عليه السلام) ١٢٧

مواجهة معارضة الإمام (عليه السلام) ١٢٨

الخطوات العملية الاخرى لمواجهة آل محمد (صلى الله عليه و اله) ١٢٩

٣- فدك بين النبي (صلى الله عليه و اله) و الزهراء (عليها السلام) ١٣١

٤- اغتصاب فدك ١٣٣

٥- خطبة الزهراء في مسجد النبي (صلى الله عليه و اله) ١٣٥

رد فعل الخليفة على خطاب الزهراء (عليها السلام) ١٤٧

دفاع ام سلمة عن حق الزهراء (عليها السلام) ١٤٨

شكواها الى الإمام على (عليه السلام) ١٤٩

٦- إعلان المقاطعة ١٥٠

المعنى الرمزي و السياسي لفدك ١٥١

٧- خيارات الإمام عليّ (عليه السّلام) تجاه الوضع الجديد ١٥٤

٨- الهجوم على دار الزهراء (عليها السّلام) ١٦٠

٩- المواجهة مع الزهراء (عليها السّلام) ١٦٥

كلامها في حقّ الإمامة و ظلامة أهل البيت (عليهم السّلام) ١٦٦

١٠- السيّدة فاطمة (عليها السّلام) في أيامها الأخيرة ١٦٨

الفصل الثاني: مرض الزهراء (عليها السّلام) و استشهادها ١٧٣

١- فاطمة (عليها السّلام) على فراش المرض ١٧٣

٢- عيادة النساء للسيّدة فاطمة (عليها السّلام) ١٧٤

٣- خطبتها الثانية ١٧٥

٤- عيادة أبي بكر و عمر بن الخطاب للزهراء (عليها السّلام) ١٨١

٥- الساعات الأخيرة قبل الرحيل ١٨٢

ص: ٢٢٧

٦- وصيّة الزهراء (عليها السّلام) للإمام علي (عليه السّلام) ١٨٣

٧- أول نعش أحدث في الإسلام ١٨٥

٨- لحظات عمرها الأخيرة ١٨٦

٩- مراسم التشييع و الدفن ١٨٧

١٠- تأبين الإمام علي (عليه السّلام) للزهراء (عليها السّلام) ١٨٩

١١- محاولة نبش القبر ١٩٠

١٢- تأريخ شهادتها (عليها السّلام) ١٩١

الفصل الثالث: تراث الزهراء (عليها السلام) ١٩٣

مصحف فاطمة (عليها السلام) ١٩٥

نماذج مختارة من مسند فاطمة (عليها السلام) ١٩٦

١- اهتمامها بالعلم و تدوين السنّة ١٩٦

٢- التعريف بأهل البيت (عليهم السلام) ١٩٧

٣- مصادر التشريع الإسلامي و فلسفته و اصوله ٢٠٦

٤- الأخلاق و الآداب و السلوك ٢٠٩

٥- الحكم و السياسة و التاريخ ٢١٤

نماذج من أدعيّتها ٢١٦

أدب السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ٢١٧

الرواء و المحدثون عن فاطمة الزهراء (عليها السلام) ٢٢٠

الفهرس التفصيلي ٢٢٣
